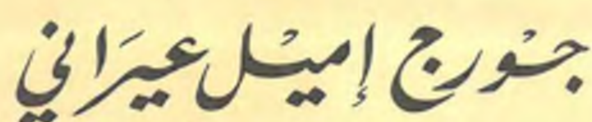


البابويّة والشرق الأوسط

دور الكرسي الرسولي (الفاتيكان)
في النزاع العربي - الإسرائيلي
١٩٦٢ - ١٩٩٤



دار ملفات

جورج إميل عيراني

البابويّة والشرق الأوسط

دور الكرسي الرسولي (الفاتيكان)
في النزاع العربي - الإسرائيلي
١٩٦٢ - ١٩٩٤

نقله الى العربيّة
بولس سرُّوع

راجع الترجمة ودقّق في الصياغة
فكتور الكك

الطبعة الأولى
أيار ١٩٩٧

النشر والتوزيع: دار ملفات ش. م. م.
فغال، جبيل، لبنان، ملك نديم جبر
ت: ٠٩/٩٤٢٣١٦ـ٠٩ـ٠٥٠٠٦٠٢٠/٠٣

الى روح والدي، إميل،
الذي جعل هذا العمل ممكنا
بدعمه وتشجيعه

المحتويات

الصفحة

توطئة

إنَّ دراسة دقيقة لدور الفاتيكان في الشرق الأدنى لأمرٌ ذو أهمية أساسية بالنسبة الى الخبير في شؤون الشرق الاوسط، ومحلّل أنشطة الكنيسة وتصرّفها، وكل الذين يسعون لإيجاد حلٍّ عادلٍ ودائم للمعضلة العربية ـ الاسرائيلية.

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه الوحيد في هذا المجال، اذ انّ الكاتب جورج عيراني نجح في جمع عناصر كثيرة متباعدة وقدّمها بشكل شمولي. لقد اشرع المجمع الفاتيكاني الثاني منذ ثلاثين سنة الأبواب واسعة أمام المسكونية والعلاقات بين الأديان. فاذا مسائلُ، كالتفاعل بين اليهود والمسيحيين والمسلمين حول مسألة القدس، والحرب اللبنانية، والنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، تنهض دليلاً على حسنات الحركة وسقطاتها وهي ثمرة مبادرة البابا يوحنا الثالث والعشرين.

أما الوجه الآخر لأهميّته ففي الموضوعية التي اعتمدها المؤلف في تحليله. فبالرغم من صعوبة التزام الحياد في التعامل مع مواضيع لها أبعادها العاطفية والحزبية فقد نجح عيراني في جمع وجهات النظر اليهودية والمسيحية والاسلامية. وليس من الغرابة بمكان أن يحاول باحث لبناني اظهار القواسم المشتركة التي تجمع الديانات الموحّدة الثلاث؛ ان الامل المرجوّ من هذا العمل أن يقترب اليوم الذي يعود فيه لبنان والشرق الاوسط الى ما كان عليه، مثالاً حيّاً للتعايش والحوار.

الجديد الذي أسهم به هذا الكتاب هو ان المؤلف استخدم في الكتابة حول الكرسي الرسولي دراسة الحالات Case Studies لشرح الأوضاع المعقدة وتفنيدها. لقد حاول المؤلف أن يظهر ترابط الحالات في موضوعات البحث الثلاثة التي اختارها للتحليل. وبصورة أوضح فان هذه الموضوعات الثلاثة ـ لبنان، القدس، والنزاع الاسرائيلي الفلسطيني ـ تشكّل، كلّ على حدة، عالما متمايزا من التناقضات المحلّية والاقليمية والعالمية. ان الحرب اللبنانية بالذات ـ وهي الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة منذ عام ١٩٤٨ ـ قد شكّلت تحديا للكرسيّ الرسولي في محاولته حصر أسبابها ومفاعيلها الدبلوماسية أملا منه في وضع حد لسفك الدم. ان الاهتمام الذي حظي به لبنان نادر المثال في تاريخ دبلوماسية الفاتيكان المعاصرة. إذ ان زوال لبنان من الوجود يُسقط مقولة المسكونية والحوار بين الاديان.

القدس، بدورها، عالم مصغّر آخر، اذ تضمّ كل التناقضات وأسباب التوتر الكامنة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، اضافة الى قرون من النزاعات الدينية التي عصفت بالمدينة المقدسة. إن أي حلّ لمسألة القدس يتطلّب، حُكما، تفهّما أكبر وتعاونا أوثق بين أبناء الديانات الموحّدة الثلاث. وأخيرا، يبقى الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني المشكلة الكبرى التي تحوي جميع عناصر المشكلتين السابقتين.

لقد أفاد عيراني جيدا من مصادر كتبت باللغات الاربع ـ العربية، الفرنسية، الانكليزية، والايطالية ـ منتبها الى خاصيات التعبير في كل لغة. ان لهذا الامر أهمية قصوى لأن فهم الأنشطة البابوية والطريقة التي يعتمدها الكرسي الرسولي لإقرار سياسته يتطلب تمحيصا دقيقا لما يصرّح به شفاها او كتابة. اضف الى هذا أن المؤلف قد زار كلاً من لبنان، فلسطين وحاضرة الفاتيكان. إنّ جهوده المشكورة لتذكرة للباحثين، ولا سيما المهتمين منهم بمسائل الشرق الاوسط، أنّ من أهداف البحث الرئيسية التثقيف أي التعليم والقيادة والتنوير.

ختاماً، يشكّل هذا الكتاب مرجعا للمهتمين بشؤون الكنيسة في الشرق. واني على يقين من أنّه سيصبح منطلقا لدراسات مستقبلية حول الدبلوماسية البابوية في الشرق الاوسط.

الأب تيودور م. هسبرغ،

رئيس جامعة نوتردام ـ انديانا

الولايات المتحدة الاميركية

شكر

اودّ ان اتقدم بخالص شكري وامتناني الى جميع الذين أسهموا بدعمهم وعلمهم في كتابة هذا الكتاب. اتقدّم بشكر خاص الى الاستاذ مايكل ج. فراي رئيس كلية العلاقات الدولية في جامعة جنوب كاليفورنيا لاقتراحه موضوع البحث. كما انني اتقدم بامتناني الدائم الى الاستاذ غونّار ب. نيلسن،الذي أحاطني بانتباهه الدؤوب منذ بدأت حياتي الاكاديمية في جامعة جنوب كاليفورنيا سنة ١٩٧٨. كما أزجي شكري الخاص الى الأب جوزيف ل. ريان من البعثة البابوية في فلسطين، والذي قدم لي الارشاد والمساعدة.

مقدمة

يتناول الكتاب الدور الذي يقوم به الكرسي الرسولي دبلوماسياً ودينياً وانسانياً في الصراع العربيّ الاسرائيلي(١). ان الحقبة التي يتناولها الكتاب تواكب بدء أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٢ وتنتهي بردود الفعل حول الاتفاق الاساسي بين الفاتيكان واسرائيل في لبنان والدول العربية سنة ١٩٩٤.

تولّد الكتاب من حاجة الى ملء الفراغ الناتج عن عدم وجود أي عمل اكاديمي شامل حول دور وموقف الكرسي الرسولي في الشرق الاوسط المعاصر، اذ لم يعطَ دور الفاتيكان في هذا الجزء من العالم الاهتمام الذي يستحقه. وقد وجد مؤرخو الكنيسة والباحثون السياسيون أنفسهم معزولين بفاصل سياسي يحدّ حتما من امكانات دراسة الصراع العربي الاسرائيلي. ولما كان الشرق الاوسط مكان التعارض بين الديانات الثلاث فانه يصبح المكان الأمثل لدراسة تداخل الدين والسياسة.

ان الاهتمام البابوي بالشرق الاوسط يحتّل مرتبة مهمة في سلّم اولويات الكرسي الرسولي والتي تحرّكها، اساسا، رغبة في حماية مكانة الأقليات الكاثوليكيّة، وتنمية التعايش السلمي، وكسب احترام الحقوق الانسانية لليهود والمسيحيين والمسلمين.

ان الصراع العربي الاسرائيلي الذي احتلّ واجهة الاحداث منذ الصراع بين

الفلسطينيين والاسرائيليين حول فلسطين قد وضع الكرسي الرسولي في الموقف الصعب باجباره البابوية والكنيسة على اعادة تقويم مواقفها غير الموضوعية، عبر السنين، من اليهود والمسلمين على السواء. ولم يكن تغيُّر السياسة هذا خاليا من الغموض، اذ كان على الكرسي الرسولي أن يحافظ على موقف غير منحاز، حتى ولو أدّى، احيانا، الى الاجحاف بحقّ الطوائف المسيحية الشرقية، ولا سيما الكاثوليكية. وتشتدّ معضلةالكرسي الرسولي إزاء واقع يشبك الديانات الموحّدة الثلاث - اليهودية والمسيحية والاسلام - فيما بينها، في صراع على البقاء، له ملابساته الإتنية - الوطنية في توق الأقليات المضطهدة الى إنشاء دولٍ لها.

يعود وجود الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الاوسط الى زمن سحيق في التاريخ ارتبط قدرها عبر بعض حقبه، بقدر القوى المستعمرة الاوروبية. وفي وقت لاحق، تأثّرت مقاربة الكنيسة للشرق الاوسط الى حدٍّ بعيد، بالمصالح الجغرافية والثقافية التي جعل منها الحكام الزمنيون من بروتستانت وكاثوليك رأس أولوياتهم في المنطقة. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية وبدء حركة ازالة الاستعمار كان على الكرسي الرسولي أن يعيد النظر في سياسته، على ضوء المتغيرات التي بحثت في المجمع الفاتيكاني الثاني.

ان أثر المجمع الفاتيكاني الثاني في السياسة البابوية قد حُدّد في الرقم التي اصدرها البابا يوحنا الثالث والعشرون (أمٌ ومعلّمة - ١٩٦١، السلام في الارض - ١٩٦٣) والبابا بولس السادس (التقدّم البشري - ١٩٦٧). وقد تمحورت الاهداف الرئيسة لسياسة الفاتيكان حول صون الايمان، رعاية السلام وتثبيت العدالة، وجعلت الكنيسة تقوم بدور المرشد الخلقي في مسائل العدالة الاجتماعية، الجوع وسباق التسلح. ولتحقيق هذه الاهداف، حُرِّكت شبكة الكنيسة الكاثوليكية عبر الامم وأعطي الاساقفة مزيداً من الحرية في صنع قراراتهم. أضف الى هذا أن مكانة البابا الخلقية والروحية اصبحت عاملا أساسيا للقيام بأنشطة الكرسي الرسولي الرعوية والانسانية.

ان دور الكرسي الرسولي كوسيط دبلوماسي وديني في الصراع العربي الاسرائيلي يختلف عن دوره التفاعلي مع دول اوروبا واميركا اللاتينية. وبما ان الشرق الاوسط تسكنه غالبية من غير الكاثوليك وغير المسيحيين فإن على الكرسي الرسولي أن يفصل بوضوح تام بين مجالي الدين والسياسة. إلا ان الفصل بين امور الدين وشؤون السياسة صعب في منطقة كالشرق الاوسط حيث للدين أهميته الشمولية في حياة الناس اليومية. ان البابوية في الشرق صنو الدين، والايمان الكاثوليكي تحديدا، بينما اليهودية والاسلام تجسدان الدين والقومية معاً. ان هذا الفارق هو في صلب الاشكالات التي تعيق دور الكرسي الرسولي في المنطقة.

ان التجديد المهم الذي ادخل اثر المجمع الفاتيكاني الثاني كان خلق حوار مسكوني مع المجموعات غير المسيحية ورعايته، كما مع مجموعات مسيحية أخرى. وقد شعر الكرسي الرسولي بأن الطريق الوحيد لايصال الرسالة البابوية الى العالم والمحافظة في الوقت نفسه على مصالح الكاثوليك هو في اقامة علاقات ركيزتها الاحترام والثقة المتبادلان - أي الحوار. الا أنه منذ ذلك الوقت وحتى اليوم تطورت العوامل الدينية والسياسية بحيث بقي الحوار بشقّيه المسكوني والمذاهبي - مقصورا على جدل فكري ولا سيما في النزاع العربي الاسرائيلي حيث التداخل على مستوى القاعدة مبنيٌ على العداوة والمواجهة.

وقد شكّل مصير المجموعات المسيحية في الشرق الاوسط احدى الصعوبات الكامنة في عملية الحوار. اذ ان علاقات هذه المجموعات ومواقفها من اليهودية والاسلام تختلف لاختلاف المجتمعات التي تعيش فيها. إنّ ما يميز هذه المجموعات هو كونها "اقلّيات بأبعاد ثلاثة: كعرب بين يهود، وكمسيحيين عرب بين مسلمين عرب، وأقليات ضمن المجتمع المسيحي الاوسع" (٢).

وينتج عن هذا الوضع تعارض في المواقف المسيحية من القضايا السياسية المتولدة من الحرب بين العرب والاسرائيليين. وفي هذا السياق يندرج العداء الذي تكنّه بعض العناصر المسيحية في لبنان تجاه العروبة والاسلام الذي سبّب جزءا

منه الدور الفلسطيني في السياسة اللبنانية. وعلى نحو آخر فان تعلّق المسيحيين الفلسطينيين بانتمائهم العربي وشعورهم بانهم متجذرون في القومية العربية والاسلام مردّه الى كونهم اقلية بين الفلسطينيين والى مناهضتهم السلطات الاسرائيلية.

ومن المشاكل المهمة التي واجهت الكرسي الرسولي مسألة تنامي هجرة المسيحيين من الأرض المقدسة. ويعود سبب هذه الهجرة الى ندرة الوظائف التي يمكن أن يحظى بها الفلسطينيون المثقفون والى صعوبة اجتياز الحدود للوصول الى الأردن. ومن ملابسات هذا الامر بالنسبة الى الكرسي الرسولي أن تناقص عدد المسيحيين في الاراضي المقدسة يؤدي الى تقليص حق الفاتيكان في البحث في أمور تتعلق بمصير المجموعات والمؤسسات المسيحية في الأرض المقدسة. وعليه، فان تقليص وجود الكنيسة في المشرق سيكون ضربة معنوية للسمعة البابوية كما سيفرغ مسقط رأس السيد المسيح من الوجود الفاعل والتبشيري للكاثوليك والمسيحيين.

ان التصوّر الذي يقدّمه هذا الكتاب عن الكرسي الرسولي هو انه لاعب عبْر - قومي اذ، كما يقول ايفان فاليير وهو أحد مراقبي الكنيسة الكاثوليكية المهمين:

"ان الدولة التي ترتبط بعلاقات وثيقة بانظمة دول أخرى والتي لها مراكز قوى ونفوذ مهمة في تلك الدول لا تبقى في الحقيقة محصورة ضمن اطارها الذاتي بل تصبح لاعباً عبْر - اممي"(٣).

وفي موقعه هذا كلاعب عبْر أممي ليس للكرسي الرسولي القدرات الصناعية الكبيرة أو الوجود العسكري لفرض القوة والنفوذ. ان قوة الكرسي البابوي ونفوذه يرتكزان في الاساس على السلطة المعنوية للبابا كرأس الكنيسة الكاثوليكية، كما على أهمية المجموعات الكاثوليكية في مجتمع ما. وفي حالات النزاع يحاول الكرسي الرسولي التوسط بين المجموعات المتحاربة فيستعين بشبكة الكنيسة عبر العالم لغايتين رئيستين:

١ـ تأمين المساعدات الانسانية.

٢ـ طلب مساعدة الدول الخارجية لوقف هدر الدماء.

ان العنصر الأهم الذي يميّز الكنيسة الكاثوليكية عن غيرها من المجموعات المسيحية هو انها تستطيع أن تعتمد على انشطتها المختلفة على دولة معترف بها قانونيا ولها تراتبية منظمة هي الفاتيكان. اضف الى هذا ان صورة البابا "كالقمة العالمية للسلطة المقدّسة والرمزية الدينية" (٤) يميز الكنيسة الكاثوليكية عن غيرها من المجموعات المسيحية وغير المسيحية. في تصريح لا يخلو من المبالغة قال لي مسؤول في الفاتيكان ان الكرسي الرسولي بالنسبة الى العالم المسيحي هو كالولايات المتحدة بالنسبة الى حلف شمال الاطلسي أو كالاتحاد السوفياتي الى حلف وارسو(٥).

ان تفرّد الكرسي الرسولي بدور اللاعب عبْر ـ الأممي ينبع من السمعة التي يتمتع بها الحبر الاعظم ومن القيمة الرمزية التي تحيط بالاعمال والاقوال البابوية. هذا وتختلف شهرة البابا كمشارك في الشؤون العالمية عن قوة الحكّام الدنيويين الذين يعتمدون على مقدراتهم العسكرية والاقتصادية لتحقيق أهدافهم. وفي نهاية المطاف تبقى حقيقة أن البابا لا يشكل تهديدا لاحد، وهذا الامر يمنح اقواله وأفعاله وزنا يرتكز على حقيقة مهمة البابا الدينية والكونية. ان للبابوية كمؤسسة قوة الرمز، فالتصريحات او الافتتاحات التي تنشرها صحيفة **اوسرفاتوري رومانو** تكتسب اهميتها من الرسالة التي تحملها. ليس للكرسي الرسولي من وسائل لتثبيت ما يقوله، الا أن ما يقوله، في قيمته الرمزية، له الوقْع العظيم.

وأخيراً فان مسائل الخلاف والمشاركين في صراعات الشرق الاوسط يوفّران للكرسي الرسولي الفرصة لدعم السلام عبر العدالة. مثال ذلك أننا نرى اليهود والمسيحيين والمسلمين في كل من لبنان والقدس متفاعلين فيما بينهم، إمّا سلميا واما عدائيا. مثل هذا الوضع يحثّ الكرسي الرسولي على استخدام مهاراته في تنمية العلاقات بين الاديان وتشجيع الفئات المتناحرة على تسوية خلافاتها ضمن

أطر الاحترام الكامل لجميع الاديان والحقوق الانسانية.

لقد عرّفنا "الدور" في هذا الكتاب على انه نمط من المشاركة والتفاعل الروتينيين، وقد تم تحليل مدى مشاركة الكرسي الرسولي وطبيعتها في ضوء الاحداث والظروف التي اختار ان يتعاطى فيها، وقد هدف التدقيق في طبيعة هذا الدور الى تحديد ما اذا كان الكرسي الرسولي يقصر نشاطه على جمع المعلومات وابداء الرأي أم يتطلع الى الاضطلاع بدور أكثر مباشرة وفعالية كإرسال وسطاء. كما ان تحليل ردود الفعل على أقوال الكرسي الرسولي وأفعاله يهدف الى تحديد تأثير الدبلوماسية البابوية. ونستشف ردود الفعل هذه من تصريحات القبول أو الرفض التي تصدر عن شخصيات رسمية أو غير رسمية كالميليشيات والمجموعات الفدائية أو عن رجال الكنيسة.

لقد تمّ تحليل دور الكرسي الرسولي في ضوء دراسة المسائل الآتية:

١ ـ النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني،

٢ ـ وضع مدينة القدس والاماكن المقدسة،

٣ ـ الحرب اللبنانية التي اندلعت سنة ١٩٧٥.

ان للكرسي الرسولي في جميع مناطق المسائل هذه مصالح رئيسة سواء على مستوى المبادئ أو على مستوى الاهتمامات. وقد تمّ اختيار مناطق المسائل التاريخية هذه لارتباطها وأهميتها في التعاليم والدبلوماسية البابوية.

ان الفرضية الرئيسة في هذا الكتاب هي ان تورّط الكرسي الرسولي في الشرق الاوسط تتحكم به غايتان اساسيتان: ١ ـ حماية مصالح الكاثوليك، و ٢ ـ رعاية التعايش والحوار بين اتباع الديانات الموحّدة الثلاث ـ اليهودية، المسيحية، والاسلام. وقد يحدث أحيانا أن تتقدم احدى هاتين الغايتين على الاخرى بالنسبة الى الكرسي الرسولي، تبعا لاستعداد الطرف الثالث للحوار وتبعا لدرجة الخطر الذي يهدد الاقليات الكاثوليكية والمسيحية. وينتج عن هذه الفرضية أن دور الكرسي

الرسولي في النزاع العربي الاسرائيلي يحدّد أيضا على ضوء الارشادات البابوية التي تدعو الى تثبيت السلام عبْر العدالة.

ان التزام الكرسي الرسولي حق الشعوب في تقرير مصيرها يحدّد النواحي الانسانية في تدخله في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. فمن الناحية الدبلوماسية اتخذ الكرسي الرسولي، في الاساس، خيارا تفاضليا بين الفلسطينيين والاسرائيليين. الا أنه يسيِّر شؤونه بطرق تشير الى أنه يريد الابقاء على دور فاعل. ان أي نزاع بين الحكومة الاسرائيلية والمجموعات الكاثوليكية المسيحية سيضطر الكرسي الرسولي الى محاولة حماية مصالح الكنيسة المحلية مع ما يستتبع ذلك من تعكير العلاقات مع الدولة اليهودية.

أما بالنسبة الى القدس والأماكن المقدسة فإن سياسة الكرسي الرسولي تستند على الاهمية الروحية والعالمية للمدينة بالنسبة الى اليهود والمسيحيين والمسلمين، كما على حماية الحقوق الدينية والمدنية للجماعات المسيحية والاسلامية. هذا، ويعارض الكرسي الرسولي أيَّ تفرد بالسيطرة السياسية أو الدينية على الاماكن المقدسة.

أما في لبنان فإنّ موقف الكرسي الرسولي يستند في أساسه الى رعاية التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين كوسيلة لحماية المجموعة المسيحية. بالرغم من هذا فإن بعض الكاثوليك في لبنان لا يشاركون تماما الدعوة البابوية للكنيسة المسكونية وللعلاقات بين الديانات. يشكّل هؤلاء عقبة في طريق أهداف روما في لبنان. ان الزعامة المارونية ترى نفسها ضحية أمل روما في الاضطلاع بدور في العالم الاسلامي الاوسع الذي يشكّل له النزاع اللبناني احراجا. ومنذ مدة قريبة، وبفعل تنامي قوة الصحوة الاسلامية، فان بعض القادة اللبنانيين من غير المسيحيين قد هاجموا البابا يوحنا بولس الثاني وسياساته في العالم ولبنان، بينما عبّرت فئة من الموارنة عن تجديد ايمانهم بقدرات الكرسي الرسولي في المساعدة على حل معضلتهم كأقلية.

وبما أن الوثائق الفاتيكانية حول الحقبة التي تشكل موضوع الدرس غير متوافرة، فقد قمت بدراسة ميدانية مكثفة لمدة أربعة أشهر في بيروت والقدس وروما (ومن آذار الى تموز ١٩٨٣). وعلى الاجمال. تمكنت من إجراء ستين مقابلة مع أطراف متعددين، منهم سفراء بابويين سابقون، وباحثون في الحوار المسيحي الاسلامي والمسيحي اليهودي، وأفراد من الاكليروس. كما أجريت مقابلات مع مسؤولين فاتيكانيين في كل من بيروت والقدس وروما، وقد كان لارشاداتهم والمعلومات التي زودوني بها اهمية كبرى في تبويب مواد هذا الكتاب.

لقد استقيت من محفوظات بيت المستقبل في النّقاش (لبنان) ومحفوظات مؤسسة هاري اس. ترومان للابحاث في الجامعة العبرية في القدس عدة وثائق ذات اهمية قصوى لم تكن في متناول الباحثين. كذلك تفحصت ملفات صحيفة **أوسرفاتوري رومانو** وملفات مجلس كنائس الشرق الاوسط في بيروت. ومن المصادر الفرعية التي عدت اليها مجلة "الشرق الادنى المسيحي" - ***Proche Orient Chrétien*** التي يصدرها الآباء البيض في القدس، وهي تعتبر من المجلات المهمة وأحد أهم المصادر المعتمدة حول كنائس المسيحية المشرقية.

إضافةً الى مراجعة الصحف والمجلات اللبنانية والاسرائيلية، نقّبت في الكتابات العامة (عربي، فرنسي، انكليزي، وايطالي) حول تدخل الكنيسة في الشؤون العالمية.

ان الهدف الاساسي من هذا الكتاب هو فتح آفاق جديدة للبحث في الدبلوماسية البابوية والتعرّض لمسائل مثل: كيف يؤثّر تداخل الدين والسياسة في العلاقات داخل الدولة الواحدة وبين الدول؟ ما هي صورة البابا في نهاية القرن العشرين، وخاصة بالنسبة لاتباع الديانات الموحّدة من غير المسيحيين؟ ما اهمية الرمزية ولا سيما في الدبلوماسية البابوية؟

لقد آن الاوان لتناول اهمية الدين والاخلاق في الدراسات لتوسيع آفاق فهمنا للعلائق داخل الدولة وبين الأمم. ان هذا الفهم قد أصبح حقيقة الآن أكثر من

أي وقت مضى، اذ ان الدين قد اخذ يحتل واجهة الاحداث ولا سيما في الشرق الاوسط كما هو ماثل في عودة حركات الصحوة اليهودية والمسيحية والاسلامية الى الظهور.

الفصل الاول

الكرسي الرسولي والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني

يشكّل النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني الذي بدأ مع مستهلّ القرن الحالي التحدّي الاساسي لمصالح الكرسي الرسولي. ويتولّد هذا التحدّي من تراكمات من سوء الفهم بين الكاثوليك واليهود ومن موقف الكنيسة من الصهيونية. ان المعضلة الاهم التي يواجهها الكرسي الرسولي هي ان اليهودية "ديانة قائمة على قاعدة قومية وأمّة ذات رسالة دينية". (١) ان هذا العامل مضافا اليه خلق دولة اسرائيل "كوطن قومي للشعب اليهودي" (٢) يضع الكرسي الرسولي أمام مأزق كبير. ونشأ هذا المأزق في الاساس من الطبيعة الدينية للدولة اليهودية التي تتعارض جذريا مع هدف البابويّة بالتمييز بوضوح بين الشؤون ذات الطبيعة الدنيويّة والشؤون ذات الطبيعة الروحية.

أما الوجه الآخر من المعضلة فيكمن في أن اهتمامات الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني تشتمل على مصير الاقليات المسيحيّة التي تقطن الاراضي المقدسة - ولا سيما في الضفة الغربية - وفي البلاد العربية الاسلامية اضافة الى وضع القدس والاماكن المقدسة. انطلاقا من هذا الواقع ومن هذه الاهتمامات، اختار الكرسي الرسولي ان يسعى الى اقامة علاقات مشتركة مع الاسلام كسبيل لحماية المجموعة الكاثوليكيّة. ان المصالح المشتركة للكرسي الرسولي والدول العربية الاسلامية اكثر وضوحا وأقل جدلا من مصالح الكرسي الرسولي مع الدولة اليهوديّة.

يهدف هذا الفصل الى تقويم دور الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، وهو دور متجذّر في دعم الكنيسة للعدالة الاجتماعية ولما انتدبت نفسها له من حماية الاقليّات الكاثوليكية المهدّدة. لذلك يجري الاضطلاع به على مستويين متداخلين: المستوى الانساني - الديني والمستوى الدبلوماسي. هذا، وقد اعتمدت في تحليلي على فرضيات ثلاث:

١- ان النواحي الانسانية في تعاطي الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني يوجهها التزام البابويّة حق الشعوب في تقرير مصيرها ورعاية السلام عن طريق العدالة.

٢- لقد اتخذ الكرسي الرسولي في الاساس خيارا تفاضليا بين الفسطينيين - والاسرائيليين، الا انه يسيّر شؤونه بطرق تشير الى أنه يريد الابقاء على دور وفاقي فاعل.

٣- ان أيّ نزاع بين الحكومة الاسرائيلية والمجموعات الكاثوليكية سيضطر الكرسي الرسولي الى محاولة حماية مصالح الكنيسة المحلية.

وتقول هذه الفرضيات في الاساس بأنه عندما يتعرّض الكاثوليك للتهديد فان الكرسي الرسولي سيتحرّك بحمايتهم. ولتبيان النواحي الانسانية والدينية للتعاطي الرسولي في النزاع الاسرائيلي الفلسطيني وللدلالة على استعمال الجهود الدبلوماسية التي تكمل انشطة الكرسي الرسولي الانسانية والدينية فقد أخذت القضايا الخمس الأتية. قضية جامعة بيت لحم والبعثة البابويّة الى فلسطين نموذجان للمؤسسات الكاثوليكية التي أنشئت لمساعدة الفلسطينيين؛ قضية المطران ايلاريون كبوجي دليل على أن الكرسي الرسولي يعتبر العلاقات بين الاديان بمنزلة أدنى من أولويّة انقاذ الاقلية المسيحيّة في الارض المقدسة، أما القضايا الباقية فتتمحور حول الدور الدبلوماسي للكرسي الرسولي في الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين: الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت سنة ١٩٦٨؛ مقارنة اللقاء بين

البابا بولس السادس ورئيسة الوزراء الاسرائيلية غولدا مائير، واللقاء بين البابا يوحنا بولس الثاني ورئيس منظّمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات.

ان للنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني أبعادا سياسية واجتماعية ـ اقتصادية ونفسية. ويكمن لبّ النزاع في مطالب متباعدة لشعبين ـ الفلسطيني والاسرائيلي ـ وجدا نفسيهما، ولاسباب تاريخيّة خاصة بهما متشابكين في سلسلة من الحوادث المأسوية. وقد أدّى هذا التوتّر الى صدامات عسكرية بين الجيوش العربية والاسرائيلية في ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، و١٩٧٣ (٣) .

ترتكز أسباب النزاع السياسيّة على تصميم الصهيونيين على اقامة دولة لليهود في فلسطين وعلى رفض السكان الفلسطينيين المخطّطات الصهيونيّة. وقد تطوّر هذا الرفض فيما بعد الى معارضة عسكرية متشدّدة. لقد تزامن وصول المستوطنين اليهود الى فلسطين مع المد الاستعماري الذي طبع سياسات بعض دول أوروبا الغربية (بريطانيا، فرنسا، المانيا، وايطاليا) ومع تنامي صراع العرب الخاضعين للحكم العثماني من أجل تقرير مصيرهم.

لكن لمسألة فلسطين جذورا اخرى هي:

١ ـ عدم التزام بريطانيا وعودها بالاستقلال التي اعطتها للزعامة العربية في الحرب العالمية الاولى.

٢ ـ ادراك الفلسطينيين ان وصول سكان غير أصليين الى البلاد مع ما يتوافر لهم من دعم خارجي كبير لدى المجموعات اليهودية والصهيونيّة من شأنه ترجيح كفّة الميزان المحلّي لصالح اليهود.

٣ـ اعتبار المستوطنات اليهودية في فلسطين تكملة "للمهمّة الحضارية" التي برّرت غالبية محاولات الاستعمار الأوروبيّة (٤).

لقد اقنع الصهيونيّون، في الواقع، بريطانيا بأن فلسطين، "أرض بدون شعب"، وجدت كي يقطن فيها اليهود خدمة لأهداف الصهيونيّة والسياسة

الامبريالية البريطانية على حدٍّ سواء. (٥)

أما على الصعيد الاجتماعي - الاقتصادي فيشكّل النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني عالما مصغّراً للنزاع المستمر بين الشمال الصناعي المتطوّر وبلاد الجنوب النامية. لقد اصطدم المستوطنون اليهود الذين حاربوا في الحروب الاوروبيّة والذين ساهموا بشكل ملموس في القيم الحضارية الغربية بالشعوب العربية والفلسطينيّة التي كانت تحاول تحرير أنفسها من نير قرون من السيطرة التركيّة. ان أحد العوامل الرئيسة في الصراع كان الهوّة التنظيميّة بين مجموعة يهوديّة شديدة الالتزام والتلاحم في انتشارها العالمي وبين السياسات العربية الخالية من التنظيم والتي ما زالت في مراحلها الاولى.

اضافة الى ما تقدّم فان للنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني أبعادا نفسية تتعلّق بأهميّة الارض والشعور بالخوف. ولما كان الشعبان الضحيّة والجلاّد معا، فان الاسرائيليين والفلسطينيين يشكّلان مرآة يعكس فيها كل منهما الآخر. فكلا الشعبين يحاول ايجاد هويّة ثابتة له. مثال على ذلك ما يقابله المسيحيون العرب الذين هم أيضا مواطنون اسرائيليّون من تعقيد عندما يحاولون تحديد هويّتهم. وينطبق الشيء نفسه على الاسرائيليين الذين أتوا من مجتمعات مختلفة كالولايات المتحدة الاميركية أو شمال افريقيا؛ كلهم يشتركون في مواطنية واحدة الا أن خلفياتهم الحضارية المختلفة تجعل عمليّة صهرهم الشامل في الجسم السياسي الاسرائيلي صعبة.

ان عدم الثبات في هوية الفلسطينيين والاسرائيليين يخلق مشكلة الخوف وعدم الأمان المتبادلة بين الشعبين. وينعكس هذا الشعور في عدم الأمان في الادعاءات بالحق والتعلّق بالأرض اللذين يبديهما كلٌّ من الفلسطينيين والاسرائيليين تجاه فلسطين. ان شرعية الادعاءات الاسرائيليّة يقابلها الوجود التاريخي الفلسطيني المتجذّر في الأرض المقدّسة.

في هذا النزاع اختار الكرسي الرسولي اتّباع السياسة التي تكرّس دوره

كوسيط وموفّق بين العرب والاسرائيليين، بين المسلمين واليهود، بين المسلمين والمسيحيين، وبين اليهود والمسيحيين. ولا تختلف هذه السياسة كثيرا عن تلك التي اتّبعها الكرسي الرسولي في الحرب اللبنانية التي اندلعت عام ١٩٧٥. لقد عرّف المونسنيور وليام اف. مورفي مساعد سكرتير اللجنة البابويّة للعدالة والسلام في خطاب ألقاه في بوسطن في أيار ١٩٨٣ طبيعة تدخّل الكرسي الرسولي في الاراضي المقدّسة بقوله:

> ينوي الكرسي الرسولي تقديم خدماته ومساعيه الحميدة مثل الوساطة والتحكيم بأية طريقة تتلاءم ومهمّته الروحية. ولا يبغي الكرسي الرسولي تقديم الحلول التقنيّة الخارجة عن قدرته بل يتمنّى ان يكون في خدمة الجميع لايجاد السبل الى سلام دائم وعادل يضمن الحقوق المشروعة لجميع الاطراف (٦).

في هذا التصريح المصوغ برويّة يوضح الكرسي الرسولي سياسة تدور حول قضايا رئيسة ثلاث:

١. ينوي الكرسي الرسولي الى القيام بدور الوسيط بين العرب والاسرائيليين.

٢. لا يبغي الكرسي الرسولي، نظرا لتركيبته الدينيّة، تقديم الحلول العمليّة للنزاع بل يسعى الى القيام بدور المسهّل لهذه الحلول.

٣. يعترف الكرسي الرسولي بالحقوق المشروعة لكل من الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني.

الاّ ان قراءة دقيقة للنص تشير الى وجود مدخل ضيّق لتدخّل الكرسي الرسولي. ان حقوق الفلسطينيين والاسرائيليين متعارضة بشكل رئيسي حتى يظهر أنه لا يمكن التوفيق بينهما اذ أن الاسرائيليين ينكرون وجود حقوق الفلسطينيين،

والفلسطينيّون يؤكّدون أن الحقائق التاريخيّة والواقع المجتمعي يعطيان مطالبهم القوميّة احقيّة راجحة. لذلك فان الكرسي البابوي يواجه، اضافة الى الجوانب الدينيّة للنزاع مهمّة تضييق الهوّة بين هذين الشعبين. اضف الى هذا أن الكرسي الرسولي ليس لاعبا محايدا في النزاع اذ أن له مصالح دنيويّة وروحيّة في الاراضي المقدّسة عليه الدفاع عنها، وهي تضيّق احيانا مجال تحركّه ومصداقيّته كوسيط لا غاية له.

- الكرسي الرسولي، اليهودية، اسرائيل، والفلسطينيين

شهد المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) نقطة تحوّل رئيسة في موقف الكنيسة الكاثوليكيّة من اليهوديّة. وقد طرحت المناقشات خلال هذا المجمع، اضافة الى أمور أخرى، مسألة تنقية التعاليم المسيحيّة من رواسب العداء للساميّة واقامة حوار صريح بين الكنيسة الكاثوليكيّة واليهوديّة(٧) . لقد عبّرت الكنيسة عن موقفها الأساسي من اليهوديّة في الاعلان الصادر عن مجلس الكنيسة حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحيّة (*Nostra Aetate*) وذلك في ٢٨ تشرين الأوّل (اكتوبر) ١٩٦٥(٨). وقد جاء في الاعلان أن مسؤولية موت المسيح لا يمكن "ان تقع على كل اليهود الذين عاشوا في ذلك الحين دون استثناء ولا على اليهود الموجودين اليوم". ويستنكر الاعلان (*Nostra Aetate*) "الحقد والاضطهاد والعداء للساميّة الموجّهة ضد اليهود في أيّ وقت من أي مصدر". ويتابع الاعلان: "مع أن الكنيسة هي شعب الله الجديد، يجب الاّ يصوّر اليهود كمنبوذين أو ملعونين من قبل الله كأن هذه الصور مستمدّة من الكتاب المقدّس"(٩). والى جانب الاعتراف بالتراث الروحي المشترك للمسيحيين واليهود والتشديد عليه يعبّر الاعلان عن رغبة "في رعاية وتشجيع التفاهم والاحترام المتبادلين اللذين هما ثمرة جميع الدراسات اللاهوتية والدينيّة والحوارات الأخويّة"(١٠).

وفي ضوء توصيات المجمع بدأ الكاثوليك حملة لتنقية ليتورجيّتهم من كل التعابير المسيئة لليهود. كما ان الحوار الكاثوليكي - اليهودي اتّخذ شكلا مؤسسيا

وذلك بتشكيل هيئة الاتصال الكاثوليكية ـ اليهوديّة العالمية سنة ١٩٧٠ التي جمعت خمسة ممثّلين عن الفاتيكان ومندوبين عن خمسة من أهم المنظّمات اليهودية في العالم (المجلس اليهودي في اسرائيل للتشاور بين الأديان، المجلس اليهودي العالمي، حلف بناي برث B'nai B'rith لمحاربة التشهير، اللجنة الأميركيّة اليهوديّة ومجلس كنيس أميركا). اضافة الى هذه الهيئة التي هدفت الى رعاية التفاهم المتبادل بين اتباع الدينيين، أسس الكرسي سنة ١٩٧٤ البعثة البابويّة للعلاقات الدينية مع اليهودية والتي الحقت بأمانة سرّ الوحدة المسيحيّة. وقد وصف الأب مارسيل دوبوا قرار الكرسي الرسولي بأنه "اشارة الى نموّ وعي الكنيسة الكاثوليكيّة لارتباطها بشعب الكتاب المقدّس"(١١). وقد ولّدت المبادرة التي اتّخذها بعض آباء المجمع بمعارضة تصريحات المجمع حول اليهوديّة جدالا داخليا حارا واثارت ردود فعل عاطفيّة جداً لدى افراد ومؤسسات مهتمين مباشرة بالنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني وذلك بالرغم من تصريحات الكرسي الرسولي الدائمة حول الطبيعة الدينيّة الصرفة للاعلان (الوثيقة).

اما من وجهة النظر اليهودية فان الاعتراض الأساسي كان على اللهجة الضعيفة جدا التي صيغ فيها اعلان الكنيسة الكاثوليكيّة وذلك لارضاء الأحبار المحافظين في الادارة البابويّة وكذلك نتيجة للضغوط التي مارسها المطارنة والسياسيّون العرب (١٢) أما النقطة الثانية التي أثارها مراقبون يهود وغير يهود فكانت ان المجمع الفاتيكاني الثاني اضطر حين بحث قضيّة اليهود (*Nostra Aetate* No.4) ان يأخذ في نظر الاعتبار حقائق مهمّة أخرى ترتبط بوجوده ومصالحه في البلاد العربية. فتحت اسم مستعار كتب مالاخي مارتن سنة ١٩٦٥:

"ان الفاتيكان حسّاس بالنسبة الى الضغوط العربية لأسباب متنوّعة، أولّها ان غالبيّة الكاثوليك في الشرق الاوسط يعيشون في البلاد العربية، يتكلّمون العربيّة لغتهم اليوميّة، وبعضهم يتحدر من اصل اسلامي. ان الاماكن المقدّسة الرئيسية موجودة في الاردن، كما ان الجزء الأكبر من ممتلكات الكنيسة: أراضي ـ

اديرة، مدارس ـ كنائس، موجود على الأراضي العربية. أضف الى هذا ان غالبية المسيحيين غير التابعين للفاتيكان يعيشون في البلاد العربية ويشاركون في الحضارة العربية. أخيرا ان سياسة الفاتيكان الخارجيّة مرتبطة بالسياسة الخارجيّة لايطاليا مما يعني، بين أمور أخرى، ان مصالح الكنيسة المالية مرتبطة بالمصالح الماليّة للعاصمة الايطاليّة. وبما ان الأسواق الطبيعيّة لايطاليا تقوم على الشواطئ الجنوبيّة والشرقيّة للبحر الأبيض المتوسط، اي بلاد المغرب والشرق الأوسط، فان المحافظة على صداقة حكّام هذه البلاد واجبة قدر المستطاع"(١٣).

وقد اثار هؤلاء المراقبون، أيضا، مسألة اهمية المصالح الاقتصاديّة كأحد العوامل الاساسيّة التي تقرّر سياسة الكرسي الرسولي في الشرق الأوسط. مثال على ذلك ما قاله الدكتور جيفري ويغودر بأنه لن يقلّل من اهميّة مقولة مارتن،(١٤) وأيضا ما كتبه الحاخام روز في دراسته حول الفاتيكان واليهوديّة:

"اذا افترضنا أن هناك لاحقا بعض المصالح الاقتصاديّة لايطاليا في شمال افريقيا والبلاد العربية، واذا أخذنا أيضا في نظر الاعتبار المقاطعة العربية الحقيقيّة جدا للشركات العالمية التي تتعاطى مع اسرائيل فان الاستنتاج ان التهديدات العربية للدوائر المالية الايطاليّة وللفاتيكان بالذات امرا منطقياً جدا"(١٥).

أمّا الباحث اللبناني ادمون ربّاط فلا ينفي اهميّة العوامل الاقتصادية بل يلفت:

> الى ان هذا الموضوع ضبابي، ومن الصعب جدًا توافر الوثائق حوله. لقد تصرّف الكرسي الرسولي دائما بسريّة تامة حيال هذا الموضوع(١٦).

أمّا في الجانب العربي والفلسطيني فكان التخوّف الأساسي من أن تستغلّ الصهيونيّة تصريحات المجمع الفاتيكاني الثاني حول اليهودية للحصول على

اعتراف دبلوماسي رسمي بدولة اسرائيل. اذ بينما كانت المناقشات تدور داخل المجمع كان السفير الاسرائيلي في ايطاليا وبعض المجموعات اليهوديّة ناشطين جدا لتامين الدعم للوثيقة حول اليهود *Nostra Aetate* وقد زعمت منظمة التحرير الفلسطينية في كتاب بعنوان **نحن والفاتيكان واسرائيل** نشره مركز الدراسات الفلسطينيّة في بيروت أن الصهيونيين كانوا يستغلّون شعور الكنيسة بالذنب تجاههم عقب مذبحة اليهود (١٧). وقد عادت وثيقة منظمة التحرير الفلسطينية الى مسرحية بعنوان النائب *The Deputy* التي نشرها رولف هوخوت Rolf Hochhuth في أوائل الستّينات والتي يتّهم فيها الكاتب البروتستانتي الالماني البابا بيوس الثاني عشر بالصمت ازاء المحرقة(١٨). وتدّعي الوثيقة الفلسطينيّة انه قبل المجمع الفاتيكاني الثاني وخلاله كان للحركة الصهيونية ثلاثة اهداف رئيسة: أولّها، اثارة النقمة ضد البابا بيوس الثاني عشر، ثانيها، اجبار الكنيسة على الاعتراف بالأهداف الصهيونيّة وكسب تعاطف الكاثوليك في العالم، ثالثها، الضغط على اباء المجمع لاعادة النظر جذرياً في تفسير الكتاب المقدّس فيما يتعلّق باضطهاد اليهود للجماعات المسيحيّة الأولى ومسؤولية اليهود في موت المسيح(١٩). وأكثر ما يثير الاهتمام أن الوثيقة الفلسطينيّة (٢٠) قد أنحت باللائمة على الكهنة العرب في المجمع كما على الدبلوماسيين العرب المعتمدين لدى الكرسي الرسولي ووكالات الأنباء العربية لعدم العلم المبكر لنقض الوثيقة حول اليهودية(٢١). الا أن الحكومات العربية كانت ناشطة جدا في لفت نظر الكرسي الرسولي الى أن تبنّي القرار حول اليهوديّة سيسيء الى وجود الكاثوليك والمسيحيين في الشرق الاوسط، وقد يؤدي الى انفصال الكنائس الشرقية عن الفاتيكان. وقد حاول المطارنة العرب التقليل من اهمية الاتهامات في قولها ان ليس للوثيقة أي معنى سياسي. وبنتيجة النقاش الطويل حول الموضوع اتّضح اكثر للعرب ان توجّه الكرسي الرسولي كان لاعتبارات دينيّة محض لا علاقة لها بالسياسة. وقد صوّت أغلب الاحبار العرب في الجلسة الاخيرة للمجمع لصالح القرار.

اثارت وثيقة منظّمة التحرير الفلسطينية ايضا الموقف الاسلامي تجاه المجمع الفاتيكاني الثاني اذ يذكر كاتب الوثيقة الخوف الذي سيتولّد عند المسلمين العرب من قرار يعلن براءة اليهود من جريمة قتل المسيح. ان مثل هذا القرار سيكون ضربة للحوار المسيحي ـ الاسلامي وسيخلق عقبة اضافية في الحوار بين الديانتين. كما ان الوثيقة الفلسطينية عبّرت عن شكوى الفلسطينيين من عدم تضامن المسيحيين في الغرب مع المسألة الفلسطينية:

> صحيح أن بعض المؤسسات المسيحيّة في الغرب قد أرسلت مساعدات الى اللاجئين الا ان هذه المساعدة الانسانية ليست تعبيرا عن دعم وكالات المساعدة المذكورة للفلسطينيين لقد امتنع المسلمون العرب عن اعتبار القضية الفلسطينيّة قضيّة عربية ـ اسلامية صرفة لأنّهم لا يريدون ان يتهمهم المسيحيّون العرب بالانحياز. بالرغم من كل هذا فان الغرب بقادته المدنيين والدينيين قد أظهر رغبته في الحوار مع الصهاينة في حين وقفت غالبيّة المسلمين والدول الاسلامية بثبات الى جانب حقوقنا كمسيحيين ومسلمين على حد سواء(٢٢).

وهكذا اثارت الوثيقة الفلسطينية نقطة مهمة جدا تتعلّق بالهوة بين المسيحيّة في الغرب والكنائس المسيحيّة الشرقية. ان رجال الدين المسيحيّين والكاثوليك في الغرب، لكونهم عايشوا مأساة اليهود في مجتمعاتهم وتعاطفوا معها، وبسبب الآثار الرهيبة لعداء الساميّة بين المسيحيين في أوروبا، شعروا ان الوقت قد حان لاجراء تغيير اساسي في موقف الكنيسة من اليهودية. ولم يتجاوب رجال دين عرب مرموقون مع هذه الدعوة الى التغيير لأنهم اعتبروا ان حل المسألة اليهوديّة كان الى حد كبير عاملا في مأساة الفلسطينيين. وباختصار فان اليهوديّة واسرائيل تحتلان

مكانة اعلى في سلّم أولويّات المسيحيّة في الغرب بينما الكنيسة الشرقية ملتحمة اجمالا مع القضيّة الفلسطينية والحوار المسيحي الاسلامي.

أضف الى هذا ان النزاع الفلسطيني - الاسرائيلي قد ولّد انقسامات داخل الكنيسة الكاثوليكيّة اذ برزت ثنائية بين محافظين في مجلس ادارة الفاتيكان وليبراليين من رجال الكنيسة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة. فالفريق الأول كان متحفّظاً على الربط بين الشعب اليهودي وفلسطين، بينما الفريق الثاني، أو على الأقلّ بعضه، قد بدأ حوارا ايجابيا مع اليهود والاسرائيليين في وقت كان تأييده لحقوق الفلسطينيين كلاما وحسب.

ان معارضة بعض الاحبار ورجال الدين الاعتراف بحقيقة الدولة اليهوديّة نابع من أن "الاعتراف باسرائيل هو البدء بعملية تاريخيّة لاهوتيّة ودينيّة طويلة لا تتجانس دائما مع بعض ما تفكر به بعض دوائر الفاتيكان حيال اسرائيل"(٢٣). ان المدخل لفهم هذا التردّد يكمن في أن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتبرت لقرون أن اليهود قد استنفذوا دورهم على مسرح التاريخ برفضهم اعتبار يسوع الناصري المسيح المنتظر(٢٤). وقد رفض الكرسي في تصريحاته الرسميّة الاعتراف بالرابط الزمني بين الشعب اليهودي وأرض اسرائيل. الا أن بعض المجموعات الكاثوليكيّة في أوروبا والولايات المتحدة قد اعترفت بهذا الرابط وذلك في تصريحات مثيرة للجدل صدرت عنها. لقد جاء في اعلان اللجنة الاسقفيّة الفرنسية للعلاقات مع اليهودية بعنوان "الموقف المسيحي من اليهوديّة" الصادر في ١٦ نيسان ١٩٧٣ ما يلي:

> بغض النظر عن التباعد الطبيعي في الخيارات السياسيّة فان الضمير العالمي لا يستطيع ان ينكر على الشعب اليهودي الذي خضع لتقلبات كثيرة عبر الزمن الحق والسبل لوجود سياسي بين الامم. وفي الوقت نفسه لا يمكن انكار هذين الحق وامكان الوجود على

> أولئك الذين أصبحوا ضحيّة الظلم الشديد نتيجة الخلافات المحليّة المتولّدة عن عودة اليهود (٢٥).

وقد رحّبت الدوائر اليهودية والاسرائيلية بما جاء في الوثيقة الفرنسيّة اذ كتب زفي وربلوفسكي Zwi Werblovski:

لقد لفت الأساقفة الفرنسيون النظر بكل عدالة وتجرّد الى ضرورة احترام "فهم الذات" عند اليهود والى حقيقة أن مفهوم التراث اليهودي للعلاقات بين الدين والنظام المجتمعي والحياة السياسيّة يختلف عن مفهوم هذه العلاقات في المسيحيّة(٢٦).

وقد اطلق على الوثيقة الفرنسيّة في اسرائيل عنوان "وعد بلفور الكاثوليكي"(٢٧). أمّا الكاثوليك في فرنسا، أو القائمون على امورهم الدينية على الأقلّ، فقد قرّروا أخيرا فهم الأهميّة السياسيّة للدولة اليهوديّة.

ومع أن الوثيقة الاسقفيّة الفرنسيّة قد ساوت بين الاعتراف بالرابط بين اليهود وفلسطين وحق الفلسطينيين في "وجود سياسي بين الأمم" فانها اثارت غضبة عارمة في الدول العربية. فقد صرّح ياسر عرفات، رئيس منظّمة التحرير الفلسطينيّة:

> ان الوثيقة مبنيّة على الابهام وعلى الخلط بين مجال الدين ومجال السياسة اذ تتبنّى فكرة "الشعب اليهودي" كما تفسّرها الايديولوجيّة الصهيونيّة، ولم تتبنّى معنى الشعب اليهودي كطائفة دينيّة عالميّة ينتمي أفرادها الى الدول التي هم مواطنون فيها(٢٨).

ومن بين التصريحات والمقالات العديدة التي قيلت أو صدرت ردًا على بيان الأساقفة الفرنسيّين تصريح اتّخذ شكل الاحتجاج أصدره في ٢ أيّار ١٩٧٣ اثنان واربعون كاهنا يسوعيًا يعيشون في لبنان يتّهمون فيه اللجنة الأسقفيّة الفرنسيّة

بتحاشي ذكر كلمة الفلسطينيين "مؤكدين بذلك المقولة الصهيونيّة ان ليس هناك شعب فلسطيني".

كما أن الكهنة اليسوعيين قد انحوا باللائمة على اسرائيل "لتسبّبها في تشريد مئات الوف اللاجئين" وتضيف رسالة الاحتجاج:

> اذا استنكرنا الاضطهاد الذي تعرّض له اليهود في اوروبا يجب علينا استنكار الاستعمال الدؤوب لذكرى من ماتوا لجعل الناس ينسون الاضطهاد الذي توقّعه اليوم دولة قويّة وقوية جدا بالآخرين(٢٩).

وهذه قضيّة مهمّة اخرى يؤكدها تردّد الكرسي الرسولي في التدخّل في الامور الداخليّة لليهوديّة. وقد شرح يهوشوا راش Yehoshua Rash هذا التردّد عندما كتب: "ألا يكون الفاتيكان قد ارتكب خطيئة تبنّي الخيار الصهيوني على حساب الحركات غير الصهيونية اذا ما اقام علاقات دبلوماسية مع القدس؟"(٣٠).

ان المسألة الأساسيّة هنا هي أن الصهيونيّة لا تعتبر المعبّر الوحيد عن مشاعر الشعب اليهودي. لقد اتّهم اليهود المتحرّرون الصهاينة تشويه الوجه الخلاصي والعالمي لليهوديّة وذلك بتبنّيهم مواقف رجعية وعنصريّة لتبرير أهدافهم. وقد وجد بعض المتحرّرين من اليهود في الاشتراكيّة جوابا عن المسألة اليهودية. أما الانتقاد الآخر فكان ان محاولة الصهاينة انشاء وطن لليهود قد أطلقت العنان للعداء للساميّة بين غير اليهود. وبمعنى ما فان الصراع هو بين اليهود الذين آمنوا بالصفة الدينيّة والعالميّة لليهوديّة وبين اليهود الذين دعوا الى قيام دولة لليهود في فلسطين خوفا من مذابح أخرى وعداء للساميّة. وفي مقالة مهمّة عن الجدال حول المواقف اليهوديّة من الصهيونيّة يوجز والتر لاكوار المشكلة بقوله:

> ان الاعتراض على الصهيونية يختصر في كونها حركة علمانيّة لا تتوافق مع الوجه الديني لليهوديّة، وهي كحركة سياسيّة لا تتماشى مع التشدّد الروحي في

اليهودية، وكحركة قوميّة فانها لا تتناسب مع الوجه العالمي لليهودية، كما انها شكّلت تهديدا لمصالح اليهود لانها شوّشت تفكير غير اليهود باليهود ممّا عرّض وضع هؤلاء للخطر(٣١).

لقد عكس الموقف الحذر الذي تبنّاه الكرس الرسولي من الصهيونيّة ومطالبها الطبيعة الجدليّة الكبرى للمسألة. وفي هذا السياق بدأ نقاش شهير في اوائل السبعينات بين الأب جوزف راين Joseph L. Ryan ، وهو مفكّر معروف بتأييده القضية الفلسطينيّة والأب ادوارد فلانري Edward H. Flannery الشهير بمواقفه المؤيّدة للصهيونيّة وكان يومئذ الأمين التنفيذي للعلاقات الكاثوليكيّة ـ اليهوديّة في الولايات المتحدة الاميركيّة. ان طبيعة الجدال بين الرجلين تمحورت حول اعتبار المسيحي المعادي للصهيونيّة معاديا للساميّة، حكما. وفي مقالة بعنوان "العداء للصهيونيّة والنفسيّة المسيحيّة" كتب الأب فلانري:

> "ان المسيحي هو المتوقّع منه خصّيصا أن يبتهج لتحسّن امور اليهود الذي حقّقته الصهيونيّة، أو أيّة منظمة اخرى، في وقتنا هذا"(٣٢).

وردا على هذا كتب الأب راين:

> "ان حرية انتقاد الصهيونيّة واسرائيل مفروضة على المسيحيّين واليهود معا لتنمية العلاقات الطيّبة المشتركة. ان هذه الحرية يفرضها ايضا اهتمامنا بالعدالة في الشرق الأوسط وبتنمية التفاهم بين المسلمين والمسيحيين وتحديدا مصلحة اليهود في اسرائيل(٣٣).

لقد اتّسم رد فعل الكرسي الرسولي تجاه الصهيونيّة منذ نشأتها وهدفها المعلن باقامة وطن لليهود في فلسطين بالسلبيّة اجمالا(٣٤). ان اهتمام الكرسي

الرسولي الأساسي كان بمصير الأماكن المقدّسة والوجود الكاثوليكي ومصالحه في الأرض المقدّسة. فعقب اعلان دولة اسرائيل في ١٤ أيّار ١٩٤٨ كتبت صحيفة الكرسي الرسولي *L'Osservatore Romano*

"ليست الصهيونيّة تجسيد لاسرائيل كما يصفها الكتاب المقدّس، انها ظاهرة حديثة تزنّر دولة اسرائيل الحديثة والتي هي علمانيّة، سياسيا وفلسفيا. ان الأراضي المقدّسة والأماكن المقدسة كما هي تشكّل جزءا لا يتجزأ من العالم المسيحي"(٣٥).

ومنذ ذلك الوقت حصل تطوّر في موقف الكرسي الرسولي من اسرائيل ينطوي على مزيج من التحيّز اللاهوتي والبراغماتيّة السياسيّة. وفي أعقاب حرب ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل والتي وقعت فيها الأماكن المقدّسة المسيحيّة تحت السيطرة الاسرائيليّة ارتأى الكرسي الرسولي اجراء محادثات غير رسميّة مع الحكومة الاسرائيليّة بغية ايجاد صيغة مؤقّتة لوضع المصالح الكاثوليكيّة في فلسطين. الا انه بالرغم من استعداده للاعتراف بالدولة اليهوديّة على انها كيان سياسي فان الكرسي الرسولي لم يقم علاقات دبلوماسيّة مع اسرائيل (اقام الفاتيكان علاقات دبلوماسية مع اسرائيل في ١٣ كانون الاول ١٩٩٣. راجع الفصل الرابع.) وقد عبّر عن هذا الموقف المونسنيور وليم مورفي William Murphy مساعد أمين سر الوفد البابوي للعدالة والسلام خلال ندوة العمل الوطني حول العلاقات المسيحية اليهوديّة التي عقدت في بوسطن في أيّار ١٩٨٣:

> ان الكرسي الرسولي يعترف بالوجود الواقعي لاسرائيل وبحقّها في الوجود وبحدود آمنة كما بكل الحقوق التي تعود لدولة ذات سيادة. ومن ناحية المبدأ ليس عند الكرسي الرسولي اي اشكال في اقامة علاقات دبلوماسية. الا أن هناك بعض الصعوبات والمشاكل التي يرغب الكرسي الرسولي في حلّها أوّلا.

واضيف انه قد جرت العادة الاّ يكون الكرسي الرسولي
هو البادئ في اقامة العلاقات الدبلوماسيّة مع أي بلد
من البلدان بالرغم من تقديره هذه العلاقات(٣٦).

ومن الأسباب المدينة التي يستعملها الكرسي الرسولي لتفسير غياب العلاقات الدبلوماسية مع الدولة اليهودية:

١ - الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢،

٢ - المستوطنات اليهودية في المناطق التي تحتلها اسرائيل في الضفّة الغربية وغزّة.

٣ - مصير الفلسطينيّين،

٤ - وضع القدس والاماكن المقدسة.

وقد اوضح الأب مرسيل دوبوا Marcel Dubois ان هذه الأسباب قد عبّر عنها امين سرّ المجمع لشؤون الكنيسة العامة الكاردينال اكيل سيلفستريني Achille Silvestrini في اجتماع ضمّه وممثّلين عن ست منظّمات يهودية(٣٧)

اما الدوافع الأخرى فيمكن اعتبارها نوعين: شكلي وأساسي. امّا الأمور الشكليّة فمنها تجنّب الكرسي الرسولي اقامة علاقات دبلوماسيّة مع أيّة دولة ليس لها حدود نهائيّة معترف بها. والمثال على ذلك هو موقف الكرسي الرسولي بالنسبة الى حدود اودر نايسه Oder-Neissé بين المانيا وبولونيا(٣٨).

امّا القضايا الأساسيّة فيمكن توزيعها على فئتين:

١ - تحاشي الكرسي الرسولي الاعتراف بالدول التي يقوم خلاف حولها وتكون الأوضاع فيها متقلّبة كما هي الحال مع اسرائيل اليوم،

٢ - التراجع الأساسي - ومنذ العصور الوسطى، في سلطة البابا المطلقة حيال القضايا المهمّة، اذ ان على البابا اليوم، أن يأخذ بالحسبان

"وجهة النظر العالمية كما وجهات نظر الكنائس في البلاد العربية (كالروم الكاثوليك، والموارنة والاقباط وغيرهم)"(٣٩).

اخيرا، ان هناك مشكلة أخرى ستنشأ في حال اقام الكرسي الرسولي علاقات دبلوماسية مع اسرائيل اذ كما هي الحال مع كل البلدان التي يقيم معها علاقات دبلوماسيّة فان الكرسي الرسولي سوف يطلب ضمانات تتعلّق بتنظيم التعليم والوجود الكاثوليكي في اسرائيل بالذات. ان بعض المحافظين من اليهود لا ينظرون بعين الرضا الى الوجود المسيحي في اسرائيل اذ يرون في النشاطات التبشيريّة المسيحيّة المحتملة تهديدا لهم(٤٠).

لقد اعتمد الكرسي الرسولي موقفا براغماتيا من الدولة اليهوديّة متخطّياً بذلك كل المشاكل والعوائق التي تقف في طريق علاقات طبيعيّة بينه وبين اسرائيل، وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل مدينة القدس. وقد قام المندوب البابوي باتصالات عدّة مع وزارة الخارجيّة الاسرائيليّة كما مع وزارة الشؤون الدينيّة. أمّا في روما فكان الدبلوماسيون الاسرائيليّون المعتمدون لدى الحكومة الايطاليّة يستقبلون غالبا في حاضرة الفاتيكان. وفي أعقاب الحرب العربية - الاسرائيلية عام ١٩٦٧ استقبل البابا بولس السادس وزير الخارجية الاسرائيلي أبا ايبان سنة ١٩٦٩ ورئيسة الوزراء غولدا مائير سنة ١٩٧٢ وموشي دايان سنة ١٩٧٨. كما قام بزيارة الفاتيكان كل من رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق اسحاق شامير سنة ١٩٨٢ ورئيس الوزراء شمعون بيريز سنة ١٩٨٥.

واذا كان موقف الفاتيكان التاريخي من اليهوديّة، مضافا الى غياب العلاقات الدبلوماسيّة مع اسرائيل، من العوامل التي قد تعيق من تحرك يؤخذ على الكرسي الرسولي فانها في الوقت نفسه تشكّل عاملا مهمّا لصالحه لأنه على اتّصال دائم مع جميع أطراف النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. اضف الى هذا أن الشهرة والتأثير اللذين يتمتّع بهما الكرسي الرسولي في المحافل العالميّة مثل الأمم المتحدة تدفعان بوضوح قادة اسرائيل لايلاء المواقف التي يتبنّاها الاهتمام الدقيق.

وفي انتقاد للموقف الاسرائيلي الرسمي من الكنائس المسيحيّة الشرقية في الاراضي المقدّسة وعدم اهتمام الحكومة الاسرائيليّة بهذه الكنائس يقول زفي وربلوفسكي : Zwi Werblovski "في النهاية وعندما يصل الأمر للتصويت داخل الأمم المتحدة فليس للكنائس الأرمنية والأرثوذكسية اليونانية الوزن السياسي نفسه الذي للفاتيكان"(٤١).

ثمّة عوامل ثلاثة مهمّة يجب ذكرها فيما يختصّ بالعلاقات الفاتيكانية ـ الاسرائيلية أولا، يعترف العالم بشرعية دولة الفاتيكان على أنها مقرّ الكرسي الرسولي، الا ان شرعيّة اسرائيل كموطن لليهوديّة ما يزال موضوع شك عند المنشقّين اليهود وفئة من غير اليهود. اما العامل الثاني لصالح الكرسي الرسولي فهو ان اسرائيل لا تريد ان تبعد علاقاتها عن الكرسي الرسولي لأنها تقيم علاقات دبلوماسيّة مع كثير من الدول التي فيها مجموعات كاثوليكيّة كبيرة. أخيرا، ان مسألة وضع العلاقات البابويّة ـ الاسرائيلية برمّتها قد اكتسبت بعدا جديدا حين تدخّل أعضاء كاثوليك ويهود في الكونغرس الأميركي وذلك في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٤ لحثّ البابا يوحنا بولس الثاني على البدء باتخاذ الخطوات الضرورية لاقامة علاقات مع اسرائيل(٤٢). وفي رأي المشترعين الأربعة والعشرين الأميركيين "سيكون تبادل السفراء بين اسرائيل والفاتيكان مفصلا في تاريخ العلاقات اليهودية ـ الكاثوليكية معادلا في أهميّته للمجمع الفاتيكاني الثاني"(٤٣).

من المحتمل في هذا التصريح الذي فيه بعض مغالاة أن يكون قد غاب عن اعضاء مجلس النواب الاميركيين أن للاعلان المتعلّق باليهود والصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني أهميّة دينيّة بحتة. ان اقامة علاقات دبلوماسيّة بين الفاتيكان والدولة اليهودية هو من شؤون السياسة الدنيويّة الذي من شأنه ان يضع الكرسي الرسولي في موقف حرج لا يمكن دعمه في الصراع العربي الاسرائيلي.

لقد جاءت دعوة أعضاء مجلس النواب الأميركي في وقت تواترت فيه أنباء عن خلاف داخل هيئة الكنيسة بين أحبار يؤيدون قيام وطن فلسطيني وأحبار يؤيدون

علاقات أوثق مع اسرائيل(٤٤). وقد نتجت هذه المسألة كلها عن تسريب معلومات الى وسائل الاعلام الأميركية بواسطة احدى العاملين في وزارة الخارجية الأميركية. وفي الواقع جرى لقاء بين السفير الأميركي لدى الكرسي الرسولي وليم ولسون William Wilson ومساعد شخصي لبابا يوحنا بولس الثاني شرط الاّ تعلن نتائج الاجتماع.

وفي رسالة بعث بها اليّ السفير ويلسون يعلّق على ما جاء اعلاه قائلا:

للأسف فإن هذا الأمر يلاقي تغطية اعلامية كبيرة جداً. برأيي ان هذه التغطية والتي تضخمت حديثا برسالة الى الأب الأقدس وقعّها فريق من النواب الاميركيين يمكن أن يكون لها الأثر السيء في تأجيل مثل هذا الأمر (اقامة علاقات مع اسرائيل) (٤٥).

هنا لا بد من ان نذكر نقطة مهمة تشكّل احد عوامل خلفية العلاقات الفاتيكاني: علاقة الكرسي الرسولي بالشعب الفلسطيني. ان العلاقة بين اليهودية ودولة اسرائيل يشبهها الرباط الشديد بين المسيحية والاسلام ومسألة فلسطين. معترفا بهذا العامل المهم، حاول الكرسي الرسولي تحسين علاقاته بالعالم الاسلامي عبر اجراء حوار مفتوح وصريح. في الحقيقة إن تاريخ العلاقات السابقة بين الكنيسة الكاثوليكية والاسلام كان حافلا بالمشاكل؛ فقد امتد الاسلام بسرعة الى قلب العالم المسيحي في القرون الأولى لتوسعه. وقد تلا التمدّد الغزو الأوروبي للشرق الأوسط تحت ستار الدين (الحروب الصليبية). وأخيرا في القرن التاسع عشر ارتبطت نشاطات الارساليات الكاثوليكية بالمشروع الاستعماري، احيانا. أمّا بعد الحرب العالمية الثانية فقد بدأ يعم تدريجيا تقليد احترام الديانات الأخرى في اللاهوت الكاثوليكي.

إن الموافقة الرسمية على التغيير في النظرة تمّ في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي تمنى فيه البابا يوحنا الثالث والعشرون التعميم على جميع الكاثوليك ما

سبق لبعض الكاثوليك ان اختبره من تجدّد في النظرة. فبعد النظر في امور الكنيسة الكاثوليكية الداخلية وفي علاقاتها بالعالم، تناول اباء المجمع مسألة العلاقات بين الكاثوليك والمؤمنين من الديانات الأخرى(٤٦). فبالنسبة الى الاسلام جاء في:

> بالرغم من الصراعات والعداوات التي قامت بين المسيحيين والمسلمين عبر العصور فان هذا المجمع الاقدس يحث الجميع على نسيان الماضي والسعي بصدق في سبيل تفاهم متبادل، من أجل البشرية جمعاء ليوحد الجميع جهودهم في سبيل تامين الحماية والرعاية للعدالة الاجتماعية، والقيم الاخلاقية والسلام والحرية(٤٧).

لقد وجدت البلاد العربية والاسلامية نفسها مع الكرسي الرسولي جنباً الى جنب ضد تحديات مشتركة كالإلحاد والماديّة واهتمامات مشتركة مثل مصير مدينة القدس. اضافة الى هذا الحوار المسيحي ـ الاسلامي شكلا مؤسّساتياً، وذلك عبر اجتماعات متعددة عقدت لهذه الغاية كما ان الكرسي الرسولي أقام قنوات رسمية يتمكن من خلالها من التعبير عن ارائه حول مصير الكاثوليك في البلاد العربية والاسلامية. وفي تشرين الأول ١٩٧٤ عيّن الكرسي الرسولي هيئة العلاقات الدينية من الاسلام، في اطار أمانة السر لغير المسيحيين. أضف الى ذلك انّ الكرسي الرسولي يقيم علاقات دبلوماسية طبيعية مع عدد من الدول العربية والاسلامية مثل السودان، الكويت، ايران، المغرب، باكستان، سوريا، تونس، العراق، مصر، لبنان، الاردن، تركيا، وليبيا.

لقد تبنى الكرسي الرسولي موقفاً متعاطفاً مع مأساة الشعب الفلسطيني وذلك منذ بدء النزاع الاسرائيلي الفلسطيني، وكان الدافع لهذا الموقف حرص البابوية على مصير الكاثوليك في فلسطين وعلى الحاجات الانسانية للاجئين

الفلسطينيين عقب الحروب المختلفة بين الجيوش العربية والاسرائيلية. زيادة على ذلك، كان دور الكرسي الرسولي أمينا للسياسة التي اتبعت بعد المجمع الفاتيكاني الثاني ولا سيما بعدما نشر البابا بولس السادس رقيمه المعروف "تقدم الشعوب" *Populorum Progressio* الذي دعا فيه الى تثبيت السلام عبر العدالة. ومنذ أواسط الستينات دان بابوات روما الأعمال الارهابية من اية جهة أتت ودعوا الى ايجاد حل عادل ومتوازن للصراع العربي - الاسرائيلي، وذلك في اطار القرارات التي تتبناها الأمم المتحدة(٤٨).

من الناحية الدبلوماسية، وفي حين يعترف الكرسي الرسولي بحق الفلسطينيين في وطن، فانه يرى انّ هذا لا يمكن أن يحصل بشكل منفصل اذ يجب ايجاد حل تتفق عليه وتتعاون من أجله كل الدول المعنية بالأمر(٤٩). في نهاية الستينات، وبعد هزيمة الجيوش العربية، أعاد الفلسطينيون تاكيد حنينهم الى انشاء دولة لهم وذلك بممارستهم العمل الفدائي(٥٠) وقد قابل مسؤول فاتيكاني، بين منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الصهيونية. اما الاب Dubois فقال: "لقد كانت الصهيونية اليهودية هي التي أدت الى يقظة الصهيونية الفسطينية"(٥١). لقد اصبحت الأعمال الفدائية وما ينتج عنها من أعمال انتقامية عسكرية الجواب النموذجي للنمط الذي ما زال يميز العلاقات بين الفسطينيين والاسرائيليين.

لقد حدثت تغييرات مهمة بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ في مجالات القيادة والسياسات والأعمال في منظمة التحرير الفلسطينية اذ ساندت منظمة التحرير الكفاح المسلح واستعادة فلسطين كلها. وهذا البرنامج بدا غير مقبول لا من العالم ولا من الكرسي الرسولي. إلا أنه بعد حرب ١٩٧٣ أعادت القيادة الفلسطينية العليا بزعامة ياسر عرفات تقويم الوضع واستنتجت أن ازالة اسرائيل من الوجود واقامة دولة علمانية واحدة في فلسطين لم يعد عمليا، فسوف يحول دون قبول معظم دول العالم بمنظمة التحرير الفلسطينية. لذلك بدا الزعماء الفلسطينيون المعتدلون بزعامة عرفات التخفيف من دعوتهم الى الكفاح المسلّح

ولاقامة دولة وحيدة في فلسطين، وأظهروا استعدادا للقبول بدولة فلسطينية مصغّرة تقام في الضفة الغربية لنهر الاردن وفي قطاع غزّة. كما بداوا بالتشديد على الوسائل الدبلوماسية والسياسة لبلوغ غايتهم. وبسبب هذه التغييرات في سياسات منظمة التحرير الفلسطينية وممارساتها، وبسبب اقتناع معظم دول العالم بأن المشكلة الفلسطينية هي القضية الأساسية للحل الشامل للنزاع العربي - الأسرائيلي وبأنه لن يكون هناك حل حقيقي ودائم من دون تامين الحقوق السياسية للفلسطينيين، فان معظم دول العالم بدأت بتأييد اقامة دولة فلسطينية والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني. وقد سهلّت هذه التطورات مسألة اعتراف الفاتيكان العلني بالحقوق الفلسطينية كما سهلّت اجراء الاتصالات بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

ان انبعاث الشعور الوطني الفلسطيني قد انعكس في خطابات البابا بولس السادس. ففي نهاية سنة ١٩٧٥ أعلن قداسته أن على كل من الفلسطينيين والاسرائيليين الأعتراف بحق كل منهما في تقرير مصيره وحقه في دولة. وقد تجسّدت مشاعر البابا بولس السادس في خطاب طالما استشهد به القاه في ٢٢ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٥ يقول فيه:

> حتى ولو وعينا جيداً المآسي القريبة الأجل التي دفعت بالشعب اليهودي لايجاد محمية امنة في دولة مستقلة وذات سيادة لهم، وبما اننا نعي هذا الأمر، فاننا نحسب أن اولاد هذا الشعب الى الاعتراف بالحقوق والتطلعات المشروعة لشعب آخر عانى الكثير ولوقت طويل هو شعب فلسطين(٥٢).

أما البابا يوحنا بولس الثاني، وبالنظر الى تاريخه الشخصي في بولونيا والذي كان موجها بشكل رئيسي للصراع من أجل العدالة والكرامة الانسانية، فانه تبنّى موقفاً اكثر فاعلية ووضوحاً من النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني(٥٣). وقد

توضحت الخطوط العريضة لموقف البابا من النزاع في خطاب مثير للجدل القاه في اوترانتو (ايطاليا) في ٥ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٠ اذ قال أن الوضع في الشرق الاوسط قد وصل الى مرحلة متفجرة ثم أوضح نظرته الى أسس الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين بقوله:

> لقد خلق الشعب اليهودي دولة اسرائيل بعد التجربة المأساوية التي أبادت الكثيرين من الأبناء والبنات وفي الوقت نفسه نشأ وضع حزين للشعب الفلسطيني الذي أخرج معظمه من أرضه(٥٤).

وقد كانت صراحة الخطاب مذهلة اذ لم يسبق لأي حبر أعظم ان ذهب الى حد الربط العلني بين مسؤولية اسرائيل الجزئية في مأساة الفلسطينيين.

لقد أثارت طبيعة الخطاب المثيرة للجدل غضب القادة اليهود والاسرائيليين ولم يقبلوا بشكل أساسي باستشهاد البابا يوحنا بولس الثاني بالوقائع التاريخية المتعلقة بالمسألة الفلسطينية. وفي ردّه على خطاب البابا عبّر الحاخام يوسف شتيرنشتاين Joseph Sternstein رئيس الاتحاد الاميركي الصهيوني عن وجهة نظر جماعته بقوله:

> ان العرب الذين يعيشون داخل حدود دولة اسرائيل المنشأة حديثا قد هربوا من بيوتهم بناء على طلب قادتهم العرب واصرارهم، وبالرغم من تأكيدات الجيش الاسرائيلي بضمان سلامتهم. زيادة على ذلك فان تصريح الفاتيكان يتجاهل حقيقة أنه في الوقت ذاته الذي هرب فيه العرب من بيوتهم في حيفا ويافا كان اليهود يطردون من بيوتهم في كل مدن العرب(٥٥).

يمكن اعتبار خطاب البابا يوحنا بولس الثاني اكثر التصريحات البابوية

صراحة حول الفلسطينيين، كما انه، ايضا، رمز للموقف الذي قرّر الكرسي الرسولي أن يتبنّاه على ضوء السياسات العسكرية والتوسّعية المتزايدة للحكومة الاسرائيلية في مواجهة الأراضي المحتلّة بعد ١٩٦٧. وفي الواقع نشرت صحيفة **اوسرفاتوري رومانو** بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٧ مثالا ينتقد سياسة الاستيطان الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية المحتلّة:

> من الواضح للجميع أن الوجود اليهودي الضخم في الأراضي المحتلة سيجعل من المستحيل تحقيق اعادة هذه الأراضي الى العرب. فبالنسبة الى الضفة الغربية، سيحدث ادخال السكان اليهود اليها انقلابا جذريا في الخطط الجاري اعدادها لانشاء وطن فلسطيني هناك، مهما يكن شكل هذا الوطن، وذلك لحل المشكلة الفلسطينية التي اصبحت من أكثر المشاكل تعقيداً وصعوبة في حبكة أزمة الشرق الأوسط(٥٦).

ان الخطط التي تذكرها الصحيفة هي تلك التي تمّ الاتفاق عليها في اتفاقيات كمب دايفيد سنة ١٩٧٨ بين مصر واسرائيل، تحت اشراف الولايات المتحدة. الواقع أن الكرسي الرسولي قد تبنّى موقفا لا يختلف عن موقف ادارة الرئيس كارتر بالنسبة الى الوضع المستقبلي للضفة الغربية وقطاع غزة. حتى ولو بقي الكرسي الرسولي امينا لسياسته المعلنة والقاضية بعدم تقديم "حلول فنية" للنزاع بين الفلسطينيين والاسرائيليين فانه مع هذا يبقى الباب مفتوحاً لدعم مشاركة الاردن في تقرير مصير الأراضي المحتلة.

بعد هذا العرض لموقف الكرسي الرسولي من اليهودية واسرائيل والفلسطينيين، سأتناول بالتحليل النواحي الأنسانية لتدّخل الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. واقع الحال أن تدّخل الكرسي الرسولي يوجّهه التزامه حقّ الشعوب في تقرير مصيرها وفي رعاية السلام عبر العدالة.

البعثة البابوية في فلسطين

يشكّل مصير الأقليات الكاثوليكية في الشرق الأوسط أحد الاهتمامات الرئيسية للكرسي الرسولي في المنطقة. ويرتبط هذا الحرص مباشرة بنكبة اللاجئين الفلسطينيين التي استدعت العناية البابوية الدائمة منذ بدء النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. لهذا السبب، وعلى ضوء التعاليم البابوية، انشأ الكرسي الرسولي مؤسستين تشرفان على المبادرات التربوية والمساعدات في الاراضي المقدسة وهما جامعة بيت لحم والبعثة البابوية في فلسطين.

لقد أُنشئت البعثة البابوية في فلسطين عام ١٩٤٩ بمبادرة البابا بيوس الثاني عشر Pius XII . كانت غايتها مساعدة اللاجئين الفلسطينيين عبر تأمين الخدمات التربوية، الثقافية، الدينية والانسانية لهم، وذلك قبل أن تنشئ الأمم المتحدة وكالة الغوث والتشغيل UNRWA للاهداف ذاتها. ان مكاتب البعثة البابوية الرئيسية قائمة في نيويورك، الاّ أن لها مكاتب اقليمية في بيروت والقدس وعمّان، ومكتب ارتباط في روما. وترتبط الوكالة البابوية ارتباطا وثيقا بمنظمة نظيرة لها مقرّها الولايات المتحدة وهي الجمعية الكاثوليكية لغوث الشرق الأدنى CNEWA وهي البعثة البابوية لمساعدة الكنائس الشرقية(٥٧). ان هذه الجميعة التي تأسست سنة ١٩٢٤ وجدت لتكون "الوسيلة الوحيدة المخوّلة جمع الأموال للمصالح الكاثوليكية في الشرق الأدنى وجرت التوصية بها الى جميع الكاثوليك في الولايات المتحدة"(٥٨).

وللتعريف بأهمية البعثة البابوية للعمل الأنساني في الشرق الأوسط بعث البابا بولس السادس رسالة الى رئيس هذه البعثة المونسنيور جون نولن John G. Nolan بتاريخ ١٦ تموز/يوليو ١٩٧٤ يقول فيها:

> ان عمل البعثة في فلسطين كان من اكثر الاشارات وضوحاً حول اهتمام الكرسي الرسولي بمصير الفلسطينيين الذين نكن لهم محبة خاصة لأنهم سكان

الأرض المقدسة، ولأن بينهم اتباعاً للمسيح، ولأنهم قد عانوا المأساة وما يزالون. إننا نكرر مشاركتنا القلبية لهم في عذابهم ودعمنا لهم في تطلعاتهم المشروعة. نأمل أن تجلب عنايتنا الأبوية الراحة والتشجيع لهم، ولا سيما للاجئين الذين يعيشون لسنوات طويلة في ظروف غير انسانية. ومما يؤسف له أن هذه الأوضاع قد ولّدت لدى كثيرين من الفلسطينيين شعوراً بالحرمان وعند بعضهم احتجاجاً عنيفاً نرانا بحزن مضطرين الى ادانته بشدة(٥٩).

لقد جسدّت الرسالة البابوية الأهمية التي يوليها الكرسي الرسولي لنكبة الشعب الفلسطيني الذي هو أولاً "شعب الأرض المقدسة" وله الحقوق ذاتها في تقرير المصير كما لأي شعب أصيل. كما أن هناك رداً ضمنياً على مزاعم الصهيونية أن فلسطين كانت أرضاً بغير شعب. ثانياً، ان بعض الفلسطينيين هم من المسيحيين وهذا سبب اساسي للاهتمام البابوي. واخيراً، يُعتبر الفلسطينيون شعباً يحبه البابا لأنهم كانوا وما زالوا "يعانون المأساة". ويعيد حرص البابا بولس السادس هذا الموضوع الذي يكّرره دائماً وهو رعاية السلام عبر العدالة.

هناك أيضا نقطتان مهمتان نتجتا عن رسالة البابا، أولهما انه عبّر "عن تأييده للتطلّعات الفلسطينية المشروعة" والتي تعني أن الكرسي الرسولي يساند من دون ذكر ذلك تصريحا الجهود الهادفة الى انشاء وطن فلسطيني. ثانيا، لقد أوضح البابا بولس السادس لماذا تدين البابوية "الاحتجاج باعمال العنف" التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون. ان إدانة الكرسي الرسولي لأعمال العنف قد تمت من ضمن وعي كامل للاسباب التي أدت الى أعمال العنف هذه.

جامعة بيت لحم

في عام ١٩٦٤ بعد زيارة الحج التي قام بها البابا بولس السادس الى

الأراضي المقدسة، اتّضح للكرسي الرسولي انه يجب القيام بعمل فوري للحدّ من انهيار الطوائف المسيحية ولتحسين مستوى التعليم. وكخطوة محدّدة وقّع المجمع المقدس للكناس الشرقية عقدا مع اخوة المدارس المسيحية (الاخوة المسيحيون) لادارة جامعة بيت لحم التي بدات بالعمل في ١ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣(٦٠). وفي مذكرة اعدّها الاسقف بيو لاغي Pio Laghi الذي اصبح فيما بعد الممّثل البابوي الدائم في واشنطن الى المونسنيور نولن Nolan ، وكان يومئذ رئيس البعثة البابوية، يذكر لاغي الحاجة الملّحة لانشاء جامعة بيت لحم فيقول:

> لقد كانت الجامعة ضرورية لابقاء النخبة هنا، ولولا ذلك لانعدمت القيادة في أي حقل من حقول الحياة الخاصة والعامة، وحتى الحياة الدينية. انه من الضروري تثبيت الوجود المسيحي في الاراضي المقدّسة واعطاء المثل على اهتمامنا ليس فقط بالحجارة والمعابد، بلّ بالشعب ايضا وبجيل الشباب تحديداً(٦١).

وقد اصبحت جامعة بيت لحم مع مؤسسات تربوية أخرى في الضفة الغربية مركزاً لتدريب قادة الدولة الفلسطينية المحتمل انشاؤها في المستقبل. وقد سبّب هذا الوضع توتراً لدى السلطات العسكرية الاسرائيلية.

ان الحكومة الاسرائيلية، كما يعتقد الأخ سكانلان Scanlan نائب رئيس جامعة بيت لحم، قلقة من نجاح المؤسسات التربوية في استقرار السكان ورفع مستواهم العلمي: "فيما نثبت السكان، نعاكس سياسات الحكومة (الاسرائيلية) الحالية التي ترغب في زيادة الهجرة وجعل عملية ضمّ الأراضي اكثر سهولة"(٦٢). إضافة الى هذا فان الجامعات هي المؤسسات الوحيدة المهمة الباقية في الضفة الغربية. وفي تشديد على هذا العامل يقول الأخ سكانلان Scanlan انــه "اذا اقفلت الجامعات فإن الضغط التالي سيتركز على الكنائس كونها تؤمّن عدة خدمات اجتماعية أي انها ترتكب "الخطيئة" نفسها التي نرتكبها نحن"(٦٣).

إن شك الحكومة الاسرائيلية في جامعة بيت لحم وغيرها من المؤسسات الثقافية الفلسطينية يعكس كيف ان التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن بطريقة معكوسة. ففي عام ١٩٢٢، اي قبل انشاء الدولة اليهودية بحوالي عشرين سنة قام، حاييم وايزمن Chaim Weizmann الدبلوماسي الاسرائيلي الأبرز بمقابلة الكاردينال غاسباري Gasparri ، وكان يومها وزير خارجية الفاتيكان. في هذه المقابلة شرح وايزمن للكاردينال اهداف الوطن القومي لليهود في فلسطين. وبعد شرح مفصّل لما يقوم به المستوطنون الصهاينة من اعمال كجرّ المياه والتشجير والتعليم، الخ، نظر غاسباري الى ضيفه وقال بالفرنسية متعجباً: "C'est votre université que je crains" اي "انها جامعتكم التي اخاف"(٦٤).

ان مقولتي الأولى التي سبق ذكرها والمتعلقة بالتزام الكرسي الرسولي حق الشعوب في تقرير مصيرها قد تمّ تاكيده في حالات اختبارية مختارة. لقد برهن الكرسي الرسولي عن إهتماماته الانسانية بالفلسطينيين عبر اعمال ملموسة. فالبعثة البابوية في فلسطين قدمت العون والمساعدة للاجئين كما أمنت لهم حاجاتهم الدينية. البعثة البابوية مؤسسة استحدثت في اطار مهمة الكنيسة مساعدة المغلوب على أمرهم والمقهورين. وليست جامعة بيت لحم الاّ تعبيراً عن الأهمية الملحّة التي يشعر بها الكرسي الرسولي تجاه الأرض المقدّسة. ان شعورا يراود للبابوية بأن "الوقت يكاد ينفد" ومثله الشعور بالقلق على جيل الشباب. وبالفعل فان الكرسي الرسولي يعرف انه اذا لم يوقف الخروج الجماعي للشباب من الأراضي المقدسة فان الدور الوحيد الباقي للكنيسة سيكون دور حافظ المتاحف والحجارة. لذلك كان التعليم هو الجواب الفعّال على الحاجة الى الاحتفاظ بالقادة وتدريبهم، توفيراً لأسباب عدم هجرتهم. ان ما يسترعي الأهتمام في هذا المجال هو ان الكرسي الرسولي يسهم بفعالية، وبشكل غير مباشر، في ايجاد بذور الوطن الفلسطيني. وبما أن الكرسي الرسولي يشرف مباشرة على جامعة بيت لحم فان على السلطة العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية التزام الحذر الشديد في تقرير التضييق على الجامعة او اغلاقها ولو بشكل موقت. ان ايّ ضرر يلحق

بالجامعة التي يموّلها الفاتيكان سيهدّد صيغة التعايش القائمة بين الفاتيكان والقدس، وبما أن النزاع بين الفلسطينيين والاسرائيليين متّصل مباشرة بمصير الكاثوليك في الأرض المقدسة فان الكرسي الرسولي لا يسعه تبني سياسة المتفرج المحايد في النزاع. الاّ أنه كان على الكرسي الرسولي من منطلق توفير قدرته على الدفاع عن مصالحه والمحافظة على مصداقية تدخله في النزاع، ان يتبنّى موقفا علنيا مبنياً على عدم الانحياز.

الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت (١٩٦٨)

في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨، في اعقاب هجوم نفذّه فلسطينيون على طائرة اسرائيلية في أثينا قامت قوة من المغاوير الاسرائيليين بعمل انزال عسكري في مطار بيروت الدولي ودمّرت الاسطول الجوي المدني اللبناني باكمله. بعد يومين، أرسل البابا بولس السادس برقية الى الرئيس اللبناني شارل حلو يعبّر له فيها عن اسفه بقوله:

> نودّ التعبير لفخامتكم عن حزننا للحادث الجلل الذي حصل في بيروت. اننا ندين بقوة أعمال العنف من أية جهة أتت. انها لا يمكن الاّ ان تزيد الوضع المتأزم خطورة(٦٥).

وقد حثّ البابا اللبنانيين على عدم الانسياق في طريق العنف بانتقامهم من اسرائيل.

أما في اسرائيل، حيث لم ينشر نص الرسالة البابوية كاملا، فكانت ردود الفعل نابعة من الغضب من عدم عدالة البابا بولس السادس في معاملته لاسرائيل. وقد كتبت صحيفة **جيروزالم بوست** في افتتاحيتها:

> ان صمت الفاتيكان الغريب زمن مذبحة اليهود سيستمر كلما تعرضت حياة اليهود للخطر، أكان ذلك

> في الدول العربية أو خلف الستار الحديدي، أو كلما قتل الاسرائيليون في بلدهم أو في اي بلد اخر. انه لمن الطبيعي أن نردّ على هذا الموقف المنحاز(٦٦).

من المهم ان نذكر في هذا المجال أن البابا بولس السادس لم يتمتع بالقدر ذاته من الشعبية التي كانت لسلفه البابا يوحنا الثالث والعشرين في اسرائيل. فخلال توقف قصير في اسرائيل عام ١٩٦٤ دافع البابا بولس السادس عن أعمال البابا بيوس الثاني عشر خلال المحرقة(٦٧). اضف الى هذا أن الغضب الاسرائيلي على برقية الحبر الأعظم قد نشأ من الصمت الذي التزمه الكرسي الرسولي عندما انفجرت القنابل التي زرعها الفدائيون الفلسطينيون سابقا في أهداف اسرائيلية مثل قبر البطاركة Tomb of the Patriarchs في الخليل وسوق Mahane Yehuda في القدس.

ان العاصفة العاطفية التي اثارتها رسالة البابا في اسرائيل قد توّجت بخطاب تهجّمي عنيف القاه الحاخام الاكبر لليهود الشرقيين(٦٨) (SEFARDI)، Chief Rabbi Nissim وفيه يتّهم البابا بولس السادس بشنّ حرب "شاملة على البلد الذي اختاره الله لشعبه"(٦٩). وفي حنقه على رسالة البابا الى الرئيس اللبناني وجد حاخام اسرائيل الأكبر في افتتاحية لجريدة **الاوسيرفاتوري رومانو** سببا آخر لنفث غضبه على الكرسي الرسولي(٧٠). الا ان الحكومة الاسرائيلية شعرت أن نيسيم قد غالى في رد فعله وان تصريحه الذي صدر من دون تشاور مسبق قد يسيء الى التقارب بين الشعب اليهودي والكنيسة الكاثوليكية(٧١).

لقد أثار هذا الحادث غضباً وصرخة شعبية في اسرائيل، اذ تولّد من الشعور بأن البابا بولس السادس قد بعث بمؤاساته الى لبنان من دون ادانة الهجمات الفلسطينية على أهداف اسرائيلية. ومع هذا فقد تفهّم بعض المراقبين الاسرائيليين لهجة الاعتدال في رسالة البابا. وقد اخذت صحيفة **هاآرتس**

Haaretz من كبريات الصحف الاسرائيلية، على عاتقها مهمة وضع الأمور في المنظار الصحيح. فبعد أن انتقدت الصحيفة كلمات الحاخام نيسيم القاسية، مضت تقول أن البابا بولس السادس هو، في الاساس، بابا الكاثوليك،

> وليس كل الشعوب... انه مفهوم بالتأكيد أن للبابا معيار افضليات. إنه لم يبعث بكتاب مؤاساة عندما نسفنا الجسور وقتلنا المدنيين والعسكريين الاردنيين والمصريين. ولكن عندما يتعلق الامر بدولة (كلبنان) حيث يشكل الكاثوليك اكثر من ٥٠٪ من السكان، وعندما ناخذ في نظر الاعتبار الوضع الصعب الذي يواجهه هؤلاء فمن الطبيعي جدا أن يشاركهم البابا الامهم. في النهاية انه حبرهم الأعظم(٧٢).

وقد أشارت الصحيفة الاسرائيلية الى أن رسالة البابا بولس السادس قد عبّرت عن رفضه اي عمل من أعمال العدوان من اية جهة أتى:

> "أليس هذا ادانة حقيقية للأرهاب العربي وبخاصة عندما نتذكر أن الرسالة موجهة الى رئيس دولة عربية الا يجب التنويه بالبابا بدل ادانته"(٧٣).

وقد اظهرت افتتاحية الصحيفة الاسرائيلية انه بالرغم من المرارة في التعبير التي أثارتها رسالة البابا الى الرئيس اللبناني في اسرائيل فان بعض الاسرائيليين يمكنهم المحافظة على شيء من التوازن في الحكم على عمل البابا بولس السادس.

ان قضية الغارة على مطار بيروت قد انتهت بعد لقاء خاص في ٦ كانون الثاني ١٩٦٩، منحه البابا للمرحوم الدكتور ناحوم غولدمان Nahum Goldman رئيس المجلس اليهودي العالمي. وكانت الخطوة البابوية محاولة لتصحيح الانطباع أن البابا بولس السادس منحاز ضد اسرائيل.

اخيرا، علينا ان نتذكر أن الغارة الاسرائيلية وجهت ضد لبنان الذي كان تبنى حتى نهاية الستينات موقفاً محايداً في النزاع العربي - الاسرائيلي. أضف الى هذا أن اهمية لبنان تنبع من كون الكرسي الرسولي يخصه باولوية مميزة للحفاظ على صيغة التعايش التعددية بين المسيحيين والمسلمين. وفي الواقع، قال البابا بولس السادس لأحد الصحافيين الايطاليين في اليوم الذي تلا الغارة الاسرائيلية انه يعتبر هذا اليوم "احدا اسود"(٧٤) لقد تهيأ للبابا بأن ثمة نيّة لاستدراج لبنان الى النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. وقد تأكد شعور البابا بولس السادس اكثر عندما كتب أحد الدبلوماسيين اللبنانيين ان "لبنان لم يعر كلمات البابا كبير اهتمام، بينما اثبتت الأيام صحتها"(٧٥).

ان مسألة رد الفعل البابوي على الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت تمثّل كيف انه من شبه المستحيل على الكرسي الرسولي أن يتبنى موقفا محايدا ويسلم من الانتقاد. ان المنبع الاساسي لسوء الفهم بين بعض الاسرائيليين والكرسي الرسولي يتركز على عوامل دينية وتاريخية. فالعوامل الدينية تتكلل بالشرخ العميق القائم بين بعض الفرق اليهودية والكنيسة الكاثوليكية. مثال ذلك أن الحاخام نيسيم كان معارضا قويا لأي حوار مع الكاثوليك اذ اعتبر حاخام اسرائيل الأكبر أن المثال الأعلى لليهودية هو أن تكون "في عزلة رائعة"(٧٦) أما العوامل التاريخية فتتكلل بالذكرى الحية للابادة اليهودية وموقف الكرسي الرسولي من اليهود حينئذ.

غولدا مائير والبابا بولس السادس(١٩٧٣)

بالرغم من غياب العلاقات الدبلوماسية بين الكرسي الرسولي والدولة اليهودية اعتبرت زيارة غولدا مائير الى الفاتيكان حدثا تاريخيا. لقد كانت المرة الأولى التي يستقبل فيها حبر أعظم رئيس وزراء اسرائيلياً: اضف الى ذلك انه على ضوء الاحتلال الاسرائيلي للجزء الشرقي من القدس بعد حرب ١٩٦٧ كان الكرسي الرسولي يحاول ايجاد ترتيبات مع السلطات الاسرائيلية تتعلق بوضع المجموعة الكاثوليكية التي تعيش في الارض المقدسة. لقد اعتبرت زيارة غولدا مائير للفاتيكان

فاتحة خير ومناسبة لأظهار الاهتمامات البابوية. ومن العوامل التي سهلت هذا اللقاء ذوبان جليد العلاقات بين اسرائيل والكرسي الرسولي في اعقاب حرب ١٩٦٧. فبعد اللقاء الذي دام ساعة اصدر الكرسي الرسولي في ١٥ كانون الثاني ١٩٧٣ نشرة جاء فيها:

> ان البابا بولس السادس، بعد أن عرض تاريخ الشعب اليهودي ومعاناته، شرح وجهة نظر الكرسي الرسولي حول القضايا التي تمس مهمته الانسانية مباشرة كمثل مسألة اللاجئين ووضع الطوائف المختلفة في الأرض المقدسة كما شرح القضايا المتعلقة بمهمته الدينية المحددة بالنسبة الى الاماكن المقدسة وللوجه العالمي لمدينة القدس(٧٧).

وبحسب نشرة الكرسي الرسولي فان غولدا مائير تكلمت على "ظاهرة الارهاب والوضع المميز للمجموعات اليهودية في اجزاء مختلفة من العالم"(٧٨). وقد ذكرت رئيسة الوزراء الاسرائيلية في مذكراتها انها طلبت من البابا بولس السادس "أن يستعمل تاثيره لأيجاد حل في الشرق الأوسط ولعمل ما في وسعه لاعادة الاسرى الاسرائيليين المسجونين في السجون المصرية والسورية منذ حرب الاستنزاف (١٩٧٠) الذين رفضت الدولتان العربيتان اطلاق سراحهم"(٧٩).

ووعيا منه لردود الفعل العربية على القرار البابوي مقابلة رئيسة وزراء اسرائيل، وقبل توزيع نشرة الكرسي الرسولي الرسمية على الصحافة، ادلى البروفسور فدريكو السندريني Federico Alessandrini مدير المكتب الصحافي في الفاتيكان، بتصريح شفوي قال فيه:

> ان اللقاء بين البابا بولس السادس وغولدا مائير لا يعني ايّ تغيير ولا يجب أن يدل على ذلك - في الواقع لم يحدث اي تغيير كما ليس هناك من سبب للتغيير في

موقف الكرسي الرسولي بالنسبة الى مشاكل الاراضي المقدسة... ان موقف الكرسي الرسولي بالنسبة الى اسرائيل يبقى على حاله كذلك. لقد قبل البابا طلب غولدا مائير (المقابلة) لأنه يعتبر من واجبه عدم تفويت أية فرصة للعمل في سبيل السلام او الدفاع عن الحقوق الانسانية لهذه المجموعات أو الدفاع عن المصالح الدينية للجميع، ثم، بوجه خاص، لمساعدة الأضعف والأقل دفاعاً وفي الدرجة الأولى اللاجئين الفلسطينيين(٨٠).

ان تصريح السندريني الشفوي كان غير عادي بحسب المعايير الدبلوماسية للفاتيكان. لقد اراد الكرسي الرسولي وضع الأمور في نصابها الصحيح واستباق أية تخمينات دعائية من قبل الجانبين العربي والاسرائيلي على حدّ سواء. زدّ على ذلك أنّ صراحة الناطق باسم الكرسي الرسولي لم تترك مجالا للشك حول موقف الكرسي الرسولي من النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. لقد شدّدت الملاحظة الشفوية التي أبداها السندريني بوضوح على النمط الثالث للدبلوماسية البابوية. ان تدخل البابوية في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني يحفزه:

١- الاهتمام بالسلام،

٢- الدفاع عن الحقوق الانسانية وحقوق المجموعات التي تعيش في الارض المقدسة،

٣- الدفاع عن المصالح الدينية لليهود والمسيحيين والمسلمين،

٤- تقديم المساعدة الانسانية للفلسطينيين الذين يرى البابا في نكبتهم شأناً مهماً جداً.

اذا ادركنا صعوبة النزاع بين العرب والاسرائيليين تبيّن لنا ان استقبال

البابا غولدا مائير يعتبر عملاً دبلوماسياً ماهراً من جانب الكرسي الرسولي. فقد رات صحيفة **الأنوار** اللبنانية أن حصول اللقاء في ذاته كان، للأسف، "انجازاً للدبلوماسية الاسرائيلية التي تمكنت من حمل الفاتيكان على استقبال مسؤول اسرائيلي من مستوى رئيس الوزراء وذلك منذ العام ١٩٤٨"(٨١). ولكن عددا من الزعماء العرب اثنوا على الموقف الحازم الذي وقفه البابا في محادثاته مع غولدا مائير.

لقد اعتبرت وسائل الاعلام الاسرائيلية التصريح الشفوي الذي ادلى به الناطق باسم الفاتيكان "إهانة لاسرائيل وللشعب اليهودي"(٨٢). ففي ردها على هذا التصريح، وخرقاً منها لقاعدة التكتم التي تحيط عادة باللقاءات البابوية، كشفت غولدا مائير عن طبيعة لقائها بالبابا بولس السادس وذلك في مقابلة اجرتها مع صحيفة **معاريف** الاسرائيلية المسائية. ففي تلك المقابلة تطرّقت غولدا مائير الى الطبيعة الجدلية للقائها مع البابا، اذ قالت انها "لم تحبَّ بداية الحديث على الاطلاق، لقد قال لي البابا على هامش الحوار انه يجد صعوبة في فهم كيف أن الشعب اليهودي الذي يجب ان يكون رحوماً يتصرف بهذه القسوة في بلده"(٨٣). ان ملاحظة البابا بولس السادس كانت اشارة غير عادية الى اهتمام الحبر الاعظم بالفلسطينيين كما انها اشارت الى التحفظ الذي يعتمده الكرسي الرسولي في تعامله العلني.

وفي مكان اخر من المقابلة، وفي تخمينها اذا كان لقاؤها في الفاتيكان سيؤدي الى اقامة علاقات دبلوماسية رسمية بين اسرائيل والكرسي الرسولي، قالت غولدا مائير:

> لقد اكتفيت في هذه المرحلة بقول البابا "شكرا" ثلاث مرات، وذلك على تعرفنا بالنسبة الى الاماكن المقدسة في القدس وبالنسبة الى المسيحيين(٨٤).

لقد لخّص اللقاء بين البابا بولس السادس وغولدا مائير الطبيعة الصدامية

للعلاقة بين الكرسي الرسولي واسرائيل. الاّ أن الجانب الجدلي من اللقاء طغت عليه رغبة الطرفين في الوصول الى حد أدنى من التفاهم البراغماتي، ولا سيما أن الدولة اليهودية تسيطر الآن على الأماكن المقدسة في المسيحية.

اذا كانت البراغماتية حافزا رئيساً لقرار الحبر الأعظم مقابلة رئيسة وزراء اسرائيل فان السياسة الواقعية نفسها حفزت قرار البابا يوحنا بولس الثاني لقاء ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.

ياسر عرفات والبابا يوحنا بولس الثاني (١٩٨٢)

ان وضع هذا اللقاء في اطاره الصحيح يوجب ذكر واقع مفاده أن حوادث عدة متصلة بالنزاع العربي - الاسرائيلي ساعدت البابا يوحنا بولس الثاني على اتخاذ قراره. لقد وافق الحكام العرب، وياسر عرفات ايضا، في مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة فاس (المغرب) سنة ١٩٨٢ على قرار يعترف ضمنا، الى جانب امور اخرى بوجود اسرائيل. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتقبّل فيها تجمّع عربي حقيقة الدولة اليهودية. لقد كان اعلان فاس، بشكل ما، رداً على المبادرات الدبلوماسية العالمية كمثل اعلان البندقية الصادر عن المجموعة الاوروبية في ١٣ حزيران ١٩٨٠ والذي شدّد على أهمية اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في أية تسوية للنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني(٨٥). اضف الى هذا أن اللقاء مع الزعيم الفلسطيني قد تمّ على أساس كون عرفات شخصية مرموقة تقدر أن تقول "نعم" أو "لا" لأي قرار يتعلق بمصير شعبه(٨٦). وقد سمح اللقاء بين ياسر عرفات والبابا يوحنا بولس الثاني أن يعبّر الكرسي الرسولي بشدّة عن موقفه من النزاع في الشرق الاوسط.

لقد جاء الاعلان عن اللقاء كالصدمة لبعض الاسرائيليين المهتمين مباشرة بالحوار الكاثوليكي - اليهودي. وقد عبّر الدكتور جوفري ويغودر Geofrey Wigoder عن الاعتقاد أن اللقاء مع عرفات كان قرارا شخصيا للبابا(٨٧). وقد أوضح العالم الاسرائيلي أن مصادر الفاتيكان أعطت المصادر اليهودية الاسباب

الآتيــة لقــرار البــابا يوحنا بولس الثــاني: أولاً، اراد البــابا ايصــال رســالة الى الفلسطينيين، ثانياً، على ضوء السياسة التقليدية التي اوجدها الكرسي الرسولي، فــان البـابا يقـابل طرفي النزاع في اية نزاع يوليه اهتمـام. ولا يجب باي شكل من الاشكال تفسير اللقاء مع عرفات على انه ينطوي على اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية(٨٨).

وقد ردّ ويفودر على هذه الاسباب معبرا عن مشاعر اليهود والاسرائيليين بما يلي:

> لقد شعرنا من جهتنا أنه اذا اراد البابا ايصال رسالة الى الفلسطينيين فان هناك طرقا اخرى لايصالها غير عرفات الذي يمثل لنا الشيء الكثير(٨٩).

وفي معرض انتقاده للقاء غير المعلن بين عرفات والبابا، عبّر مسؤول اسرائيلي لم يعلن عن اسمه ويعتقد انه رئيس الوزراء بيغن نفسه عن غضب حكومته بهذه الكلمات:

> ان الكنيسة التي لم تنبس ببنت شفة حول مذابح اليهود لمدة ست سنوات في اوروبا والتي لم يكن لها الكثير لتقوله حول قتل المسيحيين في لبنان لمدة سبع سنوات، حاضرة الآن للقاء الرجل الذي ارتكب المذابح في لبنان والذي يريد تدمير اسرائيل كي يكمل العمل الذي بدأه النازيون في المانيا... اذا كان (يوحنا بولس الثاني) قابل عرفات فان هذا دليل على مستوى اخلاقي معين(٩٠).

لقد لخص هذا التصريح الطبيعة الصدامية للعلاقة بين الكرسي الرسولي واليهودية ودولة اسرائيل. ففي نظر الحكومة الاسرائيلية أن اعطاء الصفة الشرعية

للزعيم الفلسطيني كان اللعنة الكاملة، لا سيما أن اللقاء مع عرفات عقد في أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ والذي هدف الى تدمير ما تبقى من قوات منظمة التحرير الفلسطينية العاملة في لبنان.

اضافة الى هذا تضمّن التصريح الاسرائيلي اتهاما ذا شقين: اولهما، الجدال حول ان الكنيسة الكاثوليكية لم تتخذ الخطوات اللازمة لحماية اليهود من الابادة، ثانيهما، ان الاسرائيليين أنحوا باللائمة على الكرسي الرسولي لعدم دفاعه بقوة عن المسيحيين اللبنانيين الذين تعرضوا لهجوم قوات منظمة التحرير الفلسطينية وحلفائها اليساريين والمسلمين.

إن مسألة لبنان كانت نقطة خلاف في العلاقة بين الكرسي الرسولي واسرائيل، والميليشيات المسيحية في لبنان، كما سنعرض لهذا الأمر بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الكتاب. ان ما يجب التشديد عليه هنا هو أن مبادرة البابا (بلقاء عرفات) قد تأثرت بقوة بقرار الاسرائيليين غزو لبنان. وفي معرض التقويم لحسنات اللقاء مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وسيئاته لا بد من أن يكون الحبر الأعظم قد قدّر أن الغزو الاسرائيلي الكبير للبنان يفوق كل الاتهامات بأن الفلسطينيين كانوا عازمين على تدمير الدولة اليهودية.

اخيراً، ان الكلمات القاسية التي استعملتها الحكومة الاسرائيلية ضد شخص البابا يوحنا بولس الثاني لم تخدم الاهداف الاسرائيلية. وقد قال الحاخام مارك تاننباوم Marc M. Tannenbaum مدير اللجنة الاميركية اليهودية للشؤون القومية بين الأديان إن:

> "اللهجة الرسمية الاسرائيلية الغاضبة قد خلّقت الانطباع بأن القضية الوحيدة هي بيغن ضد البابا بينما المسألة الحقيقية هي في لاخلقية ان يصل عرفات الى البابا"(٩١).

وفي تعليقها على الكلمات الشائنة التي الصقت بالحبر الاعظم، كشف البيان الرسمي الصادر عن الفاتيكان ان تصريح المسؤول الاسرائيلي اظهر "قلة احترام لشخص حبر اعظم لا يمكن لأحد ان يتجاهل ما قاله في مناسبات عدة استنكاراً وادانة للابادة النازية للشعب اليهودي (وغير اليهودي) وخاصة خلال زيارته لمعسكر اوشفيتس Auschwitz" (٩٢). إن هذه الفقرة الاخيرة لاشارة صريحة الى كيف ان خلفية البابا يوحنا بولس الثاني البولونية تؤثر في آرائه في قضايا العالم. وفي هذه الحالة بالذات اراد تصريح الفاتيكان أن يؤكد انه كان هناك، اضافة الى اليهود الذين يشكلون الهدف الاكبر لمخططات الابادة النازية، شعوب اخرى لم تسلم من هجوم هتلر.

دام اللقاء بين البابايوحنا بولس الثاني وعرفات في ١٥ ايلول ١٩٨٢ أكثر من عشرين دقيقة. وقد جاء في بيان للصحافة صادر عن الكرسي الرسولي بعد الاجتماع:

> قام الأب الأقدس، من مطلق حرصه الدائم على رعاية عملية السلام الصعبة في الشرق الاوسط، باستقبال السيد ياسر عرفات. وخلال اللقاء أظهر البابا نيته الطيبة تجاه الشعب الفلسطيني وتعاطفه مع عذابه الطويل معبّرا عن أمله في امكانية الوصول الى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط، في اقرب وقت ممكن، يمكن ان يؤدي - من دون اللجوء الى السلاح او اي شكل من اشكال العنف وبخاصة الارهاب والاعمال الانتقامية - الى الاعتراف بحق كل الشعوب ولا سيما حق الشعب الفلسطيني بوطن خاص بهم والاعتراف بحق اسرائيل في أمنها(٩٣).

يتبين على ضوء هذا البيان، ان هناك ثلاثة مبادئ رئيسية توجه الموقف

البابوي في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. المبدأ الاول هو المعارضة الواضحة لأعمال الارهاب والانتقام، ويأتي هذا التأكيد في سياق السياسة التي اعتمدها الكرسي الرسولي منذ بدء النزاع. المبدأ الثاني يعتبر ان للفلسطينيين الحق في وطن خاص بهم، وفي هذا ايضا تعبير عن الطريقة الجديدة التي اعتمدها البابا البولوني الأصل للتعامل بشجاعة مع المضامين السياسية للنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. زدْ على ذلك أن هذا المبدأ كان متجانساً مع التصريحات البابوية التي شدّدت ومنذ سنة ١٩٧٣ على ضرورة الاعتراف بالفلسطينيين اكثر من كونهم لاجئين، أي كشعب له حق مؤكد ومشروع في تقرير المصير. أما المبدأ الثالث فكان الاعتراف بواقع وجود الدولة اليهودية وبحقها في حدود آمنة ومحدّدة. الاّ أن دعوة البابا يوحنا بولس الثاني عرفات للاعتراف بحق اسرائيل بالامن لم يكن لها الوقع المرجو منها. وقد قال بعض المراقبين الاسرائيليين انه ما دام الكرسي الرسولي لم يُقم علاقات دبلوماسية بشكل رسمي مع اسرائيل فلا يسعه اسداء النصح المقبول في هذا المجال لأي كان. وكان الكرسي الرسولي في معرض الدفاع عن موقفه يقول دائما انه بعدم انشاء الروابط الدبلوماسية مع الدولة اليهودية يمكن للكرسي الرسولي أن يسهم بدرجة كبيرة في حل مشكلة الشرق الاوسط.

وفي اليوم نفسه الذي تم فيه اللقاء تكلم البابا يوحنا بولس الثاني على مشكلة الشرق الاوسط. وقد زاد الاهتمام البابوي بالمشكلة بفعل اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل في اليوم السابق للمقابلة. وقد اعاد البابا في حديثه تبيان موقف الكرسي الرسولي بوضوح من حل النزاع بين الفلسطينيين والاسرائيليين:

> ان الكرسي الرسولي مقتنع فوق كل شيء انه لن يكون هناك سلام حقيقي بدون عدالة، وانه لن تكون هناك عدالة اذا لم يتم الاعتراف والقبول بحقوق جميع الشعوب صاحبة العلاقة بصيغة ثابتة عادلة ومتساوية.

> ومن بين هذه الحقوق الازلية والتي لا يمكن نكرانها الحق في هوية كل شعب. انها معضلة يتنازع عليها بمرارة شعبان: الاسرائيلي والفلسطيني اللذان رأيا حقوقهما تهضم أو تنكر عليهما، اما تباعا واما مداورة(٩٤).

ان خطاب البابا هذا لا يمكن أن يكون اكثر وضوحاً او اتزاناً، إذ انه، من غير مغالاة الكلمة النهائية والاوضح المتوافرة عن رؤية الكرسي الرسولي لحل للنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. ان ذكر الحبر الأعظم ضرورة الوصول الى السلم عبر العدالة كان تذكيرا متجانسا مع التعاليم البابوية منذ أن أصدر البابا بولس السادس تعميمه الشهير حول "تطور الشعوب" سنة ١٩٦٧.

لقد أوضح البابا أيضا ما يعنيه بالحقوق المشروعة للفلسطينيين والاسرائيليين اذ تضمّ هذه الحقوق الحق في "الوجود" و"الأمن" والحفاظ على "الهوية الحقيقية لكل منهما"

ان العجب من رؤية البابا يتكلم بمثل هذا الوضوح وهذه السلاسة ينتفي على ضوء خلفية البابا يوحنا بولس الثاني وتأثير خبرته عليه في بولونيا. في الحقيقة أشار البابا في خطاب القاه في كانون الثاني ١٩٨٢ أمام الدبلوماسيين المعتمدين لدى الكرسي البابوي الى الحكم العرفي في موطنه بولونيا قائلا "على كل شعب ان يكون قادرا على العمل بحرية في ما يتعلق بحرية تقرير مصيره ولا يمكن للكنيسة أن تتوانى عن دعم مثل هذا الاقتناع"(٩٥).

يمكن تقويم الوضع السياسي للقاء البابا يوحنا بولس الثاني وعرفات من خلال ردود فعل الدبلوماسيين الاوروبيين في روما، الفلسطينيين في الضفة الغربية، وبعض المراقبين المستقلين الذين تمت مقابلتهم في القدس. أما ردود فعل الدبلوماسيين الغربيين المقيمين في روما فقد نقلها دبلوماسيٌ لبنانيٌ في روما، في رسالة سريّة بعث بها الى وزارة الخارجية في بيروت مباشرة بعد اللقاء

البابوي(٩٦).

وقد اعتبر القائمان بالاعمال الفرنسي والأميركي أن اللقاء كان "نصراً رمزياً للسيد عرفات." وقد نقل عن القائم بالأعمال الفرنسي انه قال ان عرفات قد خطّط لهذه الزيارة منذ وقت طويل، واضاف الدبلوماسي الفرنسي: "لم يفهم المسؤولون الفرنسيون السرعة التي وافق بها البابا على لقاء عرفات. ويظن هؤلاء المسؤولون أن وزير الخارجية الايطالي قد أثّر كثيرا في قرار الكرسي الرسولي"(٩٧). وفي اشارة الى انطباع السفير الألماني حول زيارة عرفات نقلت الرسالة الدبلوماسية اللبنانية نفسها عنه قوله، ان البابا في رغبته تحسين علاقاته بالعالم الاسلامي قد أثار عاصفة مع العالم اليهودي."

أما بالنسبة الى الفلسطينيين فكان لقاء البابا يوحنا بولس الثاني مع عرفات من أوضح اشارات الاهتمام البابوي بهم. وقد عبّر غابي برامكي نائب رئيس جامعة بير زيت في الضفة الغربية المحتلة عن شعور شعبه بقوله:

> كنا سنعجب لو رفض البابا مقابلة عرفات. فعرفات، ممثلا للشعب الفلسطيني، يرمز الى منظمة التحرير الفلسطينية. وبما ان البابا يوحنا بولس الثاني قد اتّخذ بعض المواقف تجاه حقوق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، فلو كان عاد عن ذلك، لغدا الامر مناقضا لذلك(٩٨).

اذا كان لقرار البابا السياسي من اثر ايجابي لدى الفلسطينيين، فانه لم يكن كذلك بالنسبة الى المراقبين المتتبعين تطور العلاقات الفاتيكانية الاسرائيلية.

وفي ضوء زيارة عرفات فان تقويما مهما للعلاقات الفاتيكانية الاسرائيلية قد جاء على لسان مدير المؤسسة المسكونية في طنطور بالقدس Ecumenical Institute in Tantour-Jerusalem التي يمولها الكرسي الرسولي. لقد

انتقد دونالد نيكول Donald Nicholl عدم تعمّق الكرسي الرسولي الكافي في تدبّر الجذور النفسية للنزاع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، ان الدبلوماسية وحدها لا تكفي لنشر رسالة الانجيل وكسب ودّ الديانات الأخرى. وكخطوة محددة اقترح مدير المؤسسة التي مركزها القدس انه يجب على الفاتيكان أن يعرف أن الكنيسة الكاثوليكية، عبر العصور، "قد قامت بأفعال فظيعة تجاه اليهود." لهذا السبب على "الكنيسة ان تقف في مكان يستطيع فيه اليهود تنفيس غضبهم عليها"(٩٩).

وأخيرا، تساءل الأب برونو هوسار Bruno Hussar لما "وضع البابا نفسه مع الذين لا يحبّون اسرائيل." وكان يشير بذلك الى المستشار النمساوي برونو كرايسكي Bruno Kreisky والحكومة اليونانية والتي كانت قد قرّرت منح الصفة الدبلوماسية الرسمية لممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في اثينا. وفي اشارة الى أهداف البابا الأنسانية والرعوية والى استعداده مقابلة أي كان قال هوسار:

> ان البابا وعرفات لم يتكلما اللغة نفسها. لقد كان للزعيم الفلسطيني هدف سياسي واستعمل مقابلته في الفاتيكان لتحسين وضعه. أما الحبر الأعظم فقد أمل أن يقنع عرفات بفرض استعمال العنف لتحقيق اهداف شعبه(١٠٠).

ان لقاء البابا والزعيم الفلسطيني قد لخّص طبيعة دور الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني. وقد اختار البابا يوحنا بولس الثاني خطر اثارة غضب اليهود والاسرائيليين كي يعبّر عن حرصه على ايجاد حل عادل وسلمي للنزاع في الشرق الأوسط. لقد شعر الحبر الأعظم انه يمكن دائما اصلاح اي ضرر للعلاقات الدينية بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية.

لقد أظهر لقاء البابا بولس السادس مع غولدا مائير عام ١٩٧٣ ولقاء البابا يوحنا بولس الثاني مع ياسر عرفات سنة ١٩٨٢ أوجه شبه وخلاف واضحة. من

أوجه الشبه أنه ليس للكرسي الرسولي أية روابط دبلوماسية لا مع اسرائيل ولا مع منظمة التحرير الفلسطينية. الا أن هناك اعترافاً واقعياً ضمنياً بالطرفين، وذلك نظراً الى الدور الذي يضطلع به كلاهما في النزاع الذي يفرقهما. وجه اخر للشبه كان الدفاع البابوي الدائم عن الحقوق المشروعة للفلسطينيين. اخيرا إنّ هناك الذكرى الدائمة للمحرقة التي اثيرت عامي ١٩٧٣ و١٩٨٢ مما يظهر بعد عشرين سنة تقريبا، ان القرار الذي تبناه المجمع الفاتيكاني الثاني حول اليهودية وفيض النية الحسنة المستثمرة في الحوار الكاثوليكي ـ اليهودي ليسا كافيين لمحو الشكوك الماضية بين الكرسي الرسولي والدولة اليهودية.

أما الخلافات فقد ظهرت في التفاوت في الشخصية والأسلوب بين كل من البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني. فكالديبلوماسي الحذر استغلّ البابا بولس السادس زيارة غولدا مائير للفاتيكان كي يشدّد على القضايا المتصلة بمصالح الفاتيكان مباشرة كالطوائف المسيحية في الأرض المقدسة، مشكلة القدس والأماكن المقدسة. وبعكس هذا اللقاء فان لقاء البابا يوحنا بولس الثاني مع عرفات قد تمّ في جو من التوتر الشديد بين الفلسطينيين والاسرائيليين كما على ارضية الحرب اللبنانية والأخطار التي خلّفتها هذه الحرب على وحدة لبنان ومصير الحركة الفلسطينية. في الواقع، كانت المرة الأولى منذ بدء النزاع التي يتقاتل فيها الفلسطينيون والاسرائيليون لمدة طويلة وقد بلغ ذلك أوجه في حصار بيروت خلال صيف ١٩٨٢. لهذه الاسباب ركّز البابا على القضايا العامة المتصلة باستعمال الارهاب والأعمال الانتقامية وعلى الاعتراف المتبادل بين الفلطسينيين والسرائيليين بحقوق كل منهما في الوجود والأمن.

إن ما يجب ملاحظته على الهامش هو انه خلافا للتصريح الشفوي المثير للجدل الذي صدر بعد مقابلة غولدا مائير للبابا بولس السادس والذي دافع فيه الكرسي الرسولي عن موقفه المؤيد للجانب العربي، فان قرار البابا يوحنا بولس الثاني مقابلة عرفات قد انبرى للدفاع عنه بعض الأحبار في السلطة الكنسية،

وكذلك الاسقف جون روش Archbishop John Roach الذي كان يومئذ رئيس المجمع الوطني للاساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة United States National Conference of Catholic Bishops.. ان الوضع الدرامي في لبنان والأثر المأساوي على القضية الفلسطينية استلزما تحريك شبكة الكنيسة في العالم. وفي واقع الأمر كان اضطرار السلطات العليا الأميركية للدخول في النزاع تعبيرا عن الحاجة الى ابقاء القنوات مفتوحة مع المجموعة اليهودية النافذة في الولايات المتحدة مع تأكيد صوابية القرار البابوي.

ان الحالات التي تمّ تحليلها هنا - الغارة الاسرائيلية سنة ١٩٦٨، الاجتماع بين غولدا مائير والبابا بولس السادس، ولقاء البابا يوحنا بولس الثاني مع ياسر عرفات - تدعم بقوة فرضيتي المتعلقة بالطبيعة الدبلوماسية لتدخل الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني (راجع ما قبله). إن لهذا التدخل عنوانا يؤكده اهتمام الكرسي الرسولي بمصلحة الأقليّة الكاثوليكية في الشرق الادنى، والدفاع عن مبادئ الكنيسة مثل رعاية السلام عبر العدالة والذي يؤكده التشديد البابوي على حقوق كل من الاسرائيلين والفلسطينيين في تقرير مصيرهم.

اضف الى هذا ان الكرسي الرسولي من منطلق كونه مؤسسة دينية فان أي عمل يقوم به أو يتخذه اي فريق تجاهه يمكن اعطاؤه معنى رمزيا. وفي القضايا العالمية فان شخصية البابا تتوضح بدوره كدليل اخلاقي وروحي لقادة العالمية. زد على ذلك ان عدم وقوف البابوية على الحياد في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني تعوض عنه السمعة التي يتمتع بها البابا، ولا سيما انه ليس للبابا "فرق عسكرية" يقودها في حال تهدّدت مصالح الكنيسة. لقد فهم الفلسطينيون والاسرائيليون على حدّ سواء اهمية البابوية كرمز كي يدعموا قضاياهم ومصالحهم.

إن القضية الأخيرة موضوع التحليل في هذا الفصل تتناول وجها آخر من أوجه التدخل البابوي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. ان قضية المطران كبوجي تظهر اساسا أن الكرسي الرسولي ملزم حماية مصالح الكنيسة المحلية،

وذلك في أي نزاع يقوم بين الحكومة الاسرائيلية والمجموعات الكاثوليكية.

الكرسي الرسولي، اسرائيل، والمطران ايلاريون كبوجي Hilarion Cappucci

بتاريخ ٨ آب ١٩٧٤ القت الشرطة الاسرائيلية القبض على النائب البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك المطران ايلاريون كبوجي. وفي كانون الأول من تلك السنة تمّت محاكمة المطران السوري الأصل وادانته بتهمة تهريب السلاح الى منظمة التحرير الفلسطينية. وقد صدر حكم بسجن المطران لمدة اثنتي عشرة سنة. وقد دافع عزيز شحاده، وهو محام من رام الله، عن براءة موكله المطران كبوجي وتحدّى قانونية المحكمة الاسرائيلية معتبرا أنه لا يمكن الحكم على المطران لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية، ولأنه ليس لأية محكمة اسرائيلية سلطة الحكم في القدس الشرقية ما لم يبت وضع القدس على المستوى العالمي(١٠١). وقد كانت ردة فعل طائفة الروم الكاثوليك على القرار الاسرائيلي قوية وذلك عندما عبّر مكسيموس الخامس حكيم، بطريرك طائفة الروم الملكيين (١٠٢) عن غضب طائفته بقوله:

> ايُلام هذا المطران اذا اعتقد أن من واجبه حمل السلاح لمساعدة الفدائيين أو القيام بأعمال لا توافق عليها اسرائيل اذا نظرنا الى التاريخ نجد أن هناك مطارنة قد هرّبوا الأسلحة، ضحّوا بحياتهم، وقاموا بأعمال غير قانونية أخرى كي ينقذوا اليهود من الاحتلال النازي اني لا ارى موجبا لادانة رجل مستعد لانقاذ العرب. إن اليهود موجودون في القدس الشرقية خلافا لقرارات الأمم المتحدة، وقد يكون المطران ظنّ أن وجودهم غير شرعي(١٠٣).

إن لهجة ردة الفعل هذه قد انعكست في تصريحات عديدة أخرى ترددت أصداؤها في وسائل الاعلام العربية. وقد صرّح المونسنيور لطفي لحّام خليفة

المطران كبوجي في نيابة بطريركية القدس لطائفة الروم الملكيين ان "المطران كبوجي يحب السياسة. انه يؤمن أن على رجال الدين أن يكون ناشطا على الصعيد السياسي في مجتمعه"(١٠٤). وأضاف المونسنيور لحام أن للروم الكاثوليك تاريخا من النضال السياسي في القدس وفي الأرض المقدسة "ويمكننا القول ان لدى الروم الكاثوليك في الأرض المقدسة مشاعر التأييد للعرب نفسها التي للروم الارثوذكس في سوريا ولبنان(١٠٥). وفي مقابلة اجريت مع المطران كبوجي عبّر عن فلسفته السياسية بقوله:

> عندما يكون بلدك محتلاً فان واجبك هو المقاومة. انه من الأفضل بالطبع لو كانت هناك سبل للقيام بالأمر مثلما فعل غاندي، دون الحاق الأذى. لكن ماذا تفعل عندما يكون خصمك ـ ولا استعمل كلمة العدو ابدا ـ لا يريد أن يفهمك ولا أن يفهم وجهة نظرك العادلة أو المحقة(١٠٦).

ومن ردودالفعل الأخرى ما صدر عن مجموعة من ثمانية رجال دين كاثوليك يعيشون في اسرائيل فاعلين في الحوار المسيحي ـ اليهودي. فقد انتقد احدهم، وهو الأب برونو هوسار، نشاط كبوجي على انه مغاير "لمقطع في الانجيل يقول فيه المسيح اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"(١٠٧). وقد عنى الكاهن الدومينيكاني بذلك أنه على المطران كبوجي التخلّي عن ارتباطه السياسي كي يبقى أمينا لواجباته الرعوية. كان يمكن ان تكون نصيحة هوسار أشدّ وقعا لو لم يكن هو نفسه متورطا في السياسة الاسرائيلية.

لقد ظنّ بعض المراقبين في اسرائيل انه نظراً لعلاقات الملكيين مع الفاتيكان فان سجن كبوجي سيؤدي حتى الى مواجهة بين اسرائيل والكرسي الرسولي(١٠٨). في بداية قضية كبوجي اتخذ الكرسي الرسولي موقف المتريّث وذلك لتوضيح حقيقة الادعاءات الاسرائيلية. ولهذه الغاية، في ٧ ايلول ١٩٧٤، عقد

البابا بولس السادس اجتماعا مطولا مع الممثل البابوي في لبنان المونسنيور الفريدو برونييرا Alfredo Bruniera الذي كان التقى سابقا وفدا من منظمة التحرير الفلسطينية(١٠٩). وفي ردّ على قرار المحكمة الاسرائيلية، أصدر الكرسي الرسولي بيانا رسميا عبّر فيه عن أسفه العميق لإدانة كبوجي:

> ان هذه الحادثة لضربية مؤلمة لاحدى الطوائف الكاثوليكية الشرقية المجيدة، كنيسة الروم الكاثوليك، فقد قام المطران كبوجي لسنوات عديدة بمهمة اسقفية. انه راعي المؤمنين الذين يعيشون في القدس والأراضي المقدسة، تلك الأماكن العزيزة على المؤمنين حيث يشكل الوجود الكاثوليكي موضوع اهتمام كبير من قبل الاب الاقدس. ان هذا الحكم، لسوء الحظ، لا يمكن الا أن يزيد التوتر في وضع المنطقة المعقّد حيث لا يزال السلم، بالرغم من الجهود الحميدة، بعيد المنال، وحيث يعيش الناس في جو من الألم والنزاع والقلق(١١٠).

ان هذا البيان الذي وصف بانه "رائعة في التروّي والابهام" (١١١) لم يرض الاسرائيليين الذين كانوا يتوقعون إدانة صريحة من الكرسي الرسولي للجرم المزعوم، كما انه أبان سلّم الأولويات عندما يتعلق الامر بالشرق الأوسط حيث يتّخذ مصير الطوائف الكاثوليكية أهمية قصوى بالنسبة الى الكرسي الرسولي. وخلال فترة الأسر، تضاعفت الضغوط من اطراف اسلامية كثيرة في اسرائيل، ومن الدول العربية، ومن لجنة حقوق الانسان في جنيف التابعة للأمم المتحدة، للافراج بسرعة عن المطران الملكي. وقد رفضت الحكومة الاسرائيلية هذه الطلبات فصرّح وزير العدل الاسرائيلي ان قضية كبوجي "هي جزء من الحرب التي تشنها اسرائيل ضدّ الارهاب، وليس لها أية علاقة بعلاقات اسرائيل مع الكنيسة الكاثوليكية والطوائف المسيحية"(١١٢).

لقد شكّلت قضية المطران كبوجي معضلة اخرى للكرسي الرسولي. فمن جهة لم يرد الكرسي الرسولي ابعاد المجموعات العربية والفلسطينية، لكن كان عليه أن يردّ على الضغوط المتصاعدة لاتخاذ خطوات محددة لاخلاء سبيل الأسقف الملكي. ومن جهة اخرى كان عليه ابقاء القنوات مع الحكومة الاسرائيلية مفتوحة لايجاد مخرج لكبوجي. وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٧٧ بعث البابا بولس السادس برسالة الى الرئيس الاسرائيلي في القدس يسأله فيها "أن يستعمل عفوه كرئيس لدولة اسرائيل لصالح المطران ايلاريون كبوجي واطلاقه من السجن. اننا واثقون ان اطلاقه لن يكون مضرًا بدولة اسرائيل"(١١٣). وفي رد على طلب البابا قال الرئيس الاسرائيلي افرام كاتزير Efraim Katsir انه يطلق سراح كبوجي "مع كامل علمه بمدلول طلبكم (طلب البابا) وأهميته والوزن الكامن في التعبير عن ثقتكم بأن الأمر (اطلاق كبوجي) لن يكون مضرا لدولة اسرائيل"(١١٤). اضافة الى هذا، فقد اتفق الجانبان على أن ينذر المطران نفسه للواجبات الرعوية الخالصة وعلى ألا يتعاطى ثانية ابدا في سياسة الشرق الأوسط. وقد اعتبرت الحكومة الاسرائيلية ان التجاوب مع طلب البابا سوف "يخلق رصيدا من حسن النية في العالم الكاثوليكي وان صياغة الرسالة البابوية سوف تؤدي الى وضع العلاقات بين القدس والعالم المسيحي على قاعدة أفضل من الاعتراف المتبادل"(١١٥). وفي ٦ تشرين الثاني ١٩٧٧، وبعد ابدال الحكم على المطران كبوجي نقل الى مطار بن غوريون ووضع على متن طائرة سياحية أقلّته الى روما.

ولم تنته قضية كبوجي باطلاق سراحه، اذ ان المطران قرر، على ضوء التزامه الكامل بالنسبة الى الفلسطينية، متابعة العمل النشط على الساحة السياسية للشرق الأوسط. وفي كانون الثاني ١٩٧٩ حضر كبوجي اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني (البرلمان الفلسطيني في المنفى) الذي عقد في دمشق واضطلع بدور رئيسي في ترتيب اللقاء بين وزير خارجية الكرسي الرسولي الكردينال كازارولي Agostino Casaroli و"وزير خارجية" منظمة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي، وذلك في آذار ١٩٨١، واللقاء بين البابا يوحنا بولس الثاني وياسر عرفات،

في ايلول ١٩٨٢.

لقد شعر الاسرائيليون، بعد اطلاق سراح كبوجي، لاسباب بديهيّة، انه خانهم بنشاطه السياسي واتهموا الكرسي الرسولي بنقض تعهده لرئيس الدولة الاسرائيلية. وقد جاء في افتتاحية لصحيفة جروزالم بوست *The Jerusalem Post*:

> من الواضح ان الفاتيكان ينظر الى منظمة التحرير الفلسطينية على أنها قناة اتصال مهمة مع العالم الاسلامي ونقيض ذلك، نظرا للظروف الحاضرة، مهما كانت تافهة، في وجه الاسوأ النازل بالمسيحيين في لبنان. ان علاقات امتن مع منظمة التحرير الفلسطينية يمكن اعتبارها تعبيرا عن عدم رضا الكرسي الرسولي عن موافقة الكنيست على قانون كوهن Geula Cohen المتعلق بمدينة القدس(١١٦).

ان هذا التفسير الاسرائيلي لسياسة الكرسي الرسولي تجاه الفلسطينيين قد زاد رسوخا عندما ارسل البابا يوحنا بولس الثاني المطران كبوجي الى طهران حيث كانت مهمته حل المشاكل القائمة بين بعض المؤسسات الكاثوليكية والسلطات الايرانية. وفي حديث عنيف خاطب فيه المبعث البابوي، اتهم اية الله خميني المدارس الكاثوليكية بكونها "اوكار جواسيس" في ايران(١١٧).

ان قضية المطران كبوجي تظهر بوضوح الميل البابوي للوقوف الى جانب رجال الكنيسة المحليين مع ما يمكن ان ينتج عن هذا من سوء العلاقات مع اسرائيل. ان الكرسي الرسولي، حتى في حال اقتناعه بان المطران قد تخطى واجباته الرعوية، لا يستطيع ان يوافق ضمنا على القرار الاسرائيلي بسجن كبوجي. ونظرا لضعف الكنائس الشرقية فان على البابوية ان تتصرف بشكل من الاشكال حتى على حساب التضحية بالعلاقات الحسنة مع الدولة اليهودية. ونجد

هنا تقابلا في المضاعفات الناتجة عن لقاء البابا يوحنا بولس الثاني وعرفات اذ ان مصير الطائفة الكاثوليكية في العالمين العربي والاسلامي واهمية المسألة الفلسطينية لدى الكنيسة قد دفع بالكرسي الرسولي للقيام باعمال جريئة مع علمه الكامل لما قد تؤدي اليه هذه الاعمال على مستوى العلاقات الكاثوليكية - اليهودية. ان النقطة الاساسية للكرسي الرسولي هي ان معظم الكاثوليك في الشرق الاوسط من اصل عربي. اما الكاثوليك من غير العرب والذين اختاروا الجنسية الاسرائيلية فليسوا بالعدد الكبير كي يشكلوا اهتماما رئيسا.

ان البابوية امام معضلة: كيف تحمي الاقلية الكاثوليكية في الشرق الادنى، وتطور نحو الافضل المواقف اليهودية والاسرائيلية من الكنيسة. ان هذين الاهتمامين يبدوان في بعض الاحيان متجانسان، لكنهما في الحقيقة متناقضان وذلك على ضوء التنافر المستحكم بين نظرة الفلسطينيين ونظرة الاسرائيليين الى تسوية النزاع بينهما.

خلاصة

لقد تناول هذا الفصل طبيعة تدخل الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني ووسائله، كما تمّ تقويم موقف الكرسي الرسولي من اليهودية واسرائيل والفلسطينيين. الاستنتاج الأول هو أن هناك أهدافا أساسية للكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. الهدف الاول هو حماية الوجود الكاثوليكي في اسرائيل واستمراره، اذ يخشى الكرسي الرسولي أن يأتي يوم يفرغ فيه مكان ولادة السيد المسيح من الكاثوليك، وذلك نتيجة الهجرة الحثيثة. ولوقف هذه الموجة، اوجد الكرسي الرسولي مؤسستين هامتين هما جامعة بيت لحم، والبعثة البابوية في فلسطين، أملا من خلالهما الابقاء على الطوائف الكاثوليكية المحلية في مكانها. ان الكنيسة الكاثوليكية لا تستطيع تحمّل خسارة مصداقيتها على المستوى العالمي عبر خسارة الاراضي المقدسة.

ان موضوع الفلسطينيين مرتبط بمصير الطوائف الكاثوليكية اذ انه متّصل

اتصالا وثيقا بالتعاليم البابوية وأهمها تحقيق السلام عبر العدالة. وبما أن تحقيق الهدف الاول لا يكون الا بتحقيق الهدف الثاني، فان هدف الكرسي الرسولي الثاني، وهو تأييد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، يصبح اكثر صعوبة، نظرا الى الطبيعة المعقدة للنزاع العربي - الاسرائيلي.

اضافة الى هذا، يشكل الترابط الوثيق بين الشؤون الدينية والدنيوية في الاسلام واليهودية عقبة جديّة امام الكرسي الرسولي في تحقيق اهدافه. ان لبعض اليهود والاسرائيليين شكوكا عميقة في البابوية بسبب موقفها المزعوم من المحرقة. وحتى لو حاول الكرسي الرسولي تصحيح النظرة حول تورطه خلال الحرب العالمية الثانية فان ردم الهوة بين الكرسي الرسولي والطائفة اليهودية يستلزم اجيالا عدة والكثير من حسن النية. ان الكرسي الرسولي حريص على التوصل الى حل نهائي للمشكلة الفلسطينية، وذلك باعطاء الفلسطينيين وطنا قوميا لهم يمارسون فيه حقهم الوطني الكامل. الا أن الطريق الى هذا الهدف مليء بالعقبات والافخاخ. زد على هذا ان المسألة الفلسطينية متعلقة بنتيجة الحرب اللبنانية والتي تدخل فيها الكرسي الرسولي للحفاظ على وحدة البلد.

الفصل الثاني

الكرسي الرسولي، الأماكن المقدسة والقدس

إنّ أي تحليل لدور الكرسي الرسولي في الشرق الأوسط يجب ان يشتمل على تقويم لمسألة القدس اذ ان هذه المسألة مفعمة بالعناصر السياسية والتاريخية والدينية التي تجعل من حلّها مسألة صعبة جدا(١). وبعكس الحرب اللبنانية والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني حيث يقوم الكرسي الرسولي بدور الوسيط والموفّق فانه في قضية القدس بالذات طرف في النزاع يحاول أن ينقذ المصالح المسيحية والوجود المسيحي في الأرض المقدّسة.

تشكل القدس، في الأصل، تحدّياً اساسياً لأولويتي الكرسي الرسولي الرئيستين في الشرق الأوسط: الأهتمامات المسكونية ومصلحة الأقليّات الكاثوليكية. وينبع هذا التحدي من الأهمية الدينية والتاريخية الكبيرة للقدس عند أتباع الديانات الموحّدة، اليهود والمسيحيين والمسلمين. اما فيما يختص بالنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني والحرب اللبنانية فان خطّ عمل الكرسي الرسولي يتحدّد على ضوء جديّة الخطر الذي يحدق بالمجموعة المسيحية وبالاستعداد لإقامة علاقات مسكونية وبين الاديان. ففي لبنان يرعى الكرسي الرسولي التعايش بين الطوائف بفعالية، وقداعطى لاهتماماته المسكونية أهمية قصوى. وفي النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني يصنّف الكرسي الرسولي اهدافه من العلاقات بين الاديان في مرتبة أدنى من حماية الطوائف المسيحية. اما بالنسبة الى القدس فان الاولويتين متشابكتان بحيث لا تطغى أولوية ما على سياسة الكرسي الرسولي.

كان من عادة البابوات، ابّان الحكمين العثماني والبريطاني، ان يركّزوا على تميز الامتيازات الكاثوليكية من الامتيازات المعطاة للطوائف الأخرى. وقد تغيّر الوضع بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. في الحقيقة ان كلاً من البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني قد شددًا على الطابع العالمي للقدس وعبّرا عن معارضتهما أي تفرّد بالسيطرة الدينية والسياسية عليها. ومع هذا فان وراء الدعوات للمحافظة على الطابع المميّز للقدس يهتم الكرسي الرسولي في الدرجة الأولى بالإبقاء على كلمته فيما يتعلق بمصير مهد المسيحية. وعبر هذه السياسة المبنية على البراغماتية وعلى ضرورة العمل كمرشد روحي يجعل الكرسي الرسولي من وجوده وتأثيره أمرين واقعين. اخيراً شكّل وضع القدس والاماكن المقدسة عقبة رئيسة أمام إقامة علاقات دبلوماسية رسمية بين الكرسي الرسولي واسرائيل، وحتى بعد اقامة هذه العلاقات.

يتناول هذا الفصل، أولاً، اهمية القدس الدينية عند اليهود والمسيحيين والمسلمين مما يفرض تقديم نبذة قصيرة عن تغير وضع القدس القانوني منذ السيطرة العثمانية والبريطانية حتى قرار الأمم المتحدة الداعي الى تقسيم فلسطين وتدويل المدينة المقدسة. يلي ذلك بحث في المواقف والاهتمامات المحليّة والاقليمية والعالمية حول القدس. أخيراً نتناول بالتحليل إشتراك الكرسي الرسولي في النزاع حول القدس. إن المقولة الأساسية لهذا الفصل هي أن الكرسي الرسولي يعارض تماما أي سيطرة سياسية أو تفرّد بالسيطرة الدينية على القدس. أضف الى هذا وجود علاقة مباشرة وصريحة بين مدى التدخل البابوي وقساوة التهديدات للحقوق المدنية والدينية للطوائف التي تعيش في الأرض المقدسة.

إن الحالات التي تم اختيارها لتأييد هذه المقولة هي:

١ - تهويد القدس؛

٢ - المذكّرة المشتركة التي نُشرت عام ١٩٧٢ عقب اجتماع البابا بولس السادس والزعماء الأفارقة؛

٣- العظة البابوية "لنا في الروح *Nobis in Animo*؛

٤- ندوة طرابلس الغرب؛

٥- المقالة حول القدس التي نشرتها صحيفة **أوسرفاتوري رومانو** سنة ١٩٨٠؛

٦- رسالة البابا يوحنا بولس الثاني الرسولية "عام الخلاص *Redemptionis Anno* سنة ١٩٨٤،

٧- قضية نوتردام (١٩٧٠ - ١٩٧٣).

المكانة الدينية للقدس لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين

إن الأهمية الدينية لمدينة القدس متجذّرة بوجود المقامات المقدّسة التي تجلّها الديانات الموحّدة الثلاث فعبر تاريخ حافل بالتقلبات كانت القدس المكان المقدس لليهود. وبحسب الشرع اليهودي، ووفاق ما جاء في التوراة(٢)، على اليهودي ان يولّي وجهه قبل "مدينة الأبدية" عندما يصلّي، وهذا ركن أساسي في الديانة اليهودية، وفي أعقاب خراب الهيكل الأول سنة ٥٨٧ق.م. وتشتّت الشعب اليهودي، اتخذ اليهود قسماً مقدساً جاء فيه، بحسب المزمور ١٣٧:

إن نسيتك يا أورشليم

فلتنسني عيني.

ليلتصق لساني بحنكي

إن لم اذكرك،

إن لم أعل أورشليم على ذروة فرسي.

إن هذا الارتباط الذي يشعر به اليهود تجاه القدس هو واحد من الأسباب الرئيسة لوجود مثل هذا الرابط الحميم بين الأمور الدنيوية والدينية في اليهودية.

يوضح الحاخام مارك تاننباوم Marc Tannenbaum الاهمية البارزة للقدس بالقول:

> لقد اصبحت المسيحية محليّة في أجزاء عديدة من العالم، تمثّلها دول مسيحية قوية وليس في اي مكان في العالم مسيحيون بدون وطن يرغبون في الرجوع الى الأرض التي انطلقت منها ديانتهم. اما اليهودية فلم تنشئ اي مركز طبيعي مستقل اخر، فمن الطبيعيّ أن تلتصق القدس وأرض اسرائيل بعروة أوثق بالذكريات الدينية والتاريخية للشعب اليهودي(٣).

ومع هذا لا يتفق اليهود تماما حول الصهيونية والأهمية الدنيوية للقدس ويبقى السؤال الاساسي حول ما إذا كانت اسرائيل دولة علمانية أو لاهوتية. هذا، ويرفض الاسرائيليون اعتبار دولتهم كياناً دينياً. الاّ ان نظرة أدق الى القوانين والانظمة التي تم تبنّيها منذ إنشاء إسرائيل تؤدي بالمراقب الى استنتاج أن اسرائيل لا تختلف كثيراً عن جاراتها من الدول العربية والإسلامية. وفي هذا تقول Joelle Le Morzellec

> عندما يسكن الشخص في اسرائيل على الفور انه بسبب قانون العودة الذي تمنح لموجبه الجنسية لكل يهودي يودّ الاقامة في الدولة العبرية بينما يتوجب على غير اليهود اتباع عملية الدمج المدني العادية كذلك، بسبب أهمية السبت كيوم الراحة الأسبوعي، فإن اسرائيل دولة طائفية مثلها مثل الدولة العربية حيث تستمد القوانين من القران(٤).

ويتجلّى عدم التوافق حول اسرائيل في الجدل القائم في شان اعادة بناء معبد الملك سليمان في القدس الذي دُمّر مرّتين وبقيت منه أنقاض من الجدار والذي

يقدّسه الدين اليهودي كثيرا. بالنسبة الى بعض اليهود المتشدّدين سيعاد بناء الهيكل، فقط، عندما يأتي المسيح. وبحسب القانون الحاخامي لا يمكن السير في المكان الذي بني فيه الهيكل قبل اتمام جميع طقوس التطهير. إلاّ أن اليهود الآخرين وبعض المسيحيين الغربيين الأصوليين يعتقدون بأنه يجب بناء المعبد الثالث قبل مجيء المسيح(٥).

تضم الأماكن اليهودية المقدّسة قبر أبشالوم، مقبرة جبل الزيتون، قبر داود، حائط المبكى، وقبر راحيل وبعض الكنس القديمة والحديثة. من الضروري أن نلاحظ هنا وجود تداخل بين المواقع اليهودية المقدّسة والمزارات الاسلامية الموقرة. إن الحرم الشريف، مثلاً، الذي يضم الصخرة والمسجد الأقصى قد بني في موقع المعبد اليهودي الثاني في قرب حائط المبكى.

أما بالنسبة الى المسيحيين فان القدس هي المكان الذي أعلن فيه المسيح رسالته وصلب ومات، كما ان القدس ترمز في العهد الجديد الى شعب الله الجديد الذي افتداه المسيح. إن الأمل المسيحي هذا منشؤه العهد الجديد كما ورد في رؤيا يوحنّا:

> ثم رأيت سماء جديدة وارضاً جديدة لأن السماء الأولى والارض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد. وأنا رأيت المدينة المقدّسة اورشليم الجديدة نزلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزيّنة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلا هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الامور الأولى قد مضت.
> (رؤيا ٢١: ١ ـ ٤)

اما مقامات العالم المسيحي المقدسة في القدس فهي كنيسة القبر المقدس، عليّة العشاء السرّي، كنيسة القدّيسة حنّة، قبر مريم العذراء، الحديقة الجثمانية (التي اعتقل فيها المسيح) محبسة الصعود وجبل الزيتون.

وكما عند اليهود كذلك عند المسيحيين، ثمّة مواقف عدة بالنسبة الى اهمية المدينة المقدسة. كتب الأب يواكيم مبارك أن، ثمة، حاليا موقفين مسيحيين من القدس إذ يعتبر بعض المسيحيين الغربيين ان "الصراع على القدس خاص بهم وذلك بسبب اليهود وبسبب الطابع المقدس للمدينة لدى إسرائيل"(٦). اما بالنسبة الى الكاثوليك، وبخاصة البابوات، فان "مسألة القدس مهمة لأنها مسألة عدالة وليست قضية اماكن مقدّسة "(٧). وعليه يعتقد هؤلاء المسيحيون أن هناك "مسألة فلسطينية، وليس مسألة القدس"(٨). إن القدس هي رمز تصويب حقوق المظلومين ورعاية السلام عبر العدالة.

اما بالنسبة الى المسليمن فإن القدس مقدسة لارتباطها اولاً بابراهيم وذريّته، ثم بالنبي محمد وأتباعه(٩). ولا يذكر القرآن القدس بتاتاً، لكنّ اية الإسراء تقول إن النبي قد أسرى ليلاً في رحلة عجائبية الى القدس ممتطياً البراق من مكّة الى المسجد الاقصى في القدس حيث عرج الى السماء حتى وصل الى السماء السابعة. ويصف القرآن هذا الإسراء:

> سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
> المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا أنه
> هو السميع البصير (سورة الاسراء، الآية رقم١)

منذ ذلك الوقت أصبح موقع المسجد في القدس الذي يذكره القرآن على أنه المسجد الأقصى مكان عبادة مقدّس لدى المسلمين بعد مكة والمدينة (في المملكة العربية السعودية، اليوم).

إن المشاعر الدينية عميقة وقوية جداً. كما ان الارتباط العاطفي لهذا العدد

الكبير من المؤمنين بموقع معين لا يضارعه شيء في العالم الحديث، اذ لا وجود لأي مكان يمثّل قيمة القدس الرمزية لملايين من اليهود والمسيحيين والمسلمين. إن هذه الظاهرة التاريخية تعطي المدينة المقدسة طابعها المميّز والعالمي.

الوضع القانوني للقدس

تعرّضت القدس منذ نشأة المسيحية حتى الآن لسيطرة اكثر من عشرة مجموعات اجنبية. وكانت هذه الاحتلالات نتيجة الغزوات أو الصراعات بين القوى الأقليمية أو الكبرى التي تطمع الى السيطرة على هذا الجزء من الشرق. فمن سنة ١٥١٧ حتى سنة ١٩١٧ وقعت القدس والأماكن المقدسة تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية. وقد قسمت فلسطين إبّان العهد العثماني بين مقاطعة بيروت وسنجقيّة القدس. وبحسب رواية بيتر مانسفيلد Peter Mansfield فان "السنجق إشتمل على ثلثي فلسطين وقطنه اكثر من ثلاثة ارباع السكان حيث شكّل المسيحيون وخصوصا الروم الارثوذكس واللاتين والروم الكاثوليك حوالي ١٦٪ واليهود حوالي٥٪"(١٠).

وفي عام ١٤٥٣، وبعد سقوط القسطنطينية، إتبع العثمانيون سياسة لصالح الروم الارثوذكس. وقد أثار هذا القرار توتراً بين اللاتين والروم الارثوذكس الذين يسكنون المدينة المقدسة، وأدّت الخلافات بين هاتين الطائفتين الى زيادة تدخّل القوى الخارجية مثل فرنسا وروسيا القيصرية، وغيرهما. وبعد الحروب الصليبية برزت فرنسا، بشكل غير رسمي، في دور حامية الكاثوليك في الشرق وحامية أتباع الطقس اللاتيني في القدس. ومع بداية القرن الثامن عشر دافع بطرس الأكبر قيصر روسيا عن مصالح طائفة الروم الارثوذكس في القدس(١١).

وقد اتهم اللاتين الروم الارثوذكس في القدس بخرق اتفاقي ١٦٠٤ و١٧٤٠ بين الاتراك والفرنسيين واللذين أعطيا اللاتين حق حيازة القبر المقدس وكنيسة المهد وكنيسة السيدة العذراء(١٢). وقد وضع السلطان العثماني حداً لهذا الوضع المزري من المواجهة بين الطوائف المسيحية بفرض قانون الوضع القائم *Status*

Quo وفي سنة ١٨٥٢ أصبح هذا القانون الوسيلة القانونية لتنظيم حقوق الطوائف المسيحية في الأراضي المقدسة في ملكية الأماكن المقدسة وادارتها(١٣).

في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهزيمة الإمبراطورية العثمانية وافقت عصبة الأمم على الإنتداب البريطاني في فلسطين، بشروط يتضمنها وعد بلفور (٢ تشرين الثاني ١٩١٧) وتؤمن تسهيل الهجرة اليهودية وشراء الأراضي وتنفيذ الأشغال والخدمات والمصالح العامة. وقد أصبح وضع القدس والأماكن المقدّسة محور صراع القوى بين فرنسا وايطاليا الدولتين الكاثوليكيتين الاكثر اهتماما بالقدس. وانتقل هذا الوضع بعد ذلك ليصبح محور الصراع بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

بعد فشل عصبة الأمم في تكوين هيئة لمعالجة حقوق المجموعات الدينية في القدس اصبحت القوة المنتدبة الحكم بين الطوائف المسيحية في القدس وبين الطوائف الرئيسية الاخرى التي لها مصالح في الأماكن المقدسة(١٤). وقد أبقي على قانون الوضع القائم الذي تمّ الاتفاق عليه سنة ١٨٥٢ والتزمته جميع الاطراف الموجودة في القدس.

وفي عام ١٩٣٧ أوصت اللجنة الملكية لفلسطين بتقسيم فلسطين دولتين، يهودية وعربية، وبابقاء الانتداب على منطقة تضم القدس، بيت لحم، ويافا.(١٥) إن التوتر بين العرب واليهود وقضيّة القدس شكّلا أيضاً الإهتمام الرئيس للجنة الانكليزية - الاميركية التي عيّنت في تموز ١٩٤٥. وقد طلبت اللجنة من موريسن وغريدي Morrison و Grady ان يتقدّما بخطة لتنفيذ توصيات اللجنة. دعت اللجنة الى انشاء دولة كانتونات في فلسطين تضم مقاطعات عربية ويهودية مستقلّة واقامة منطقة من ضمنها منطقة القدس تشرف عليها الحكومة البريطانية(١٦).

في نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد تصاعد التوتر بين الفلسطينيين والاسرائيليين في الأرض المقدسة، قررت الامم المتحدة صياغة حلّ شامل لمسألة فلسطين والقدس. وقد وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة في اجتماع عقدته في

٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على خطة لتقسيم فلسطين دولتين، يهودية وعربية وبالنسبة الى القدس، جاء في القرار ذي الرقم ١٨١ والمتعلق بتقسيم فلسطين:

> ان مدينة القدس سوف تكون حكماً منفصلاً *Corpus Separatum*، وتحت حكم دولي خاص وبادارة الامم المتحدة. إن مجلس الوصاية Trusteeship Council، سوف يعيّن للقيام بمسؤوليات السلطة الادارية لصالح الامم المتحدة(١٧).

وفي شباط ١٩٤٨ أعدّ مجلس الوصاية تشريعاً لقدس مدوّلة لكن لم يُعمل به لأن الجمعية العامة للامم المتحدة دعت الى عقد دورة خاصة لمعاودة البحث في مجمل المسألة العربية - الاسرائيلية. وعندما ناقش مجلس الوصاية مسودة التشريع المتعلق بالقدس عبّر المندوب العراقي عن الموقف العربي القائل ان القدس كانت جزءاً لا يتجزا من فلسطين وإن خطة تقسيم فلسطين غير شرعية، وكذلك التشريع المتعلق بالقدس، منفردة. أما اسرائيل التي ارتبط ادخالها الى الامم المتحدة بتأكيد نواياها، بالنسبة الى القدس، للوفود العربية والكاثوليكية فقد وافقت على مضض على قرار التدويل. وقد تراجعت إسرائيل عن موقفها بعد التصويت على اعتبارها عضواً في الامم المتحدة مباشرة.

في هذا الوقت، وبعد اندلاع حرب فلسطين في منتصف ايار ١٩٤٨، قسمت القدس بين الاردن واسرائيل بحيث وقع الجزء القديم من المدينة مع الاماكن المقدسة تحت سيطرة الأردن والجزء الغربي منها تحت الهيمنة الاسرائيلية. وعلى ضوء المتغيرات ومعارضة الاردنيين والاسرائيليين على حدّ سواء خطّة التدويل تبنّي مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة اقتراحا معدّلاً أعده رئيس المجلس روجيه غارو Roger Garreau وذلك في نيسان ١٩٥٠. وقد نص الاقتراح الاساسي الذي قدّمه غارو Garreau على ان يدوّل جزء صغير فقط من القدس وهو الذي فيه الاماكن المقدسة الرئيسة وان يكون تحت سلطة الامم المتحدة(١٨). وقد رفضت

جمعيتا الامم المتحدة الرابعة والخامسة اقتراح الامم المتحدة الأخير هذا، وخططاً أخرى تقدمت بها السويد وبوليفيا(١٩). وبينما طوت الامم المتحدة قضية القدس بعد سنة ١٩٥٠ بقيت قرارات سابقة تنصّ على ابقاء القدس جسماً منفصلاً *Corpus Separatum* حيّة، لكن من دون تنفيذ.

لقد دعمت البابوية خطة التدويل وثابرت على الدعوة الى سيطرة دولية على القدس، كما أن الكرسي الرسولي عارض فكرة أن تنفرد حكومة ما بالسيطرة على المدينة. ومنذ ١٩٦٧ الى الآن، وبعد عملية الضم التي قامت بها اسرائيل تبدّل موقف الكرسي الرسولي ليصبح روحياً في طبيعته ويدعو الى حماية القدس بتشريع خاص يكفله العالم(٢٠).

الطوائف المسيحية في القدس

بعد أن وضحت الارضية المحيطة بتطور الوضع القانوني للقدس سأتناول بالتحليل وضع الطوائف المسيحية في القدس. إن إنقاذ لبنان كمثال حي على التعايش المسيحي ـ الاسلامي، وتالياً انقاذ المسيحيين اللبنانيين، كان واحداً من أهداف الكرسي الرسولي الرئيسية في الحرب اللبنانية. وقد أدّت هذه السياسة الى سوء تفاهم عميق بين الكرسي الرسولي والميليشيات المسيحية التي ظنّت أنه يمكنها الاعتماد على مساندة الفاتيكان لها في حربها ضد التحالف الفلسطيني ـ الاسلامي ـ اليساري.

وبالنسبة الى القدس فإن اهتمام الكرسي الرسولي الرئيس قام على انقاذ الطوائف المسيحية والابقاء على رأي له في الوضع المستقبلي للأماكن المقدسة المسيحية. وقد ركّز المندوب البابوي في القدس، الأسقف بيوس لاغي Pio Laghi، بشدة على المشاعر البابوية تجاه مصير المسيحيين المحلّيين اذ قال مخاطباً ادلاّء السياحة المسيحيين المحليين:

يمكنكم نقل نيويورك الى موقع آخر، لكن لا يمكنكم نقل

> القدس، اذ لن تكون شيئاً في مكان آخر. ان الكنيسة تعيش عبر التاريخ في المسيحيين العرب. إن الكنيسة هنا معقودة القران بشكل ما على حضارة الفلسطينيين العرب. واذا رحل المسيحيون فستختفي المسيحية لأن ٩٦٪ من المؤمنين ينتمـون الى العـروبيّة، عـرفـاً وحضارة(٢١).

في ابرشية القدس التي تضمّ اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزّة والاردن، حالياً، حوالي ١٨٢٠٠٠ مسيحي من طوائف مختلفة. كما ثمة، ايضاً، ثلاثة ملايين مسلم، ٢.٩ مليونان من اليهود(٢٢). وتشكل التغييرات الديموغرافية في القدس احدى المشاكل التي يواجهها الكرسي الرسولي. وقد جاء في احصاء سكاني اجري إثر حرب حزيران ١٩٦٧ ضم القدس الى اسرائيل أنّ سكان القدس توزعوا على الشكل الآتي: ١٩٩.٠٠ يهودي، ٦٦٠٠٠ عربي منهم ١١٠٠٠ مسيحي (٤٠٠٠ روم ارثوذكس، ٣٦٠٠ لاتين، و١٢٠٠ روم كـاثوليك) اضـافـة الى ٢٠٠٠ أرمني مسيحي. ومنذ ١٩٧٩ قُدّر عدد المسيحيين بأقل من ١٥٠٠٠(٢٣). وقد انخفض القسم المسيحي من السكان العرب من ٤٨.٩٪ سنة ١٩٤٩ الى ٩.٨٪ فقط سنة ١٩٧٨(٢٤). إن هذا التـدنّي ليس في العـدد، بل في النسـبـة، وذلك ضـمـن اطار الزيادات السريعة في حجم المجموعات الاثنية ـ الدينية الاخرى. لكن تبقى حقيقة هي أن المسيحيين يغادرون الأرض المقدسة حتى ولو كان خروجهم اقل مما كان عليه سنة ١٩٨٠ أو سنة ١٩٧٥. والاسباب الرئيسية لهذه الهجرة هي: وضع المسيحيين كأقلّية، والخلفية المتأثرة بالغرب عند بعض المسيحيين العرب، الانتفاضة والوضع الاقتصادي المتردي، والصراع القائم حول مستقبل القدس.

وهناك مسائل مهمة أخرى تؤثر على الأقليات المسيحية في الأرض المقدسة. لقد دفع وجود عدة مجموعات دينية في القدس ببعض المراقبين الى ان يعرّفوا هذا الوضع بالفسيفساء، وهذه الفسيفساء لا تختلف عن وضع المجموعات الاثنية ـ

الدينية في لبنان. تتكون هذه الفسيفساء من عدد كبير من الطوائف المسيحية في الارض المقدسة. وبحسب دراسة اجراها كولبي S. P. Colbi ، ثمة ٣٥ كنيسة مسيحية (طائفة) يمكن قسمتها أربع فئات: كاثوليكية، ارثوذكسية، مونوفيزية، وبروتستانت(٢٥).

تعد كنيسة الروم الارثوذكس أقدم الكنائس المسيحية ويبلغ اتباعها حوالي ٤٤٠٠٠ الفا. في القرن التاسع عشر سكنت مجموعات مسيحية أخرى كالكاثوليك والبروتستانت في فلسطين. وحتى ذلك الوقت كان الفرنسيسكان الموجودون في فلسطين منذ القرن الرابع عشر يحمون المصالح الكاثوليكية في القدس. وفي سنة ١٨٤٧ أنشأ البابا بيوس الحادي عشر البطريركية اللاتينية في القدس. وتعد كنيسة طائفة الروم الكاثوليك (الملكيين) الأكثر أهمية بين الكنائس التابعة للكرسي الرسولي في القدس، ومن بينها الكنائس الأرمنية، المارونية، السريانية، والقبطية.

لقد واجهت هذه الطوائف المسيحية المشاكل نفسها التي واجهتها الأقلّيات الأخرى في الشرق، اي مسألة الهويّة والصراعات بين الأديان والحزازات التي تختص بها الأراضي المقدسة والقدس. ان القضية الاساسية بالنسبة الى الاقلية المسيحية في الأراضي المقدسة كانت مسألة قبولهم على قدم المساواة مع غيرهم. وقد انطبق الشيء نفسه على غير المسلمين الذين يعيشون تحت حكم إسلامي.

واقع الامر أنّ غير المسلمين من المسيحيين واليهود عوملوا عبر التاريخ، إبّان الحكمين العربي والتركي، كذميّين من قبل الاكثرية المسلمة. إن تقبّل المسلمين المسيحيين في الامبراطورية العثمانية قد حدّده النظام الملّي. "وبموجب هذا القانون كانت المجموعات المحليّة من طائفة مُعينة تتمتع باستقلالية في تسيير امورها الروحية والمدنية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين والمجتمع، كإدارة الكنيسة والزواج والميراث والملكية والتعليم" (٢٦).

وقد أبعد النظام الملّي المسيحيين عن الحياة السياسية وعمّق الشكوك بينهم وبين المسلمين، اذ عومل المسيحيين كالأغراب واشتبه بهم كعملاء للقوى الاجنبية،

وغالبا ما كان ولاؤهم موضوع شك. بعد سقوط الامبراطورية العثمانية وكرد فعل على هذه المحنة، كان مسيحيو الشرق الأوسط في مقدمة الحركة القومية العربية، وهي الحركة العلمانية في العالم العربي، وقد أسس بعضهم الاحزاب الاشتراكية كحزب البعث الحاكم في سوريا والعراق.

إن نشاط المسيحيين العرب قد برّرته الحاجة الى الخروج من الفيتو الذي اجبروا على العيش فيه(٢٧). أضف الى هذا ان معضلة الهوية بالنسبة الى المسيحيين في الأرض المقدسّة قد زادت تعقيداً كونهم اضحوا أقلية في اسرائيل، بعد انشاء الدولة اليهودية. وبشكل ما، كانت هذه هي المرة الثانية في تاريخ المسيحية تجد فيها اقلّية مسيحية نفسها في وسط أكثرية يهودية(٢٨).

ويعكس بعض المجموعات المسيحية في لبنان التي اختارت إتباع سياسة المعارضة الكاملة للمسلمين اللبنانيين، وبخاصة بسبب وجود منظمة التحرير الفلسطينية في البلد، فقد وجد المسيحيون في الأرض المقدسة انفسهم في الجانب نفسه مع المسلمين في ما يتعلق بالنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. ويعتقد رفيق خوري أن هناك عوامل عدة تفسر تدنّي درجة العداء بين المسيحيين الفلسطينيين والمسلمين، وهذه العوامل تؤكدها:

- حقيقة أن الشعب الفلسطيني كلّه قد قاسى من المأساة التي حلّت بفلسطين منذ بداية هذا القرن،

- حقيقة أن المسيحيين والمسلمين قد حاربوا سوية للدفاع عن حقوقهم المشروعة،

- حقيقة أن المسيحيين في فلسطين تولّد عندهم، باستمرار، شعور قوي بالقومية العربية على غير ما حصل في بلدان عربية أخرى،

- حقيقة ان المسيحيين قد اضطلعوا دائماً بدور ناشط في الحياة الوطنية بكل مظاهرها، وذلك منذ يقظة المشاعر القومية في نهاية القرن التاسع عشر(٢٩).

إضافة الى المشاكل التي يثيرها تحديد الهوية فانه كان على المجموعات المسيحية في القدس أن تنتصر على قرون من انعدام الثقة والمشاعر السيئة المتبادلة. وينعكس هذا الوضع في الصراعات، مثلاً بين الكنيسة الارثوذكسية - الكنيسة الأقدم في الارض المقدسة - والطوائف المسيحية الأخرى كالكاثوليك والبروتستانت، الخ. في الواقع ان الكنيسة الارثوذكسية التي تعتبر نفسها "كنيسة الينابيع" تنظر الى "اللاتين على انهم دخلاء، والروم الكاثوليك خونة، والبروتستانت مرتدّين"(٣٠). زد على هذا أن طائفة الروم الارثوذكس في الأراضي المقدسة ترفض واقع أن يتكلم الكرسي الرسولي أحياناً عن القدس والأماكن المقدسة كأن له وصاية حصرية في الكلام باسم كل المسيحيين. تعتبر الكنيسة الارثوذكسية نفسها واحدة من الأطراف المهتمة بوضع مدينة القدس وأن لها رأيها الخاص حول هذا الشأن(٣١). وأخيراً تتردد الكنيسة الارثوذكسية بالمشاركة في أي جهود مسكونية لأنها لا تريد أن تخسر المزيد من اتباعها لصالح طائفتي اللاتين والروم الكاثوليك. اذ انّ غالبية اتباع هاتين الطائفتين هم، اصلاً من طائفة الروم الارثوذكس.

المشكلة الاخرى التي تعترض الطوائف المسيحية في القدس والتي يهتم بها الكرسي الرسولي مباشرة هي أن السلطات الكنسية بأستثناء الروم الكاثوليك - تمثل، عادة، مصالح خارجية (يونانية، فرنسية، روسية، ايطالية، الخ) بدل تمثيلها مصالح الأقليات المسيحية المحلّية. ان هرمية السلطة لدى الروم الارثوذكس يونانية، وايطالية لدى اللاتين (لقد تغير هذا الحال بتعيين المطران ميشال صباح كبطريرك للاتين)، وبريطانية سابقاً لدى الكنيسة الانغليكانية، وهكذا دواليك. وقد أشار المونسنيور لحام النائب البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك الى "انه فقط في القدس لا يمكن استعمال العربية كلغة اتصال في الاجتماعات المشتركة التي يعقدها رؤساء الطوائف المسيحية" (٣٢).

اخيراً إن ملكية الأماكن المقدسة هي مسألة موضوع جدال في العلاقات بين الطوائف المسيحية، إذ إن هناك عدة أماكن مقدسة تتقاسمها اكثر من طائفة مما

يؤدي أحيانا الى نزاعات معقدة. إن كنيسة قبر السيد المسيح، مثلاً، تشترك فيها طوائف الروم الارثوذكس، الروم الكاثوليك، الأرمن، الأقباط، السريان، والأحباش. وكان إقليد هذا المقام المسيحي المقدس في أيدي عائلة اسلامية، وذلك منذ الحكم العثماني. إلا انه تم التوصل في السنوات الأخيرة الى صيغة تعايش بين الطوائف المسيحية المختلفة في القدس في ما يختص باستعادة المقام(٣٣).

إضافة الى المشاكل الداخلية التي تعترض الطوائف المسيحية، فقد كان عليها أن تقاوم السلطات الاسرائيلية. فمنذ ان اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرار بسط سلطتها على القدس نشبت النزاعات بينها وبين بعض الطوائف المسيحية. إن السبب الاساسي لهذا الوضع هو انه ليس للكنائس المسيحية في القدس ضمانات تحميها سوى الوضع القائم *Status Quo* المبني على العرف. الأسباب الأخرى للاحتكاك مع الحكومة الاسرائيلية القانون المعادي للارساليات والهجمات التي تشنّها مجموعات من المتطرفين اليهود على المؤسسات المسيحية في القدس.

وفي مجال الرد على موجة الأنشطة المعادية للمسيحية أصدر ممثلو الطوائف الكاثوليكية والبروتستانتينية في القدس بيانا مشتركا يطالبون فيه "بقانون خاص مكفول عالمياً يتعلق بحقوق الأديان الموحّدة الكبرى في القدس وحرّياتها"(٣٤). وكان رجال الدين يعبّرون عن مخاوفهم من أن يكونوا الضحية الدائمة للقرارات الاعتباطية التي تتخذها القوة المسيطرة في المدينة المقدسة. وكان هذا، نفسه، موقف الكرسي الرسولي.

خلاصة الأمر أن هناك أربعة مصادر رئيسية للتوتر الذي يصيب الوجود المسيحي في القدس والتي على الكرسي الرسولي أن يتنبه لها ويتفاعل لها ويتفاعل معها على الدوام. أولها مشكلة الهجرة التي تؤثر على الأقلية المسيحية. ثانياً التاريخ الطويل من التعصّب وسوء الفهم بين المسيحيين والمسلمين في الشرق. المصدر الثالث هو غياب الانسجام والوحدة في العلاقات بين الكنائس المسيحية مما يضعها فيما بينها، وأمام قوى التفرقة الخارجية. أما المصدر الرابع

فهو الطبيعة المهتزة لوضع المجموعات غير اليهودية في القدس وأثر هذا الوضع على العلاقات بين الحكومة الاسرائيلية والسلطات الكنسية المسيحية.

من المهم أن نشير، الى أن هذه الخلافات التي تعصف بالعلاقات بين الطوائف المختلفة في القدس تشكّل عقبة أمام اهتمامات الكرسي الرسولي المسكونية والعلاقات بين الأديان. وكي نفهم هذه الخلافات بشكل أوضح سأنفذ الى تحليلي من المنظار الأوسع للمشاكل التي تعترض الكرسي الرسولي في الشرق الأوسط.

إن المصاعب التي تواجه المسكونية والعلاقات بين الأديان قد نشأت خلال الحرب في لبنان من الصراعات بين المسيحيين والنزاع بين بعض الطوائف المسيحية والاسلامية. إن الأحقاد والمخاوف التي تتجلّى عادة في علاقات الأقلية والاكثرية هي عامل مسيطر على كل ما عداه في كل من لبنان والقدس.لكن، في الارض المقدسة، يشترك الفلسطينيون، مسيحيين ومسلمين، في المصيبة ذاتها. أضف الى هذا انّ هناك فرقاً في النزاعات بين الطوائف المسيحية في لبنان وبين تلك التي في القدس. ففي لبنان تشكل الاعتبارات السياسية السبب الرئيسي لسوء التفاهم بين الطوائف المسيحية، وفي داخل كل منها. وتشكل مسألة الوجود الفلسطيني والقومية الفلسطينية في لبنان المصدر الاساسي للخلافات. ومع أن هناك بعضا من الموارنة يتهمون منظمة التحرير الفلسطينية باستغلال الضيافة اللبنانية فإن الروم الارثوذكس مثلاً يعارضون علاقات بعض الميليشيات المسيحية باسرائيل.

أما في الاراضي المقدسة فان العوائق امام المسكونية هي:

١ـ النزاعات الداخلية بين الطوائف؛

٢ـ الانفصال بين السلطات الدينية التي تمثل مصالح دينية خارجية والأهلين المسيحيين؛

٣. مسألة ملكية الأماكن المقدسة. فإذا كانت هناك عقبات تعترض الحوار المسيحي - المسيحي والحوار المسيحي - الاسلامي في لبنان فإن وجود الدولة اليهودية في الأرض المقدسة وسيطرتها هما اللذان يسببان التوتر. زيادة على ذلك، فإن غالبية المسيحيين في القدس هم من العرب، ولهذا فان حواراً صريحاً وصادقاً بين المسيحيين واليهود يصبح اكثر صعوبة.

أخيراً هناك مشكلة موقف المسيحيين المحليين من تدويل القدس. فهناك بعض المسيحيين والمسلمين الذين يعارضون الخطة التي ترعاها الامم المتحدة لأنها "يمكن ان تقوّي نفوذ العالم المسيحي في الغرب وغالبا ما تعطي اهمية كبرى للمسيحيين في الغرب"(٣٥). وتخشى الطوائف المسيحية في الأراضي المقدسة من ان تصبح مسألة المقامات المقدسة واماكن العبادة في القدس اكثر أهمية من مصير ساكنيها. وقد عبّر أحد المسيحيين العرب عن هذه المشاعر ببلاغة عندما كتب:

> تبدو المسيحية اوروبية للكثيرين بفعل عدد اتباعها من الاوروبيين وثقافتها الاوروبية. إن فكرة تدويل القدس هي ثمرة هذا التأثير الأوروبي وتأكيد ضمني أن المهم في القدس هو قدم اماكنها المقدسة - أحجارها وليس اهلها .. ان اعطاء مدينة القدس وضعاً خاصاً مستقلاً عن فلسطين يعني في الحقيقة تأكيد أن مدينة القدس هي أهم من فلسطين(٣٦).

تورّط القوى الاقليمية والعالمية في القدس

اضافة الى المتاعب التي تواجه الطوائف المسيحية فإن على الكرسي الرسولي أن يتعامل مع المواقف المتعارضة للحكومات العربية والاسلامية غير العربية والاسرائيلية من القدس والاماكن المقدسة. إن الموقف الاسرائيلي من القدس منذ سنة ١٩٤٩ كان موقف السيطرة المتزايدة والمنفردة على المدينة. وقد برز أول

موقف اسرائيلي من القدس في مذكرة أرسلت الى اللجنة السياسية المختصة التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٩. وقد اقترح ابا إيبان Abba Eban الوصول الى إتفاقية مع الامم المتحدة حول التدويل العملائي للاماكن المقدسة. وفي ايار ١٩٥٠ تبنّت موقفاً أخر يدعو الى تدويل جزئي للقدس محصور بالاماكن المقدسة. وكانت غالبية الاماكن المقدسة. باستثناء عليّة العشاء سري، تحت السيطرة الاردنية(٣٧).

وفي أعقاب الحرب العربية - الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ والاحتلال الاسرائيلي للجزء الشرقي من القدس، تبنّت الحكومة الاسرائيلية قانونا إعتبرت بموجبه مدينة القدس منطقة مضمومة الى اسرائيل(٣٨) وعلى عكس الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزّة اللذين اعتبرا أراضي محتلة فان اسرائيل اعتبرت موقفها من القدس "لا رجوع عنه وغير قابل للتفاوض"(٣٩). وهكذا نشأ وضع جديد للأماكن المقدسة فكانت هي المرة الأولى منذ ١٩٤٨ تقع المقامات الدينية اليهودية والمسيحية والاسلامية تحت سيطرة حكومة واحدة. أضف الى هذا أن المسلمين اعتبروا أن مثل هذه النتيجة ستؤدي فقط الى مضاعفات وخيمة إذ ان المكان الأقدس الثالث لعبادتهم قد وقع تحت السيطرة الاسرائيلية الشاملة. ولتهدئة مخاوف الطوائف المحلية اصدرت الحكومة الاسرائيلية قانوناً ينص على أن الاماكن المقدسة سوف تتم حمايتها من أي تدنيس أو أي تخريب ومن أي شيء يمكن أن يشكّل تعدّياً على حرية دخول اتباع الديانات المختلفة الى الاماكن التي يقدّسونها او على مشاعرهم تجاه هذه الاماكن"(٤٠). وفي سنة ١٩٨٠ تبنّى الكنيست الاسرائيلي "قانوناً اساسياً" أعلنت بموجبه القدس ومن طرف واحد "عاصمة اسرائيل الأبدية"(٤١) وقد يحضّ هذا القرار رغبة التجمع الحاكم في اسرائيل بالسيطرة على القدس. وقد أطلق هذا القرار موجة من الاحتجاجات والمعارضة الغاضبة ولا سيما من الحكومات العربية والاسلامية غير العربية والتي ما زالت تتردد بقوة الى اليوم وقد اعترض الكرسي الرسولي ايضاً على قرار إسرائيل ضمّ القدس.

وزيادة في تعقيد الوضع رات الحكومة الاسرائيلية على شراء مصادرة الأراضي في القدس وحولها وحتى على مصادرتها. ومنذ ١٩٦٧ أثارت اعمال الحكومة الاسرائيلية جدالاً تركّز حول محاولات "تهويد" مدينة القدس. وقد اتهمت الطوائف المسيحية والاسلامية الاسرائيليين باستعمال مشاريع الاسكان والتنظيم المدني "لتقوية الوجه اليهودي للمدينة"(٤٢) وبإجبار السكان غير اليهود على الرحيل(٤٣). وقد تبنّت الامم المتحدة عدة قرارات تدين الاجراءات الاسرائيلية وتعتبرها باطلة.

وفي ردٍّ على رفض الأمم المتحدة الاجراءات الاسرائيلية، اوضحت الحكومة الاسرائيلية ان ليس لها أية نية "في فرض سلطة من طرف واحد او تحمّل المسؤولية الحصرية عن الاماكن المقدسة للمسيحية والاسلام"(٤٤). أما القدس كمدينة فقد وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية، إلاّ ان الحكومة كانت راغبة في تشجيع المفاوضات ورعايتها بين المجموعات الدينية المحلّية كي تضمن كل مجموعة حقها في الاماكن المقدسة. وقد كتب المونسنيور برناردين كولان (Collin) العلاّمة المشهور في شؤون القدس معلقاً على الموقف الاسرائيلي من الاماكن المقدسة:

> ليس المهم ان تكون الأماكن المقدسة في اسرائيل أو في أي مكان أخر؛ الأهم أن تبقى بمعزل عن التقلبات السياسية، سواء بالنسبة الى السياسة المحلية أو العامة. هذا هو لبّ المسألة، ومنه تتولد الحاجة الى ايجاد وضع خاص للأماكن المقدسة(٤٥).

لقد عبّرت الحكومات العربية والاسلامية عن معارضتها مخطّط التدويل وذلك عقب قرار الامم المتحدة حول القدس عام ١٩٤٧ إذ خشي العرب أن لا تدّخر الوكالات اليهودية جهداً للسيطرة على القدس وذلك تحت غطاء من الحكم الدولي. إلا انه عندما اصبح واضحاً أن القدس سوف تقسّم بين قسم تحت الحكم الاسرائيلي وأخر تحت الحكم الاردني، ساندت بعض الحكومات العربية فكرة وضع

القدس تحت السيطرة الدولية(٤٦).

إن أوضح التصريحات المتوافرة حول المواقف العربية والاسلامية من القدس يمكن العثور عليها في القرارات التي تبنّتها عدّة مؤتمرات دولية مثل مؤتمر الرباط (المغرب، من ٢٢ ـ ٢٥ ايلول ١٩٦٩)، مؤتمر القمة الاسلامية في لاهور (باكستان من ٢٢ ـ ٢٤ شباط ١٩٧٤) مؤتمر القمة الاسلامية في الطائف (المملكة العربية السعودية، من ٢٥ ـ ٢٩ كانون الثاني ١٩٨١). وقد عبّر القادة العرب والمسلمون في كل هذه اللقاءات عن معارضتهم الكلية تدويل القدس وسيطرة كيان غير عربي عليها. اضف الى هذا أن العرب ومسلمي العالم يعتبرون القدس جزءاً لا يتجزأ من فلسطين ولا يمكن فصل مصيرها عن مصير المشكلة الفلسطينية"(٤٧). تجدر الاشارة في هذا المجال الى الدور المهم الذي اضطلعت به المملكة العربية السعودية. لقد حاول آل سعود بوصفهم سنة مكة المكرمة والمدينة المنورة اقناع الدول العربية والاسلامية بأنّ تحرير فلسطين يجب ان يشمل تحرير الاماكن المقدسة الاسلامية المقدسة في القدس. وقد بدت أهمية الدور السعودي في خطة السلام التي اقترحها الأمير فهد (الملك فهد الآن) في ٧ آب ١٩٨١ في مبادئ سبعة.

بين المبادئ السبعة للخطة مبدأ يدعو الى "انسحاب اسرائيلي من كل الاراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧ بما فيها الجزء العربي من القدس". كما أن هناك مبدأ يدعو لضمان "حرية الممارسات الدينية لكل الأديان في المقامات المقدسة في القدس". واخيراً مبدأ يدعو الى "انشاء دولة فلسطينية تكون القدس الشرقية عاصمتها" (٤٨).

خلاصة الأمر، يرى العرب أن مسألة القدس هي جزء أساسي في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني إذ أن اهتماماتهم الرئيسة هي في الوصول الى اماكنهم المقدسة والاعتراف بحقوق الفلسطينيين. من جهة اخرى تهدف وجهة النظر الاسرائيلية الى السيادة على المدينة. يعترف الكرسي الرسولي في الاساس بحقوق الطرفين، مع اقتراحٍ بايجاد وضع خاص للقدس مضمون عالمياً. وقد تطرق

الكرسي الرسولي بموقفه هذا الى الجانب الاساسي لمسألة القدس أي الطابع الروحي للمسألة وحرية الوصول الى الاماكن المقدسة وصون حقوق المجموعات الدينية. زد على هذا أن اقتراح الكرسي الرسولي يغير في تحديد مسألة السيادة بايجاده الاطار لانشاء هيئة دولية للاشراف على القدس.

المواقف الدولية: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي

منذ العام ١٩٤٨ حتى اليوم لم يقبل المجتمع الدولي بسيطرة أي من العرب أو الاسرائيليين على المدينة المقدسة وفي هذا يكتب بيفر Jaeger:

> إن الموقف الدولي مدفوع، او يجب أن يكون مدفوعاً، بأمل معقول في أن الرفض الدائم للاعتراف بحق أي دولة بالسيادة على القدس يمكن أن يؤدي بالدول التي تعنى بايجاد مثل هذه الحقوق الى القبول بترتيب دولي واقعي وعادل يضمن بشكل فاعل وحازم حرية المجموعات الدينية في الوصول الى المقامات المقدسة لديها وكذلك الحرية والحقوق المشروعة لهذه المجموعات(٤٩).

لقد رفضت الولايات المتحدة نقل سفارتها من تل أبيب بعد قرار الحكومة الاسرائيلية نقل وزارة خارجيتها الى القدس (١٩٥٣). إلاّ أن الحكومة الاميركية أبقت على قنصلية لها في القدس مستقلة عن سفارتها في تل أبيب. وفي سنة ١٩٦٧ كان في القدس حوالي ٤٠ بالمئة من البعثات الدبلوماسية الاجنبية الاربع والخمسين في اسرائيل ومعظمها من دول افريقيا واميركا اللاتينية.

لقد عارضت الولايات المتحدة في سنة ١٩٦٠ الخطة الاردنية القاضية ببناء مكاتب للملك ومجلس الوزراء، ومجلس النواب في القدس كما عارضت سنة ١٩٦٧ بعد الاحتلال الأسرائيلي للمدينة القديمة، القرار الاسرائيلي بوضع القدس بكاملها

تحت السيطرة والادارة الاسرائيلية. وفي عام ١٩٨٠، بعد ان صوّت الكنيست على جعل القدس العاصمة الازلية لاسرائيل اعادت معظم الدول التي تقيم علاقات دبلوماسية مع الدولة العبرية بعثاتها الدبلوماسية الى تل أبيب فقط كوستاريكا والسلفادور فهما جعلتا سفارتيهما في القدس.

إن الموقف الاميركي من القدس قد عبّر عنه الرئيس ريغان في مبادرته للسلام في الشرق الاوسط والتي اطلقها في اول ايلول ١٩٨٢ حيث يقول "يجب ان تبقى القدس غير مقسمة الا أن وضعها النهائي يجب ان تقرره المفاوضات" (٥٠).

خلال المناقشات حول تدويل القدس التي جرت سنة ١٩٤٨ تبنى الاتحاد السوفياتي موقفاً مؤيداً لخطة الامم المتحدة شرط ان تضمن مصالح الشعب والمجموعات الدينية وتؤمّن السلام والأمان للمدينة. وكان وراء التأييد السوفياتي "الأمل بزيادة نفوذه بشكل ما في الشرق الاوسط عبر المشاركة كقوة اساسية في أعمال اشراف الامم المتحدة على مدينة مقدسة مدولة"(٥١). وفي سنة ١٩٥٠ سحب الاتحاد السوفياتي تأييده لوضع "الكيان المستقل".

وبعد حرب ١٩٦٧ قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل وساند مع حلفائه في اوروبا الشرقية قراراً قدّمته باكستان الى الامم المتحدة يعتبر ضم اسرائيل للقدس باطلاً.

خلاصة القول أن القوى العظمى لا توافق على سيطرة اسرائيل الحصرية على القدس. فالولايات المتحدة تدعو الى ابقاء المدينة غير مقسمة، والاتحاد السوفياتي قد ربط نفسه بالموقف العربي الاسلامي.

الكرسي الرسولي، الاماكن المقدسة والقدس

إن سياسة الكرسي الرسولي تجاه القدس قد تطورت عبر القرن الماضي من سياسة الاستعلاء الى سياسة رعاية المسكونية والعلاقات بين الاديان. وعبر التاريخ لم يتردد الكرسي الرسولي في تأكيد حقوقه في القدس والاماكن المقدسة. وقد

اعترفت بهذه الحقوق منظمات دولية مثل الامم المتحدة وكنائس مسيحية اخرى، وبلدان عربية واسلامية، وحتى اسرائيل(٥٢).

لقد دافع الكرسي الرسولي لغاية سنة ١٩٤٧ عن اولوية الحقوق والامتيازات الكاثوليكية في الارض المقدسة على تلك التي للمجموعات الدينية الاخرى. ان إعلان بلفور وفيه وعد باقامة وطن يهودي في فلسطين قد اصبح من هموم الكرسي الرسولي الرئيسة فالبابا بنديكتوس الخامس عشر Benedict XV كان قلقاً من اثر مثل هذا الحدث على النفوذ الكاثوليكي في فلسطين. وقد جاء في خطاب القاه بتاريخ ١٠ آذار ١٩١٩:

> سيكون من دواعي حزننا العظيم وحزن جميع المؤمنين المسيحيين لو وُضع الكفّار في وضع متميّز وعال. وسيزداد حزننا إذا ما وضعت الاماكن الاكثر قدسية في الدين المسيحي تحت اشراف غير المسيحيين(٥٣).

وقد تم، مرة أخرى، تأكيد الأهمية القصوى المعطاة للمحافظة على المصالح والحقوق الكاثوليكية في القدس وذلك في خطاب قصير *Vehementer Gratum* القاه البابا بيوس الحادي عشر بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٢٢ اعلن فيه:

> إنه واجبنا الرسولي ان نطالب بالاحترام والحماية واعطاء الاولوية لحقوق الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين في الحالات التي تكون فيها هذه الحقوق متقدمة بوضوح على حقوق الاطراف الاخرى ليس فقط على حقوق اليهود والكفّار بل كذلك على حقوق اتباع المعتقدات غير الكاثوليكية(٥٤).

ومن العام ١٩٢٢ الى العام ١٩٤٨ وجّهت قوة خطاب البابا بيوس الحادي عشر موقف الفاتيكان وأصبحت أساساً لموقف الكنيسة القائل بتفوق المصالح

الكاثوليكية وذلك قبل المجمع الفاتيكاني الثاني. وفي اعقاب قرارات الامم المتحدة والمداولات حول وضع القدس التي جرت ما بين ١٩٤٨ و١٩٥٠ خرج الكرسي الرسولي بموقف مؤيد لتدويل المدينة. وقد تم شرح هذا الموقف في رقيمين متتاليين اصدرهما البابا بيوس الثاني عشر Pius XII في الرقيم الاول *In Multiplicibus Curis* (٢٤ تشرين الاول ١٩٤٨) يدعو البابا من دون ان يذكر التدويل صراحة، الى ضمانات دولية لضمان "حرية الوصول الى الأماكن المقدسة المنتشرة في كل فلسطين والى حرية العبادة واحترام التقاليد والعادات الدينية"(٥٥). وبعد سنة من هذا كتب البابا بيوس الثاني عشرPius XII في رقيمه مخلّصنا المصلوب *Redemptoris Nostri Cruciatus* الصادر في ١٥ نيسان ١٩٤٩ انه "من الأهمية القصوى ضمانة الحماية والمناعة اللازمة لكل الاماكن المقدسة في فلسطين ليس فقط القدس، وانما المدن والقرى الاخرى"(٥٦).

لقد جاءت الوثيقة البابوية الثانية هذه في أعقاب خطط نوقشت في الامم المتحدة كان يمكن أن تقسم القدس نهائيا بين اسرائيل والاردن. ويرى يوجين بوفيس Eugene Bovis انه "بموجب هذا التدبير سيكون هناك أمل ضئيل في تجميع سكان مسيحيين في القدس باعداد كافية تسمح بأن يكون لها كلمتها في ادارة شؤون المدينة، أو إيجاد قاعدة لتعزيز مصالح الفاتيكان في الشرق الادنى"(٥٧). اضف الى هذا أن تأييد الكرسي الرسولي فكرة التدويل كان بسبب شعور البابا بتزايد الخطر على المقامات المقدسة والمؤسسات الكاثوليكية التي أصابها الضرر من جراء الحرب العربية الاسرائيلية سنة ١٩٤٨. أما السبب الثاني الرئيسي فكان له مدلولات سياسية. وتشير دراسة إيطالية حديثة مبنية على بحث دقيق في المحفوظات الدبلوماسية الاميركية والبريطانية أن فرنسا قد حثت سفيرها لدى الفاتيكان فلاديمير دورميسون Wladimir d'Ormesson على "ان يطلب من الأب الأقدس اتخاذ موقف رسمي مؤيد لتدويل القدس والاماكن المقدسة... وقد رحّب البابا بيوس الثاني عشر بهذا الاقتراح"(٥٨). لم يكن من شك في أن البابا قد اختار ذلك ارضاء فرنسا "الابنة الكبرى للكنيسة".

ومنذ العام ١٩٦٧ حتى اليوم، ومع تأمل التغييرات التي حصلت داخل الامم المتحدة حيث غالبية الاعضاء من العالم غير الكاثوليكي والتغييرات التي أحدثها الاحتلال الاسرائيلي للمدينة المقدسة، فإن الكرسي الرسولي قد أعاد تقويم سياسته تجاه القدس والاماكن المقدسة. وفي الواقع اسقط الكرسي الرسولي دعوته الى إقامة حكم دولي على القدس واختار عوضاً عن ذلك الدعوة لاقامة وضع خاص بضمانات دولية. وبالرغم من هذا يبقى مبدأ عدم وجوب سيطرة دولة واحدة على المدينة المبدأ الاساسي الذي يوّجه سياسة الفاتيكان تجاه القدس، إن التعديل قد طاول التطبيق.

لقد انعكس التطور في موقف الكرسي الرسولي من القدس في عدة خطب القاها البابا بولس السادس أهمّها عظته امام مجمع الكرادلة المقدس بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٦٧ وفيها يشرح الحبر الاعظم آراءه حول حل لمسألة القدس:

> إن هناك جانبين اساسيين من المستحيل تحاشيهما، يتعلق الاول بالاماكن المقدسة التي سميت هكذا بحق واعتبرت كذلك من قبل الديانات الموحدة الثلاث الكبرى: اليهودية والمسيحية والاسلام. إنها مسألة ضمان حرية العبادة واحترام المحافظة عليها والوصول الى الاماكن المقدسة تحميها حصانات خاصة بفضل وضع خاص تضمن مراعاته مؤسسة ذات طابع دولي وتهتم على وجه الخصوص بشخصية القدس التاريخية والدينية. أما الجانب الآخر للمسألة فيعود الى حرية التمتع بالحقوق المدنية والدينية المشروعة للاشخاص والمساكن ونشاطات كل المجموعات الموجودة على أرض فلسطين(٥٩).

إن موقف البابا بولس السادس يعني أن التدويل كان موقفاً سياسياً أبطله

فشل الامم المتحدة في تنفيذ قراراتها. لذلك اختار الكرسي الرسولي أن يدعو الى ايجاد ضمانات دولية للاماكن المقدسة والى تمتع المجموعات التي تعيش في القدس بحقوقها المدنية والدينية من دون قيد. لقد استعادت الكنيسة بشكل ما، وعلى ضوء الروح المسكونية التي رعاها المجمع الفاتيكاني الثاني، موقعها الحقيقي كمرشد روحي يقدم اقتراحات لحل مسألة القدس والاماكن المقدسة تاركا للمجتمع الدولي مهمة إيجاد الاشكال التي يجب تنفيذ ضمانات هذه الحقوق بها. من المهم أن نشير ايضاً الى ان البابا بولس السادس قد ساوى في خطابه بين الديانات الثلاث الموجودة في القدس وهي اليهودية والمسيحية والاسلام، وذلك بعكس ما جاء في خطب البابا بنديكتوس الخامس عشرBenedict XV والبابا بيوس الحادي عشر Pius XI ولم تكن هناك اشارة الى خوف الكرسي الرسولي من ان تقع فلسطين تحت سيطرة الكفّار *"in potestate infidelium"* .

اخيراً، يجب الاشارة الى حقيقة ان العناية البابوية لم تعد مقصورة على الكنائس والمؤسسات، بل شملت الحقوق المدنية والدينية "للمجموعات" الموجودة في "فلسطين" والتي تضاهي في اهميتها الكنائس والمؤسسات ان لم تفقها لقد أيّدت موقف الحبر الاعظم من القدس مجموعات مسيحية مثل مجلس الكنائس العالمي فأكد في بيان حول الشرق الاوسط اصدره عقب اجتماع عقدته لجنته المركزية في برلين الغربية في اب ١٩٧٤ أن "القدس ليست فقط مسألة حماية الاماكن المقدسة، انها ترتبط ارتباطاً عضوياً بأديان حيّة ومجموعات من الناس في المدينة المقدسة"(٦٠).

كان من المحتم ان يصطدم موقف البابا من القدس بموقف الحكومة الاسرائيلية. ففي شكل ما شكّل اقتراح الكرسي الرسولي في شأن القدس والاماكن المقدسة كابحاً من المجتمع الدولي للسيادة الاسرائيلية الكاملة. وبنتيجة ذلك أدت الخلافات بين الطرفين الى نشوء احتكاكات وسوء تفاهم.

تهويد القدس

بعد حرب ١٩٦٧ نشأ جدال حول خطط اسرائيلية "لتهويد" القدس ولم يبق الكرسي الرسولي خارج الصراع، بل عبّر عن استيائه في مقالة حول النزاع نشرت في صحيفة **الأوسرفاتوري رومانو** في عددها الصادر في ٢٢ آذار ١٩٧١. وقد جاء فيه:

> هناك وضع خطير يجري ايجاده ضد الشرعية وعلى اساس منطق "الحقائق القائمة". إن اجراءات المصادرة تكفي لاعطاء فكرة عن الشكل الجذري الذي يفرض فيه على القدس وجه لا يلائم طبيعتها التاريخية والدينية ورسالتها العالمية. لقد تمت بتاريخ كانون الثاني ١٩٦٨ مصادرة ٣٠٠ هكتار من الاراضي في منطقة جبل (المنطرة) تم بناء مناطق سكنية يهودية على قسم كبير منها. وفي ايلول ١٩٧٠ تمت مصادرة ١٢٠٠ هكتار اخرى من القسم العربي من القدس ومن حولها وذلك لتنفيذ مشاريع "القدس الكبرى". وهناك مشروع آخر للمدينة القديمة من القدس قيد الدرس يجري بموجبه تهجير حوالي ٦٠٠٠ عربي ومصادرة بضعة ابنية. إنه من المستحيل تجنّب الشعور بالخوف العظيم من قبل هذه التغييرات الخطيرة. حتى في اسرائيل نفسها ان هذه المشاريع اثارت انتقادات حامية ليس فقط من وجهة نظر مدينية(٦١).

وختمت صحيفة **الأوسرفاتوري رومانو** مقالتها بالتشديد على الحاجة الى "هيئة دولية تضمن حقيقة الوجه الخاص للقدس وحق الاقليات فيها"(٦٢). السؤال هنا كان عن كيفية ارضاء موقف الحكومة الاسرائيلية ونيتها في مدّ

سيادتها على المدينة وحماية حق المجموعات غير اليهودية التي تعيش في القدس في الوقت نفسه.

المذكرة المشتركة (١٩٧٣)

لقد ادى اهتمام البابوية بالقاء الطابع "المميز" و"العالمي" للقدس وحمايته الى مشاكل اخرى مع الاسرائيليين. في كانون الاول سنة ١٩٧٣ قابل البابا بولس السادس وفداً من رؤساء الدول الافريقية. وبعد الاجتماع صدر بيان مشترك نشرته وكالة انباء مستقلة (KIPA) نقلت فيه ان القادة الافارقة حضروا الى الفاتيكان لمشاركة البابا حرصهم على مدينة القدس. فبالنسبة الى الوفد الافريقي "لا يجب ان تقع القدس تحت السيطرة الحصرية لدين واحد. ان الحل للمدينة يجب ان يقوم على اساس قرارات الامم المتحدة"(٦٣). وفي اشارة الى البابا ذكرت المذكرة المشتركة أن "الأب الأقدس قد اكّد موقف الكرسي الرسولي بالنسبة الى الاماكن المقدسة وبالنسبة الى القدس بخاصة"(٦٤).

أما في اسرائيل فإن اخبار الاجتماع في الفاتيكان قد وصلت الى الصحف دونما تمييز بين تصريح القادة الافارقة وتصريح البابا فظهر كما لو ان البابا بولس السادس قد اعلن بنفسه معارضته اية سيطرة حصرية لأي جماعة دينية على القدس. وقد وجّه بعض السياسيين الاسرائيليين امثال وزير الداخلية الدكتور يوسف بورغ Joseph Burg ووزير الشؤون الدينية الدكتور وارهافتيغ Z. Warhaftig اللوم العلني للبابا بولس السادس. وقد ذكرت بعض الصحف الايطالية النافذة ان التهجمات الاسرائيلية على البابا قد أثارت غضباً عميقاً في الفاتيكان(٦٥). وكتبت صحيفة دافار *Davar* الناطقة باسم حزب العمل الاسرائيلي ان كلمات البابا "هي في الوقت نفسه وصف خاطئ للوضع كما هو ومثال خاطئ عن نيات اسرائيل المعلنة بخصوص المستقبل... إن دعوة (البابا) الى إيجاد "وضع مميّز" للقدس تعبر عن النية في تغيير وضعها كعاصمة اسرائيل"(٦٦).

يظهر هذا الحادث مدى الحذر وانعدام الثقة بين الكرسي الرسولي والدولة اليهودية. منذ عام ١٩٦٨ اصبحت المرونة التي كان الكرسي الرسولي قد قرر تبنيها في علاقاته مع اسرائيل رهينة الخلافات المتراكمة في شان وضع القدس والاماكن المقدسة. وكانت المعارضة التي ابداها الكرسي الرسولي لأي سيطرة حصرية - دينية كانت أو سياسية - على القدر مصدراً للتوتر بين الكرسي الرسولي والاسرائيليين.

لنا في الروح (١٩٧٤) *Nobis in Animo*

إن انشغال الكرسي الرسولي بالقدس وبمصير المسيحيين الذين يعيشون في الأراضي المقدسة قد ظهر في ما تضمنته وثيقة مهمة أصدرها البابا بولس السادس بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٧٤. ففي عظته "لنا في الروح" الموجهة الى "الاساقفة، رجال الدين والمؤمنين حول حاجات الكنيسة في الأرض المقدسة" يتكلم البابا على الروابط الحميمة بين الارض المقدسة والمسيحيين في كل مكان:

> إن للكنيسة في القدس... مكاناً مميزاً من إهتمامات الكرسي الرسولي والعالم المسيحي قاطبة. إن استمرار حالة التوتر في الشرق الاوسط يشكل خطراً جدياً ودائماً. كما ان استمرار الاوضاع التي تفتقر الى أرضية قضائية واضحة معترف بها ومضمونة عالمياً والتي لا تشكل حلاً عادلاً ومقبولاً يحفظ حقوق الجميع، يمكن أن تزيد فقط من صعوبة ايجاد مثل هذا الحل. اننا نفكر خاصة بالقدس التي تتجه اليها هذه الايام وبقوة افكار اتباع المسيح والتي يجب ان يشعروا انهم مواطنون كاملون فيها على قدم المساواة مع اليهود والمسلمين لو قيض للوجود المسيحي في القدس ان ينتهي فان المقامات المقدسة ستخلو من حرارة

> الشاهد الحيّ، وستصبح الاماكن المقدسة المسيحية والارض المقدسة كالمتاحف(٦٧).

وقد دعا البابا بولس السادس الى التعايش السلمي بين الطوائف والمجموعات المختلفة التي تعيش في الشرق الاوسط:

> في الحقيقة يعرف الجميع ان الحضارات المختلفة في الاراضي المقدسة سوف تتلاقى مع الزمان كي تفسح في المجال امام المجموعات المختلفة - حتى ولو اختلفت فيما بينها لاسباب متعددة - بان تتعاون فيما بينها و"تسير معاً" لاعطاء التعبير اليوناني *Syn-hodos*(اي مجمع) معناه العميق. وفي عملية التقارب هذه سيكون الوجود المسيحي في الاراضي المقدسة، الى وجود اليهود والمسلمين، عامل وئام وسلام(٦٨).

إن بيان البابا لا يمكن ان يكون اكثر وضوحاً في إظهار رؤية الكرسي الرسولي لتسوية سلمية لمسألة القدس والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. وقد أثار البابا بولس السادس نقطة اساسية الا وهي إقتناعه بضرورة تمتع اليهود والمسيحيين والمسلمين بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها "المواطنون" دون أية عوائق. لقد شكل هذا نوعاً من التوبيخ للمقولة الاسرائيلية بالسيطرة السياسية الحصرية على القدس، مع السماح بهامش ضيق من الاستقلالية يقتصر على الامور الروحية للطوائف المسيحية والاسلامية في القدس(٦٩). زد على ذلك ان الاهتمام البابوي قد ازداد بفعل التخوف من ان تؤدي حالة التوتر والنزاع الدائمين في الشرق الاوسط الى خروج المسيحيين من الأماكن المقدسة مما يجعلها "متاحف".

لقد هاجم حاخام اسرائيل الأكبر شلومو غورين Shlomo Goren بقوة تصريح البابا بولس السادس قائلاً:

ان لمطالبة الفاتيكان بوضع قانوني للاماكن المقدسة طبيعة سياسية صرف لا ترتكز على العدالة او وحدة الدين او الحق التاريخي. اننا مذهلون من كون الفاتيكان لم يصدر اطلاقاً اي احتجاج عندما كانت الأماكن المقدسة في القدس في أيد أردنية. لقد رفض الاردنيون اعطاء اليهود حق الوصول الى الأماكن المقدسة ـ ودنسوا المقبرة الأكثر تقديساً في جبل الزيتون. يجب ان يعرف العالم أن القدس هي عاصمة اسرائيل وانها روح الشعب اليهودي وانه من واجبنا الدفاع عن المدينة بحياتنا(٧٠).

لقد عمّق الحاخام خورين الهوة بين راس الكنيسة الكاثوليكية والزعماء الدينيين الاسرائيليين وقد أشار رئيس حاخامي اسرائيلي الى حقيقة أن الكرسي الرسولي لم يندّد بقوة بالاردن عندما كان يسيطر على القدس والاماكن المقدسة. فخلال السيطرة الاردنية على المدنية دنست المقبرة اليهودية في جبل الزيتون ومنع اليهود من الوصول الى حائط المبكى. الا ان وضع القدس انذاك كان مختلفاً كثيراً عما هو عليه اليوم. لقد رفض الملك حسين بالفعل ان يعلن القدس "مدينة عربية" بالرغم من ضغوط منظمة التحرير الفلسطينية المتزايدة في هذا الاتجاه(٧١). اضف الى هذا ان الحكام الهاشميين لم ينووا أبداً نقل عاصمتهم من عمان الى القدس بعكس الحكومة الاسرائيلية.

ندوة طرابلس الغرب (١٩٧٦)

ان الموقف الذي اتخذه الكرسي الرسولي تجاه القدس كان ايضاً مصدراً لحادثة محرجة في لقاء ضم وفداً من الفاتيكان وزعماء دينيين وسياسيين عرب وذلك في شباط ١٩٧٦ فقد عقدت في طرابلس الغرب في ليبيا ندوة حول الحوار الاسلامي ـ المسيحي، برعاية الحكومة الليبية والكرسي الرسولي معاً(٧٢). وقد

تمثل الفاتيكان برئيس امانة العلاقات مع غير المسيحيين الكاردينال سرجيو بينيدولي Sergio Pignedoli والمونسينيور بيترو روسانو Pietro Rossano والاب فرنسوا ابو مخ من الامانة ذاتها.

صدر عن الندوة بيان يقع في ٢٤ مقطعاً يتناول اضافة الى مسائل اخرى، مسألة الحرية الدينية، الدين والعلم، التعاون الديني، ولبنان. وقد ضمّ الى البيان مقطعان (٢٠ و٢١) مثيران للجدل يتعلقان بالنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. في الحقيقة لم يوافق ممثلو الفاتيكان على هذين المقطعين.

تنص الفقرة ٢٠ على ان "الطرفين يميّزان بين الصهيونية واليهودية ويعتبران الصهيونية حركة عدائية عنصرية غريبة عن فلسطين ومجمل الشرق"(٧٣). اما الفقرة ٢١ فتتناول وضع القدس وتنصّ على ان الطرفين "يؤكد ان الحقوق القومية للشعب الفلسطيني وحقه في العودة الى ارضه ويؤكد ان القدس هي مدينة عربية، ويدعوان الى انشاء هيئة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير طابع الأماكن المقدسة المسيحية والاسلامية."(٧٤).

ويبدو من ردود الفعل على ندوة طرابلس الغرب أن وفد الفاتيكان قد يكون وقع في فخ بحيث تم انتزاع موقف سياسي من لقاء ديني(٧٥). ولم يوافق الكرسي الرسولي على التأكيد ان "القدس هي مدينة عربية" دون التمييز بين القسم الغربي منها الذي كان ضمن اسرائيل منذ العام ١٩٤٨ والمدينة القديمة التي تم احتلالها عقب حرب حزيران ١٩٦٧. وقد أعاد الكاردينال بينيدولي Pignedoli تبيان موقف الكرسي الرسولي المعروف من القدس اي اعطاءها وضعا مميّزا مكفولا، عالميا.

لقد سارعت صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** الى الاشارة الى انه بعد قراءة دقيقة للفقرتين ٢٠ و٢١ "اعلن الكرسي الرسولي انه يمكنه القبول بهما لأن مضمونها لا يوافق في نقاط أساسية موقف الفاتيكان المعروف"(٧٦). ان ما أراد الفاتيكان أن يظهره برفضه فقرتي بيان طرابلس الغربي هو في الحقيقة:

١ - ترفض البابوية أن تجرّ الى النزاع العربي - الاسرائيلي كي تدعم قضية طرف على طرف آخر،

٢ - يعتبر الكرسي الرسولي ان المدينة المقدسة هي التراث المشترك بالتساوي وبدون تمييز بين الديانات الموحّدة الثلاث.

مقالة صحيفة الاوسرفاتوري رومانو (١٩٨٠)

قبل ان تسنّ الحكومة الاسرائيلية "القانون الاساسي" الذي تعطي بموجبه عملية ضم القدس وجها شرعيا، أصدر الكرسي الرسولي بيانا يُعدّ الأكثر وضوحا وتفصيلا حول موقفه من قضية القدس. ففي مقال نشر في صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** بتاريخ ٣٠ حزيران وأول تموز ١٩٨٠ طالب الكرسي الرسولي بالآتي:

١ - ايجاد السبل المناسبة لضمان طابع القدس الشامل كتراث مقدس مشترك بين الديانات الموحّدة الثلاث،

٢ - حماية الحرية الدينية بجميع مظاهرها لجميع الأديان،

٣ - حماية مجمل الحقوق التي اكتسبتها الطوائف المختلفة في المقامات المقدسة ومراكز العبادة والدرس والخير العام،

٤ - تأمين استمرار تطوير النشاط الديني والتربوي والاجتماعي لكل طائفة،

٥ - ان يتم تنفيذ هذا بمعاملة الاديان الثلاثة بالتساوي،

٦ - ان يتم هذا عبر "صيانة قانونية ملائمة" لا تنبع من ارادة فريق واحد فقط(٧٧).

وأوضحت المقالة ان هذه "الصيانة القانونية" تشبه "القانون الخاص" الذي يودّ الكرسي الرسولي رؤيته مطبقا على القدس. وبعد أن شددت المقالة على أن

اهمية القدس وقيمتها يتخطّيان اهتمام اية دولة بمفردها او اية اتفاقات ثنائية بين دولة واحدة وآخرين "تعود بالذاكرة الى قرارات الامم المتحدة الصادرة في ١٩٤٧، ١٩٤٨ و١٩٤٩ والى "الحكم الخاص" الذي وافق عليه مجلس الوصاية سنة ١٩٥٠(٧٨). اخيرا تشرح الصحيفة ما يمكن فهمه بمثابة قبول مشروط بسيادة اسرائيلية او ربما اردنية على القدس:

> يعتبر الكرسي الرسولي ان حماية الطابع المقدس والعالمي للقدس هو من الأهمية بمكان بحيث يتطلب معه من اية قوة تحاول ممارسة سيادتها على المدينة المقدسة ان تتحمل امام الاديان الثلاثة المنتشرة في العالم مسؤولية حماية تتجاوز الطابع الخاص للمدينة الى الحقوق المتصلة بالاماكن المقدسة والمجموعات الدينية المعنية، وذلك على اساس هيئة دولية مناسبة(٧٩).

تظهر في هذه المقالة بعض النقاط المهمة. ففي حين يؤكد الكرسي الرسولي معارضته اية سيطرة حصرية لأية دولة بمفردها على المدينة فانه يبدي ميلا للقبول بسيادة اية "قوة" وفي هذه الحال اسرائيل، بشرط ان تضمن هيئة دولية الوضع المميز للمدينة المقدسة. وفي هذا الاطار تجب الاشارة الى ان صحيفة الفاتيكان لا تذكر الامم المتحدة على انها ضامن للطابع المميز للقدس. اضافة الى هذا وكما اوضح مسؤول فاتيكاني:

> ان الفكرة كانت في الغالب ان تجتمع مجموعة دول ذات سيادة لها مصلحة تقليدية في حماية الوجود المسيحي وتنشيطه في الأرض المقدسة ورسم شكل القانون الخاص الذي سوف تضمنه ايضا. وقد وردت اسماء ايطاليا، فرنسا، اسبانيا، بريطانيا، اليونان

والولايات المتحدة(٨٠).

يمثل موقف الكرسي الرسولي من القدس والاماكن المقدسة المرحلة الرابعة في تطور الموقف البابوي. أما المرحلة الأولى فتميزت بالدفاع عن الأولوية المطلقة للحقوق والامتيازات الكاثوليكية (البابا بنديكتوس الخامس عشر والبابا بيوس الحادي عشر). وكان في لبّ المرحلة الثانية خطة الامم المتحدة لتدويل القدس وحريّة وصول الحجّاج الى الأماكن المقدسة (البابا بيوس الثاني عشر). أما المرحلة الثالثة فقد تميزت بالتشديد الروحي على ثلاث نقاط أساسية:

١ - وضع خاص للقدس والأماكن المقدسة تضمنه هيئة دولية.

٢ - المحافظة على الحقوق المدنية والدينية لجميع الطوائف.

٣ - الاعتراف بالمساواة بين الديانات الموحّدة الثلاث (البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني).

أما المرحلة الرابعة فقد تميزت برغبة الكرسي الرسولي في القبول بسيادة قومية خاضعة لاشراف دولي.

يمكن فهم تطورات السياسة هذا على انه انتقال من التشديد على الأماكن الى التشديد على الشعب، من التشديد على الشؤون السياسة الى التشديد على الشؤون الروحية، ومن التشديد على الحصرية الى التشديد على المسكونية، لكن مع الابقاء على مبدأ اساسي لم يتغير بشكل جذري، هو أن لا تمارس اي دولة سيطرة حصرية على القدس.

هناك عوامل ثلاثة أثرت في تطور سياسة الكرسي الرسولي، هي:

١ - عدم جدوى قرار تدويل القدس بفعل النزاع العربي - الاسرائيلي وعدم الاهتمام الدولي،

٢ - رفض ما قامت به الحكومة الاسرائيلية من ضمّ و"تهويد" للقدس،

٣. حاجة الكرسي الرسولي الى ايجاد توافق بين الاهتمامات الدينية الخارجية في الأماكن المقدسة مثل حقوق الحج والاهتمامات التي ترتبط بشكل أساسي اكثر بتمتع الطوائف الموجودة في الأرض المقدسة بجميع حقوقها المدنية والدينية كاملة.

وكما هو متوقع، أدّى الموقف الرابع الذي اعتمده الكرسي الرسولي الى رد أعضاء من الدين اليهودي. فردا على المقالة المنشورة في صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** ارسل حاخامان أميركيان هما الحاخام Martin A.Cohen والحاخام David H, Panitz رئيسا لجنة شؤون العلاقات بين الأديان لعصبة مكافحة التشهير في بناي برث Interfaith Affairs Committee of The Anti-Defamation League of B'nai B'rith, (ADL)

رسالة الى وزير خارجية الكرسي الرسولي الكاردينال أغستينو كازارولي Agostino Casaroli (٢ تموز ١٩٨٠) (٨١). يعبران فيها عن خيبة املهما في الكرسي الرسولي لعدم اعترافه بانجاز اسرائيلي الا وهو:

> ... ادارة اسرائيل الجيدة للأماكن المقدسة. لقد اظهرت اسرائيل بوضوح حرصها على وضع المسيحيين في اراضيها كما في البلاد المجاورة التي تدمرها الحرب والاضطهاد الديني وباعترافها بالحقوق الدينية كما شهد على ذلك القادة الروحيون لدى جميع الفئات(٨٢).

وتابعت رسالة عصبة مكافحة التشهيرADL لتظهر الفرق بين "انشغال اسرائيل الدائم بالمحافظة على التراث الديني والروحي للقدس" ووضع القدس عندما كانت تحت السيطرة الاردنية .

كما عبر الحاخامان أيضا عن هلعهما من توقيت نشر مقالة الكرسي

الرسولي

> عندما تكون الدول على استعداد للاستغناء عن المعايير الاخلاقية كمقياس لعملها وذلك من أجل اسباب اقتصادية. ان هدف هذه الدول الاساسي هو تدمير اسرائيل... اننا قلقون جدا من كون وثيقة الكرسي الرسولي قد اصبحت جزءاً من ترسانة هذه الدول العقائدية(٨٣).

ومرة اخرى تظهر رسالة الحاخامين الاميركيين بوضوح الخلافات في الرؤية بين الزعامة اليهودية والفاتيكان. لكن الحقيقة ان الكرسي الرسولي لا يرضى بأن تأخذ اسرائيل على عاتقها مهمة الدفاع والحماية تجاه المسيحيين والمصالح المسيحية في الشرق الأوسط. وقد لجأت الحكومة الاسرائيلية الى الموضوع نفسه عندما ردّت على الاعلان عن اجتماع البابا يوحنا بولس الثاني وعرفات سنة ١٩٨٢.

هناك خلاف جذري أخر بين الموقف اليهودي من تصرف اسرائيل وموقف الكرسي الرسولي، وهو أن الطائفة اليهودية تشعر بأن اسرائيل قد اظهرت اهتماما كافيا بالجماعات المسيحية بينما يرى الكرسي الرسولي أن الاهتمام الاسرائيلي ينحصر في "الحقوق الدينية". إن الكرسي الرسولي يدعو الى حماية الحقوق الدينية والمدنية لكل الجماعات في القدس وضمانها وليس فقط للمسيحيين. ثم أن الكرسي الرسولي يدعم ايضا "القانون الخاص" المضمون عالميا ويعارض الحكم المنفرد لأية قوة مسيطرة.

ان هناك تعارضا اساسيا يميّز العلاقات بين الكرسي الرسولي وكل من العرب والاسرائيليين فيما يتعلق بمسألة مدينة القدس. فمنذ سنة ١٩٦٧ نقل البابا بولس السادس موقف الكرسي الرسولي من موقف سياسي بحت مبني على الدعوة الى تدويل القدس وحماية حقوق الكاثوليك الى اقتراح خاص للقدس مضمون عالميا. إن وضع القدس هو مسألة يجب أن تحلها الاديان الموحّدة الثلاث

على قاعدة المساواة.

ان قرار الفاتيكان تبني موقفا اقرب الى طبيعة دوره الروحي قد شكل تحدياً واضحاً للعلائق المتداخلة بين الشؤون الزمنية والدينية في كل من اليهودية والإسلام. وقد ظهر هذا الوضع بوضوح في ردود الفعل الاسرائيلية القاسية على أية خطوة ـ دبلوماسية او غيرها ـ يتخذها الكرسي الرسولي تجاه القدس. أضف الى هذا أن ما حدث في ندوة طرابلس الغرب قد أظهر المعضلة التي يواجهها الكرسي الرسولي. يعرف الفاتيكان أن اغلبية المسيحيين في الأرض المقدسة هم من العرب، كما يعرف ان مستقبل القدس مرتبط مباشرة بما ستؤول اليه القضية الفلسطينية. ومع انه يعي هذه الحقائق التي تؤثر مباشرة على الوجود المسيحي في الارض المقدسة فقد حاول البابا أن يبرهن للاسرائيليين أن أبواب التعاون مفتوحة ما دامت حقوق هذه الجماعات محفوظة.

عام الخلاص (١٩٨٤) *Redemptionis Anno*

لقد ظهرت مرحلة جديدة في موقف الكرسي الرسولي من القدس والاماكن المقدسة في الرسالة البابوية "عام الخلاص" التي نشرها البابا يوحنا بولس الثاني في ٢٠ نيسان ١٩٨٤ (٨٤). وفيها اعادة لذكر موقف الكرسي الرسولي الرسمي من القدس والذي سبق اعلانه في عظة البابا بولس السادس "لنا في الروح" *Nobis in Animo* (١٩٧٤) وفي المقالة التي نشرتها صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** (١٩٨٠).

ان جوهر ما فعله الحبر الاعظم هو ان يخطو بالموقف الكاثوليكي خطوة الى الأمام ويقترح ان تصبح القدس بجميع طوائفها نقطة ارتكاز حل ممكن للنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني(٨٥). وبهذا تصبح "مدينة السلام" عامل التوحيد والسلام الديني بين العرب والاسرائيليين ـ المسيحيين والمسلمين واليهود. وقد كتب البابا يوحنا بولس الثاني:

انى أشعر أيضا بانه واجب ملحّ... ان اكرر ان مسألة القدس أساسية لسلام عادل في الشرق الأوسط. ان قناعتي هي ان الهويّة الدينية للمدينة ولا سيّما التراث المشترك للدين الموحّد يمكن أن يمهد الطريق لتنشيط التآلف بين كل الذين يعتبرون، بطرق مختلفة، ان المدينة المقدسة هي لهم(٨٦).

وقد عبر البابا ايضا عن قناعته بان قلة الجهد في الوصول الى حل مرض لوضع القدس سوف "يؤدي فقط الى زيادة الخطر على التسوية السلمية والعادلة المنشودة لمشكلة الشرق الأوسط بكامله"(٨٧).

يمكن اعتبار وثيقة "عام الخلاص" كموقف الكرسي الرسولي الأكثر تفصيلا حتى الآن بالنسبة الى موضوع القدس. وقد اضاف البابا يوحنا بولس الثاني البعد السياسي الحسّاس الى الوضع القضائي للمدينة، والتشديد على الحقوق المدنية والدينية للجماعات الموجودة في القدس. لقد اعترف الحبر الأعظم بحق اسرائيل في حدود امنة، وبحق الفلسطينيين في وطن، ودعا "جميع شعوب الشرق الأوسط" الى أن تعيد اكتشاف "المعنى الحقيقي لتاريخها" كي "تستطيع ان تتغلب على الأحداث المأساوية التي تتخبط فيها" (٨٨). ولم يفوّت البابا يوحنا بولس الثاني المناسبة ليذكر مأساة لبنان التي استدعت ذكر قلقه وحرصه الخاص في مناسبات أخرى.

لقد اراد الكرسي الرسولي أن ينبه شعوب الشرق الأوسط الى حقيقة ان الدين يمكن ويجب ان يضطلع دور ايجابي وبنّاء في حلّ المشاكل التي تشوب هذا الجزء من العالم. ويبدو كما لو أن البابا كان يحذر اليهود والمسيحيين والمسلمين من أن طريق الاصولية الدينية والتعصب سيؤدي حتما الى الكوارث وأن الحل الوحيد لمشاكلهم يكمن في اكتشافهم المعنى الحقيقي "لايمانهم بإله واحد".

وكما كانت الحال مع التصريحات البابوية حول القدس فان السلطات الاسرائيلية لم تنتظر لتردّ، فقد صرّح عمدة مدينة القدس تيدي كوليك Teddy

Kollek ان رسالة البابا يوحنا بولس الثاني الحبرية لم "تكن مناسبة كثيرا" وان "المدينة لم تكن سهلة المنال ولا عنايتها جيدة ولا هي آمنة كما هي اليوم تحت أي حكم، حتى تحت الحكم البريطاني"(٨٩).

تجب الاشارة هنا الى نقطة مهمة تتعلق بالوضع المستقبلي للقدس وبالعلاقات مع الدولة اليهودية. يذكر البابا يوحنا بولس الثاني في بداية رسالته الغبطة التي شعر بها سلفه البابا بولس السادس عندما زار الأرض المقدسة سنة ١٩٦٤. لكنه يعترف أنه، بعد عشرين سنة، بأنه "لا يقدر أن يكون هناك جسديا". إني اعتقد أن زيارة يقوم بها البابا للقدس هي مبررة لا بسبب المضامين السياسية التي يمكن أن تولدها بل من أجل الدعم المعنوي للجماعات المسيحية في المدينة.

مركز نوتردام

ان اهتمام الكرسي الرسولي بالجماعات المسيحية في القدس يشهد عليه بوضوح تدخّله في الجدل الدائر حول قضية مركز نوتردام. لقد بني نوتردام الذي يملكه الآباء المريميون سنة ١٨٨٥ بخدمة الحجاج الفرنسيين، وقد لحق بالمبنى دمار كثير خلال حرب ١٩٤٨ بين العرب والاسرائيليين ولم يعد الجناح الجنوبي للمبنى المواجه للمدينة القديمة صالحا للسكن بفعل القنابل التي انفجرت فيه وقد استعمله الاسرائيليون غرفة محصنة وموقعا متقدما في المنطقة المنزوعة السلاح(٩٠).

ونظرا لافتقارهم الى مساعدة خارجية فقد باع الآباء المريميون العقار في عام ١٩٧٠ الى هامنوتا Hamenuta وفي فرع من الصندوق الوطني اليهودي وقد ضمّ مبنى نوتردام بعد ذلك الى الجامعة العبريّة كي يستعمل مسكنا للطلاب. وقد عارض الكرسي الرسولي عملية البيع على أساس أن الآباء المريميين لا يمكن أن يقدموا على اجراء بيع بمثل هذه الأهمية من دون موافقة الفاتيكان المسبقة. أضف الى هذا ان المجموعة العربية قد عبرت بسخط عن رفضها مصادرة اسرائيل املاكا عائدة للجماعات غير اليهودية الموجودة في القدس. ولأول مرة في تاريخ العلاقات بين الكرسي الرسولي واسرائيل تقدم الكرسي الرسولي بدعوى أمام محكمة

اسرائيلية اذ أن المندوب البابوي قد كلف محاميين لذلك الغرض. وفي سنة ١٩٧٢ تم الوصول الى تسوية خارج نطاق المحكمة تبطل بموجبها الحكومة الاسرائيلية بيع مركز نوتردام وتعيد بيعه الى الكرسي الرسولي. وقد تم التوصل الى هذه التسوية مع الحكومة الاسرائيلية عقب زيارة قام بها المونسنيور بينلّي Benelli وهو عضو بارز في وزارة خارجية الكرسي الرسولي في كانون الثاني ١٩٧٢ (٩١).

وفي سنة ١٩٧٣، بفضل مساعدات خارجية اغلبها من الولايات المتحدة، تمت اعادة احياء مركز نوتردام في القدس كمركز دولي للحجاج. ان القصد من تدخل الفاتيكان المباشر كان تبريد مخاوف الاقليات المسيحية المحليّة وبخاصة الفلسطينيين. لقد أراد الفاتيكان ان يقدّم الدليل الواضح على أنه لم يترك المسيحيين العرب لمصيرهم بانحنائه للسلطات الاسرائيلية. وكما كتب جيلان Gelin:

> إن مركز سيدة فرنسا Notre Dame de France لم يعد بيت ضيافة، لكنه يبقى، اليوم، رمز اخلاص ليس فقط في أعين الكاثوليك بل، ايضا، في أعين المسيحيين الاصليين وبعض المسلمين المنفتحين. ان للرموز في الشرق قيمة مهمة لا يفهمها الغربيون اجمالا(٩٢).

تلخص قضية مركز نوتردام - وهو مضيفة للحجاج - المصالح الدينية الدولية في الارض المقدسة وكيف تتشابك هذه المصالح مع مصير الجماعات المسيحية المحلية. ان الكرسي الرسولي مستعد للمضيّ اشواطا بعيدة كي يحافظ على مصالحه في القدس وكي يظهر عنايته الفائقة بالجماعات المسيحية. ان الرمزية التي تغلف مسألة القدس برمتها تخلق، بشكل ما، نفوذا مؤثرا للبابوية. ويستطيع البابا، كونه راس الكنيسة الكاثوليكية، ان يستعمل هذا النفوذ بحكمة ومهارة. وبما ان اسرائيل تعي هذا الأمر تماما فانها لا تستطيع ان تنفر الكرسي الرسولي منها،

مع علمها بما تثيره قضية اسرائيل من حسن نية وتعاطف في بعض الدوائر الكاثوليكية الغربية.

خلاصة

تناول هذا الفصل الأهمية الدينية للقدس لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين. فللديانات الموحدة الثلاث، بدرجات مختلفة، مصالح مهمة في وضع المدينة وأماكنها المقدسة هناك القليل من القضايا الاخرى في العلاقات الدولية المعاصرة التي تتشابك فيها السياسة والدين بمثل هذا العمق في اذهان مثل هذا العدد الكبير من الناس.

الواقع ان المسلمين، من اندونيسيا الى المغرب، ينظرون الى القدس على أنها رمز لحياة النبي محمد التي بدأت في مكة حيث نشر رسالته واتصلت بالقدس حيث عرج الى السماء. أما بالنسبة الى المسيحيين فإن القدس هي الرمز التاريخي والجغرافي لحياة المسيح على الأرض، كما انها رمز الانشقاقات التي شابت المسيحية، شرقية وغربية، كاثوليكية وبروتستانتية. أما اليهود فيرون في القدس تجسيد لخلاصهم من قرون من الاضطهاد، كما انها مصدر سوء تفاهم عميق بين اليهود الذي يؤمنون بالطابع الخلاصي والعالمي لليهودية واليهود الذي يعطون دينهم تفسيرا زمنيا وسياسيا بحتا.

وبالنسبة الى وضع القدس القانوني فان المدينة قد عرفت كل انواع الاحتلال والغزو، واطولها الاحتلالا العثماني التركي. ومع اعلان بلفور وخلق دولة يهودية أصبح موضوع القدس برمته رهينة الصراعات السياسية بين العرب والاسرائيليين.

لقد أحدث الكرسي الرسولي في موقفه من مسألة القدس ودوره فيها تغييرات تؤثر في وضع القدس. ويمكن اختصار موقف الكنيسة الكاثوليكية الحالي من القدس باقتراحات ثلاث:

١ - ترى الكنيسة أنه يجب ان يكون للمدينة وضع خاص مضمون عالميا،

٢- تشدّد الكنيسة على كامل حقوق سكّان القدس العرب الدينية والمدنية،

٣- ان الكنيسة قلقة من رحيل المسيحيين [عن القدس].

كما يعارض الكرسي الرسولي اي سيطرة حصرية على المدينة والاماكن المقدسة، وهو مستعد للقبول بسيادة قومية على القدس شرط ان تخضع لرقابة هيئة دولية. وقد ترك الكرسي الرسولي امر القرار المتعلق بطبيعة هذه الهيئة وواجباتها للمجتمع الدولي.

ان السؤال الاساسي الذي ينبع من العرض السابق يتمثل في التحديات والتناقضات التي تواجه الاهتمامات البابوية بالمسكونية وبالعلاقات بين الاديان والكرسي الرسولي، بتشديده على وجود التعايش والتعاون بين اليهود والمسلمين والمسيحيين لايجاد حل لمسالة القدس، بحث الجماعات المسيحية في القدس على أن تضع نزاعاتها وخلافاتها الرخيصة جانبا. فاذا لم يستطع المسيحيون الاتفاق على موقف موحد ومتجانس فانهم لا يجب أن يتوقعوا اكتساب احترام المجموعتين الدينيتين الاخريين. وهذا الوضع لا يختلف عن الوضع في لبنان.

الزمان، وحده، قد ينبئ اذا ما كانت ستستمر جماعة مسيحية بالحياة في القدس او اذا كانت المدينة المقدسة ستغدو متحفا للحجارة التاريخية والمقامات المقدسة يزورها ويعجب بها الحجاج الغربيون. وهنا تكمن واحدة من مآسي المسيحية الاساسية في الاراضي المقدسة ان الحجاج من اوروبا والولايات المتحدة يزورون الاراضي والأماكن المقدسة غافلين عن احتمال ان تصبح القدس مثل الكوليسيوم (Colisée) في روما، اذا ما استمر خروج المسيحيين البطيء لكن المنتظم منها.

أما الوجه الآخر من التحدي المسكوني فهو الصعوبة في اقامة حوار بين اليهود والمسلمين والمسيحيين. ان غالبية المسيحيين في الاراضي المقدسة هم من العرب، كما ان غالبية الاسرائيليين "يتساوون تقريبا بالصهيونية ومن البديهيّ أن

يرفض المسلمون الاجتماع بممثليها"(٩٣). اخيرا، هناك النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني الذي أصبح حله شرطا لتسوية ممكنة لوضع "مدينة السلام".

خلاصة القول ان الوضع في القدس يعطي صورة عن وجهات النظر العالمية الثلاث المقيدة بحرب من المصالح تتجاوز أهميتها الحدود الضيقة للمجال السياسي بكثير. فلا تستطيع أي من الديانات الموحدة الثلاث - اليهودية والمسيحية والاسلام - مثلاً، أن تدعي الهيمنة الكاملة على المدينة. وبوجود عدة جمعيات ومؤسسات دينية، امّنت الكنيسة الكاثوليكية عدم تجاهل رايها في الأراضي المقدسة، أما بالنسبة الى العرب ولغير العرب من المسلمين فان أية محاولة لطمس حقوقهم في الوصول الى مقاماتهم المقدّسة سوف تؤدي حتماً الى تزايد الضغوط على زعماء العالم الدينيين والسياسيين لمنع حدوث مثل هذا الأمر. كما ان المسلمين في القدس ما زالوا ناشطين، بالرغم من الضغوط والتحرّشات الصادرة عن الاحتلال. اما الاسرائيليون، من منطلق تعلّقهم الشديد بالقدس، فسيجهدون، ما أمكن، لابقاء القدس تحت سيطرتهم. الا أن مطالب اتباع الديانتين الاخريين يعوقان هذه السيطرة.

يمكن اعتبار الجدل القائم حول القدس عالماً مصغّراً للنزاعات المتعددة الوجوه التي ترهق الشرق الأوسط. وتنبع اهمية المسألة من البعد الرمزي الروحي للمدينة ومن الفسيفساء الشاملة للمصالح والطوائف. اخيراً يمكن القول ان مسألة القدس هي امتحان اساسي لمهارات الكرسي الرسولي في استخدام طاقاته ليوازن بين مصالحه ومصالح الديانتين الموحدتين الاخريين.

الفصل الثالث

الكرسي الرسولي والحرب اللبنانية

يعرض هذا الفصل الحرب اللبنانية بابعادها المحليّة والاقليميّة والدولية مع تركيز خاص على اللاعبين والحلول التي يفضلّونها لفضّ النزاع. وبعد هذا التقويم سنتناول بالتحليل موقف الكرسي الرسولي من اللاعبين المتورّطين في الحرب، ومن القضايا المطروحة فيها. أما التركيز الاساسي فسيقوم على أنشطة الوفود البابويّة الى لبنان خلال الصراع، وأثرها.

لقد اعتبر لبنان طويلا مثالا على تعايش المجموعات الاتنيّة والدينيّة المتعددة، وذلك بسبب تركيبته المتعدّدة الطوائف. الا أن هناك ناتجا رديفا أصيلا لهذه التعدّديّة دفع ببعض الباحثين الى اعتبار لبنان "هشّا" "غير حقيقي" و"مجزا"(١) وكي نضع المشكلة موضوع البحث في اطارها الصحيح، نرى من الضروري ان نعرض بايجاز أسس المشكلة والقضايا المطروحة.

ان الحركات المسكونيّة والعلاقات بين الاديان التي أوصى بها المجمع الفاتيكاني الثاني قد جعلت من معادلة التعايش المسيحي الاسلامي اللبنانيّة ذات أهميّة أساسيّة لدى الكرسي الرسولي. في الحقيقة، كان من المفترض بلبنان، كما ترى البابويّة، ان يكون المثال الحي على كيفيّة تفاعل المجموعات المختلفة ضمن الاطار المجتمعي ذاته. كما ان لبنان بالنسبة الى الكنيسة الكاثوليكيّة، وباستثناء الفيليبين، هو "المعقل الأخير للمسيحيّة في الشرق قاطبة يقع على مفترق طرق

قارات ثلاث (٢).

لقد كان لبنان عبر تاريخه عالما مصغّراً للتغيرات الاجتماعيّة / السياسيّة والدينيّة في العالم العربي. وبحكم كونه ملاذا للجميع فهو يتمتّع بقدر كبير من الحريّة والتسامح. لقد اصبحت التعدّدية اللبنانية ارض اختبار للصراعات الداخليّة ونزاعات الانظمة العربية وتعارض الايديولوجيّات. واصبحت الحرب اللبنانيّة نفسها مسرحا للمواجهة بين العرب والاسرائيليين، وهذا واحد من الأسباب الرئيسة التي تجعل من لبنان في مثل هذا الموقع من الاهمية بالنسبة الى الدبلوماسيّة البابويّة. لقد أوقع التشدّد الفلسطيني المتزايد في نهاية الستّينات لبنان في فخّ الصراع العربي - الاسرائيلي: اولا سلبيًا حين أوى لبنان موجات من اللاجئين الفلسطينيّين (١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٠، ١٩٧١) ثم عمليًا عقب هزيمة الاردن لمنظّمة التحرير الفلسطينية في ١٩٧٠. أضف الى هذا ان تدخّل القوى الاقليميّة (سوريا، اسرائيل وغيرها) قد زاد في حدّة الحرب اللبنانية الى درجة أصبح معها لبنان مركز المواجهة بالواسطة بين الشرق والغرب.

ان الحرب اللبنانية التي اندلعت سنة ١٩٧٥ والتي انتهت رسمياً نتيجة لاتفاق الطائف العام ١٩٨٩ هي مشكلة معقّدة تضم عدة لاعبين وقضايا (الجدول رقم ١ يظهر الاطراف المشتركين في الحرب) (٣). ان الصراع الذي لم يكن ذا طبيعة دينيّة وضع حزب الكتائب الذي يسيطر عليه الموارنة وحلفاءه، والتحالف الاسلامي - اليساري تسانده بفعالية المنظمات الفدائيّة الفلسطينيّة (فتح، الصاعقة وتلك التي ترفض تسوية سلمية مع اسرائيل)، في موقع مواجهة بعضهم بعضا.

جدول رقم ١
اللاعبون المتورّطون في الحرب اللبنانية

* الجبهة اللبنانية (انشئت عام ١٩٧٦)، وتضم:
- حزب الكتائب اللبنانية،
- حزب الوطنيين الاحرار،
- حزب حراس الأرز،
- حزب التنظيم،
- الرابطة المارونية،
- تنظيم المردة،
- المؤتمر الدائم للرهبانيات المارونية اللبنانية،
- الدكتور شارل مالك.

* المجموعات المسيحيّة خارج الجبهة اللبنانية:
- الكتلة الوطنية،
- الاحزاب الأرمنيّة (الطاشناق، الهنشاق، الرامغافار)،
- الحزب الديموقراطي،
- الحزب الدستوري.

* الحركة الوطنيّة اللبنانية:
- الحزب التقدّمي الاشتراكي،
- الحزب الشيوعي اللبناني،
- منظّمة العمل الشيوعي في لبنان،
- حركة الناصريين المستقلّين - المرابطون،
- الحزب السوري القومي الاجتماعي،
- حزب العمل الاشتراكي،
- حزب البعث العربي الاشتراكي (يدعمه العراق)،
- حركة "امل"،
- منظّمة حزب البعث (السوري).

* القادة المسلمون التقليديّون:

- صائب سلام (سنّي)،
- رشيد كرامي (سنّي)،
- كامل الأسعد (شيعي)،

* المنظّمات الفدائيّة الفلسطينيّة:
- فتح،
- الصاعقة،
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (الدكتور جورج حبش)،
- الجنبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين (نايف حواتمة)،

* القوّات السوريّة.

* القوّات الاسرائيليّة.

* قوّات الامم المتحدة الموقّتة في لبنان (يونيفيل).

من التطوّرات المحليّة التي أدّت الى نشوب الحرب اللبنانية هي:

١ - اختلال في التوازن السكّاني لصالح المسلمين الذين طالبوا باعادة توزيع المناصب الحكوميّة،

٢ - الصعوبات الاجتماعيّة التي سبّبها الارتفاع الكبير في الأسعار، مشاكل السكن، والتململ الطلاّبي،

٣ - الأزمة داخل الكنيسة المارونيّة حيث تحدّت الرهبنات سلطة البطريرك،

٤ - الجدال داخل طائفة الروم الكاثوليك الناتج عن انزال رتبة مطران بيروت المونسنيور غريغوار حداد.

وعلى الصعيد الاقليمي، أدّى انهزام الجيوش العربيّة أمام اسرائيل سنة ١٩٦٧ الى خيبة أمل ظاهرة في السياسات التي اتّبعها بطل الوحدة والعروبة جمال عبد الناصر، وأصبحت القضيّة الكبرى في الشرق الأوسط هي المسألة الفلسطينيّة ومسألة حلّها بما يرضي العرب. وفي منتصف السبعينات، بعد الحرب العربية -

الاسرائيلية الرابعة سنة ١٩٧٣ وعمليّة السلام التي تدعمها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، اصبح لبنان ارض المعركة بين الذين يؤيّدون والذين يعارضون المفاوضات مع اسرائيل. ولمزيد من تعقيد الوضع، تحوّلت المجموعات الفدائيّة الفلسطينيّة الى رمز للانتقام الحق(٤). اضف الى هذا ان عودة الأصولية الاسلاميّة الى الظهور كان لها أثر مهم في اعادة رسم التحالفات والائتلافات في الشرق الأوسط.

اما على الصعيد العالمي فان حالة الوفاق التي ميّزت علاقات الدول العظمى في أواخر الستّينات لم تشمل الشرق الأوسط تماما. نذكر في هذا المجال اغفال المذكّرة الاميركية ـ السوفياتيّة المشتركة للسلام بين العرب والاسرائيليين التي بنيت على أساس قراري الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨، واستبعاد الاتحاد السوفياتي عن عملية السلام في الشرق الأوسط التي اطلقتها الولايات المتحدة. وأخيرا، كان لأزمة النفط تأثير مهم على سياسة الدول المنتجة والدول المستهلكة على حدّ سواء، ممّا ادّى الى تدخّل اساسي، لكن غير فعّال، لأوروبا الغربية واليابان في شؤون الشرق الأوسط.

بدأت الحوادث الرئيسة التي أدت الى الحرب اللبنانية مع توقيع اتفاق القاهرة (١٩٦٩) بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينيّة، وقد استعمل المقاتلون الفلسطينيّون الجنوب اللبناني قاعدة انطلاق للهجمات الفدائيّة ضد المستعمرات الاسرائيليّة في الجليل. وكان الاسرائيليّون يردّون في كل مرّة تهاجمهم فيها منظّمة التحرير الفلسطينية، ممّا أفضى الى مزيد من التوتّر مع الجيش اللبناني، في بادئ الأمر، الذي اصطدم مع الفلسطينيّين ومع الميليشيات المسيحيّة بعد سنة ١٩٧٥. كما أدى النزاع في لبنان، أيضا، الى تدخّل سوريّ واسرائيلي أوسع في السياسة اللبنانية نتج عنه حضورهما المباشر على الأرض. أضف الى هذا ان اتفاقيّتي كمب ديفيد (١٩٧٨) ومعاهدة الصلح المصرية ـ الاسرائيليّة (١٩٧٩) قد قضتا على ما تبقّى من وحدة عربيّة. وقد انعكس هذا الوضع بطريقة مأسويّة

على الساحة اللبنانيّة. لقد ترك الفلسطينيّون خارج مفاوضات السلام الثنائيّة، وكان عليهم الحصول على دعم الأنظمة العربية التي ترضى بالدفاع عن قضيّتهم.

أما في لبنان نفسه فان التقارب المصري - الاسرائيلي أدى الى بلورة الأطراف المتنازعة، وزيادة الخوف من احتمال توطين الفلسطينيين في لبنان وتقسيم البلد. ومع حلول سنة ١٩٨٢ شملت الأحداث الرئيسة في لبنان ظهور بشير الجميّل زعيما مارونيّاً قويّا، والغزو الاسرائيلي للبنان، ومجازر المدنيّين الفلسطينيين في مخيّمي صبرا وشاتيلا.

منذ بداية الحرب اللبنانية، كان يوجّه دور الكرسي الرسولي ثلاثة مبادئ رئيسة:

١ - لا يسوّغ ان تهدّد أية جهة في لبنان الحوار الاسلامي - المسيحي،

٢ - لا يجوز ان يخرّب تصرّف بعض العناصر في المجموعة المسيحيّة معادلة التعايش التي تمّ الاتفاق عليها في الميثاق الوطني الذي تمّ التوصّل اليه سنة ١٩٤٣،

٣ - لا يجب أن يقع الفلسطينيّون، الذين قاسوا المنفى لسنوات، ضحيّة "الظلم الجديد في لبنان"(٥). لقد شكّلت الحرب اللبنانية تهديدا لهذه المبادئ. وقد أوفد الكرسي الرسولي عدّة بعثات للتوسّط واستقصاء الحقائق الى لبنان (١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٨، ١٩٨٠) كي يحول دون المحاولات الجادّة لتخريب المعادلة اللبنانية.

اللاعبون والقضايا في الحرب اللبنانية

لا يمكن اعتبار لبنان دولة، وذلك بسبب تركيبته كمجمّع للجماعات الاتنيّة الدينيّة. فالمجموعات اللبنانية لم تترقّى من كونها "فسيفساء" دينيّة مذهبيّة لتكوّن نظاما سياسيّا متكاملا، لأن كلا منها تخاف على تقاليدها وامتيازاتها الدينيّة الاجتماعيّة (٦). ان التعايش بين الطوائف المسيحيّة والاسلاميّة قد تكرّس، أولا، في

الدستور اللبناني الصادر عام ١٩٢٦، وفي الميثاق الوطني غير المكتوب سنة ١٩٤٣. وقد جاء في المادة ٩٥ من الدستور - والتي كان من المفترض أن تكون انتقاليّة - "ستكون الطوائف ممثّلة بعدل في الوظائف العامّة وفي تشكيل الحكومة".

ان الميثاق الوطني (١٩٤٣) كان عملا سياسيًا يراد به "لبننة" المسلمين و"تعريب" المسيحيّين. وقد اقيم على اساس ان يتخلّى الموارنة عن ولائهم للحماية الفرنسيّة وأن يتخلّى المسلمون عن أحلام الوحدة مع سوريا. وقد تمّت الواقعة خلال المناقشات حول الميثاق الوطني على أن يكون الرئيس اللبناني مسيحيّاً مارونيّاً، ورئيس الوزراء مسلما سنيًا، ورئيس مجلس النوّاب مسلما شيعيّاً(٧).

لقد كان ميثاق ١٩٤٣ مصدر الخلافات المستمرّة بين المسيحيّين وبخاصة الموارنة، والمسلمين. في سنة ١٩٤٩ كتب الصحافي اللبناني الشهير جورج نقّاش: ان مقولتين سلبيّتين لا تنشئان امّة"Deux négations ne font pas une nation"(٨).

من النتائج الرئيسة لصيغة التعايش التي تمّ التوصّل اليها في ميثاق ١٩٤٣ اعاقة الطائفيّة أي احتمال لخلق هويّة وطنيّة لبنانيّة قويّة. في الحقيقة، ان الاتفاق غير المكتوب قد أعطى انعدام التجانس في الجسم السياسي اللبناني بعد مؤسّساتيًا، فبعكس المجتمعات الغربيّة حيث الولاء الأول هو للدولة لم يستطع الوطنيّون اللبنانيّون أن ينفذوا الى النظام الاجتماعي اذا لم ينتموا الى طائفة معيّنة أو يدينوا بالولاء لزعيم، سياسيًا كان أم دينيّاً.

ان الطوائف التي تشكّل مجموع سكّان لبنان الأساسي هي الموارنة، الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك من الجانب المسيحي، والسنّة والشيعة والدروز من الجانب الاسلامي(٩). ومنذ سنة ١٩٣٢ تاريخ اخر احصاء سكّاني في لبنان لم يجر أي احصاء سكّاني رسمي لتحليل الوزن السكاني للطوائف اللبنانيّة. ان الجدول رقم ٢ يبيّن التوزيع السكاني في لبنان بحسب ما أوردته التقديرات الفرنسيّة سنة ١٩٧٧:

على الساحة اللبنانيّة. لقد ترك الفلسطينيّون خارج مفاوضات السلام الثنائيّة، وكان عليهم الحصول على دعم الأنظمة العربية التي ترضى بالدفاع عن قضيّتهم.

أما في لبنان نفسه فان التقارب المصري ـ الاسرائيلي ادى الى بلورة الأطراف المتنازعة، وزيادة الخوف من احتمال توطين الفلسطينيين في لبنان وتقسيم البلد. ومع حلول سنة ١٩٨٢ شملت الأحداث الرئيسة في لبنان ظهور بشير الجميّل زعيما مارونيّا قويّا، والغزو الاسرائيلي للبنان، ومجازر المدنيّين الفلسطينيين في مخيّمي صبرا وشاتيلا.

منذ بداية الحرب اللبنانية، كان يوجّه دور الكرسي الرسولي ثلاثة مبادئ رئيسة:

١ـ لا يسوّغ أن تهدّد اية جهة في لبنان الحوار الاسلامي ـ المسيحي،

٢ـ لا يجوز ان يخرّب تصرّف بعض العناصر في المجموعة المسيحيّة معادلة التعايش التي تمّ الاتفاق عليها في الميثاق الوطني الذي تمّ التوصّل اليه سنة ١٩٤٣،

٣ـ لا يجب أن يقع الفلسطينيّون، الذين قاسوا المنفى لسنوات، ضحيّة "الظلم الجديد في لبنان"(٥). لقد شكّلت الحرب اللبنانية تهديدا لهذه المبادئ. وقد أوفد الكرسي الرسولي عدّة بعثات للتوسّط واستقصاء الحقائق الى لبنان (١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٨، ١٩٨٠) كي يحول دون المحاولات الجادّة لتخريب المعادلة اللبنانية.

اللاعبون والقضايا في الحرب اللبنانية

لا يمكن اعتبار لبنان دولة، وذلك بسبب تركيبته كمجمّع للجماعات الاتنيّة الدينيّة. فالمجموعات اللبنانية لم تترقّ من كونها "فسيفساء" دينيّة مذهبيّة لتكوّن نظاما سياسيّا متكاملا، لأن كلا منها تخاف على تقاليدها وامتيازاتها الدينيّة الاجتماعيّة (٦). ان التعايش بين الطوائف المسيحيّة والاسلاميّة قد تكرّس، أولا، في

الدستور اللبناني الصادر عام ١٩٢٦، وفي الميثاق الوطني غير المكتوب سنة ١٩٤٣. وقد جاء في المادة ٩٥ من الدستور - والتي كان من المفترض أن تكون انتقاليّة - "ستكون الطوائف ممثّلة بعدل في الوظائف العامّة وفي تشكيل الحكومة".

ان الميثاق الوطني (١٩٤٣) كان عملا سياسيًا يراد به "لبننه" المسلمين و"تعريب" المسيحيّين. وقد اقيم على اساس ان يتخلّى الموارنة عن ولاتهم للحماية الفرنسيّة وأن يتخلّى المسلمون عن احلام الوحدة مع سوريا. وقد تمّت الواقعة خلال المناقشات حول الميثاق الوطني على أن يكون الرئيس اللبناني مسيحيّاً مارونياً، ورئيس الوزراء مسلما سنيًا، ورئيس مجلس النوّاب مسلما شيعيًا(٧).

لقد كان ميثاق ١٩٤٣ مصدر الخلافات المستمرّة بين المسيحيّين وبخاصة الموارنة، والمسلمين. في سنة ١٩٤٩ كتب الصحافي اللبناني الشهير جورج نقّاش، ان مقولتين سلبيّتين لا تنشئان امّة "Deux négations ne font pas une nation"(٨).

من النتائج الرئيسة لصيغة التعايش التي تمّ التوصّل اليها في ميثاق ١٩٤٣ اعاقة الطائفيّة أي احتمال لخلق هويّة وطنيّة لبنانيّة قويّة. في الحقيقة، ان الاتفاق غير المكتوب قد أعطى انعدام التجانس في الجسم السياسي اللبناني بعد مؤسّساتيًا، فبعكس المجتمعات الغربيّة حيث الولاء الأول هو للدولة لم يستطع الوطنيّون اللبنانيّون أن ينفذوا الى النظام الاجتماعي اذا لم ينتموا الى طائفة معيّنة أو يدينوا بالولاء لزعيم، سياسيًا كان أم دينيًا.

ان الطوائف التي تشكّل مجموع سكّان لبنان الأساسي هي الموارنة، الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك من الجانب المسيحي، والسنّة والشيعة والدروز من الجانب الاسلامي(٩). ومنذ سنة ١٩٣٢ تاريخ اخر احصاء سكّاني في لبنان لم يجر اي احصاء سكّاني رسمي لتحليل الوزن السكاني للطوائف اللبنانيّة. ان الجدول رقم ٢ يبيّن التوزيع السكاني في لبنان بحسب ما أوردته التقديرات الفرنسيّة سنة ١٩٧٧:

جدول رقم ٢
الطوائف الكبرى في لبنان

	عدد السكّان	النسبة المئوية
الشيعة	٨٥٠٠٠٠ـ٩٠٠٠٠٠	٢٨
الموارنة	٧٥٠٠٠٠ـ٨٠٠٠٠٠	٢٥
السنّة	٦٠٠٠٠٠	١٩
الروم الارثوذكس	٣٠٠٠٠٠	٩
الدروز	٢٥٠٠٠٠	٨
الروم الكاثوليك	٢٠٠٠٠٠	٦
الأرمن	١٦٠٠٠٠	٥

المصدر: Helena Cobban, "Lebanon's Chinese Puzzle," *Foreign Policy*, 53 (Winter 1983-84) 35.

الموارنة

يرجع اسم الموارنة وهم الفريق الوحيد بين المسيحيين المشرقيين الذين بقي متّحدا الى الناسك مارون الذي عاش في شمال سوريا ومات سنة ٤١٠ في اعقاب الاضطهاد الذي حلّ بالموارنة، هاجروا الى لبنان وسكنوا جباله وتمكّنوا من المحافظة على هويّتهم كشعب، ومن تحقيق قدر كبير من الاستقلاليّة والتلاحم. ويرجع الارتباط الماروني بالكرسي الرسولي الى فترة الحروب الصليبيّة. ان الرأس الروحي للطائفة المارونيّة هو بطريرك انطاكية وسائر المشرق. اما وجود الموارنة خارج لبنان فيشمل سوريا وقبرص ومصر وفلسطين. بعد الحرب العالميّة الأولى، هاجر كثيرون من الموارنة الى الولايات المتحدة وأميركا اللاتينيّة وافريقيا وأستراليا.

يتعدّى وزن الطائفة المارونيّة السياسي اهميتها العدديّة. في الحقيقة، ان الموارنة يؤمنون ايمانا راسخا بأن لبنان هو ملاذهم الأخير، وأن أي تهديد لوجودهم وامتيازاتهم سوف يحوّل البلد الى دولة عربيّة اسلاميّة أخرى. ان الزعامتين الدينيّة والسياسيّة نافذتان في الطائفة المارونيّة. فعلى المستوى الديني اضطلع البطريرك الماروني وبعض الرهبانيات المارونيّة بدور مهمّ في السياسة اللبنانيّة. منذ مطلع هذا القرن سجّل البطريرك دورا قياديا في الدفاع عن الوجود الماروني في لبنان. ومنذ ١٩٥٨ قاد البطريرك الماروني الجهود للمحافظة على صيغة التعايش بين المسيحيين والمسلمين. خلال الحرب اللبنانيّة تجنّب البطريرك، يومئذ - الكاردينال مار انطونيوس بطرس خريش - العناصر المتطرّفة في طائفته. وقد عكس البطريرك خريش وخلفه الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير بأمانة موقف الكرسي الرسولي كوسيط وموفّق بين الطوائف اللبنانيّة المتعدّدة (١٠).

ان الرهبان الموارنة، لكونهم من مالكي الأراضي الكبار، هم اشد مؤيدي القوميّة اللبنانيّة والمارونيّة (١١). وقد اشترك بعض الرهبان فعليا في المعارك ضد الفلسطينيين وحلفائهم في بيروت. ان جامعة الروح القدس في الكسليك هي من المؤسسات الاكثر نفوذا، وهي باشراف رهبنة مارونيّة. وخلال الحرب اللبنانيّة، قام فريق من الباحثين في الجامعة بنشر عدّة مقالات وكتب تتناول جذور الصراع في لبنان وموقف الرهبان من النزاع. تذكر احدى هذه المنشورات ان المسيحيين اللبنانيين يعارضون "فكرة أي وجود مسالم لهم في دولة اسلاميّة مثل اهل الذمّة الذين يعيشون في الدول العربيّة (الاقباط في مصر والأشوريون في العراق، الخ)"(١٢). وفاق احكام القرآن في "أهل الكتاب" الذين يعاملون "كاهل حماية" ممّا يعني حرفيًا انهم في ذمّة الاسلام. وكي تتمّ حمايتهم فان عليهم ان يؤدّوا الجزية(١٣). وفي المقالة نفسها يطلب الرهبان من "القوى الخيّرة"، وعلى راسها الكرسي الرسولي، ان تفعل ما بوسعها لمنع لبنان - "الملجأ الوحيد للشرق كله حيث يعيش الانسان ويتنفّس ويتاجر ويفكّر ويعبد ويغنّي ويصلّي بحريّة كاملة" - من الانجراف في تيّار سياسة العرب والنفط (١٤).

اضف الى هذا أن الأباتي شربل قسّيس(١٥) الرئيس العام الأسبق للمؤتمر الدائم للرهبانيات المارونية اللبنانية صرّح ان الصيغة التي تمّ التوافق عليها سنة ١٩٤٣ بين المسيحيين والمسلمين كانت حالة من "التعايش المجهض". ومضى الأباتي ليقول ان هذا كان أمرا مؤسفا.

> لو كان التعايش ينجح حقا في لبنان لكنّا ساهمنا كمسيحيين في خلق فكرة جديدة للمجتمع. في الواقع ان المجتمعات في نهاية القرن العشرين تميل أقل وأقل الى التجانس(١٦).

وكبديل لفشل الميثاق الوطني تقدّمت عدّة شخصيّات مارونيّة بحلول تراوح بين اقامة دولة فدراليّة أو كونفدراليّة في لبنان، وتقسيم البلد(١٧).

من الوجهة السياسيّة يشكّل حزب الكتائب الفريق الأهم الذي يجسّد التطلّعات المارونيّة والمسيحيّة في لبنان ويدافع عنها(١٨). لقد تاسس حزب الكتائب اللبنانية عام ١٩٣٦ على يد بيار الجميّل، وهو وجه بارز في السياسة المارونيّة واللبنانيّة. ان كيان لبنان، من وجهة نظر الكتائب، هو حقيقة تاريخيّة متجذّرة في مركز فينيقيا القديمة التجاري. ان ثوابت القوميّة اللبنانية ـ حدود ١٩٢٠ ودستور ١٩٢٦ والميثاق الوطني سنة ١٩٤٣ ـ هي حقائق لا جدال فيها وغير قابلة للبحث. ان على لبنان أن يتعاون مع الدول العربية، شرط أن تكون العلاقات السياسيّة مبنيّة على مبادئ المساواة والاحترام المتبادل.

منذ بداية الحرب سنة ١٩٧٥ عارض حزب الكتائب بقوة تدخّل الفدائيين الفلسطينين العسكري والسياسي في السياسة اللبنانيّة. واقع الأمر ان الكتائب دعت الى الغاء اتفاق القاهرة المبرم سنة ١٩٦٩، واعادة توزيع الفلسطينيين على الدول العربية. ان غالبية أعضاء حزب الكتائب هم من الموارنة.

في سنة ١٩٧٦ اصبحت الكتائب عضوا في ائتلاف اكبر للاحزاب المسيحيّة

المحافظة الرئيسة عرف بـ "الجبهة اللبنانية". وقد ضمّت الجبهة حزب الوطنيّين الأحرار وهو حزب الرئيس الأسبق كميل شمعون، حزب حرّاس الأرز، المؤتمر الدائم للرهبانيات المارونيّة اللبنانية، حزب التنظيم التابع للدكتور فؤاد الشمالي، الرابطة المارونية برئاسة شاكر أبو سليمان، وشخصيّات أخرى أمثال الدكتور شارل مالك. لقد شدّد ميثاق الجبهة اللبنانية على "ضرورة المحافظة على وحدة لبنان واعادة سلطة القانون واحترام المبادرة الفرديّة في القطاع الاقتصادي"(١٩). وقد توحّدت الميليشيات التابعة لأحزاب الجبهة اللبنانيّة سنة ١٩٨٠ ضمن اطار "القوات اللبنانية" بقيادة رئيسها المرحوم الشيخ بشير الجميّل. أما الأطراف الأخرى ذات الغالبيّة المسيحيّة والتي بقيت خارج الجبهة فضمّت الكتلة الوطنية التابعة لريمون اده، الأحزاب الأرمنيّة (الطاشناق، الهنشاق، والرامغافار)، الحزب الديموقراطي برئاسة الدكتور اميل البيطار والحزب الدستوري برئاسة ميشال الخوري.

لقد طلبت الكتائب وحلفاؤها، حفاظا على وجودهم وبقائهم، من القوى الاقليميّة اولا، ثم من دول العالم التدخّل للدفاع عن وحدة لبنان. وفي صيف ١٩٧٦ دعي النظام السوري بزعامة حافظ الأسد الى التدخّل في لبنان. وقد مثّل الجيش السوري دورا اساسيّا في رفع معنويات الميليشيات اللبنانية المحافظة التي ساندتها دمشق لتأخير انتصار التحالف الاسلامي - اليساري - الفلسطيني. ومع اشتداد قوّتهم بفضل الدعم السوري شنّت الكتائب وحلفاؤها هجوما (من حزيران الى آب ١٩٧٦) على المخيّمات الفلسطينيّة الواقعة في المناطق المسيحيّة من بيروت. وكانت هذه المخيّمات تزنّر منطقة مهمّة تشكّل ٣٠ بالمئة من طاقة لبنان الصناعيّة. اهمّ هذه المخيّمات وأكثرها سكانا كان مخيّم تل الزعتر(٢٠) الذي ضمّ الفلسطينيّين واللاجئين الشيعة من جنوب لبنان.

ولم يدم التناغم السوري والمسيحي اللبناني المحافظ طويلا (أقل من سنتين)، لقد قرّرت الميليشيات المسيحيّة انشاء علاقة متينة مع اسرائيل في محاولة منها

صدّ الوجود السوري والفلسطيني في لبنان اذ لم ينظر بعض القادة الموارنة بعين الرضى الى التدخّل السوري في لبنان. وقد جاء الاسرائيليّون الى نجدة المسيحيّين اللبنانيّين كونهم أقليّة مهدّدة في الشرق الادنى. يرجع الاتصال الاسرائيلي الماروني الى الثلاثينات عندما دعا بعض القادة الموارنة البارزين أمثال البطريرك عريضة الى خلق "وطن مسيحي" على غرار الوطن اليهودي الذي تمّ وعد اليهود به في اعلان بلفور(٢١). يجب ان نذكر هنا الرسائل التي تمّ تبادلها في الخمسينات بين رئيس الوزراء الاسرائيلي موشي شاريت Moshe Sharett ورئيس الوزراء الاسرائيلي السابق ديفيد بن غوريون David Ben-Gurion والتي تمحور جوهرها حول امكانيّة تبنّي خلق كيان ماروني في لبنان متحالف مع اسرائيل(٢٢).

لقد نتج عن هذا التعاون الاسرائيلي الماروني الوثيق أمران رئيسان: الأول، تغيّر في التحالف بين السوريين والجبهة اللبنانيّة. لقد أراد السوريّون، كونهم دخلوا لبنان لمساعدة الموارنة ونظرا لعلاقة هؤلاء باسرائيل، ان تؤدي الميليشيات المسيحيّة ثمنا غاليا لذلك. وفي سنة ١٩٧٨ تعرّضت المناطق المسيحيّة في شرق بيروت الى قصف سوري عنيف، الثاني، قيام شقاق في المعسكر الماروني نفسه اتّخذ شكل صدامات حادّة بين أتباع الرئيس السابق سليمان فرنجيّة في شمال لبنان وميليشيا الكتائب.

في بداية ١٩٧٨ انتقد فرنجيّة المفاوضات بين مصر واسرائيل (التي وافق عليها أعضاء آخرون في الجبهة اللبنانية) واتّهم الكتائب بعدة استفزازات في المناطق التي تسيطر عليها الميليشيا التابعة له. وقد تطوّر الأمر لينتهي بمقتل نجله طوني فرنجيّة وعائلته في ٣ حزيران ١٩٧٨ *(٢٣). كما أن مجموعات مسيحيّة أخرى عبّرت عن معارضتها للاتصالات المارونيّة الاسرائيليّة. فقد نقل مراسل فرنسي يغطّي جنوب لبنان ان "الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس في مرجعيون

---

* ما عدا سليمان بن طوني. (المترجم والمراجع)

والذين يفوق عددهم عدد الموارنة هناك قد صعقوا للاتفاق السرّي بين الميليشيات المسيحيّة واسرائيل... حتى انهم رفضوا، كما طلب منهم بعض الموارنة، ان يعيدوا فتح المدارس حيث كان من المفترض أن يدرّس بعض الاسرائيليين" (٢٤).

لقد حاولت طائفتا الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك خلال الحرب الابتعاد عن سياسة الموارنة المتطرّفة. يرأس طائفة الروم الارثوذكس بطريرك انطاكية ويسكن في دمشق، ويرفض الروم الارثوذكس أولويّة البابا في أمور الايمان. وقد قام الروم الارثوذكس بدور مهم في بعث القوميّة العربيّة. وفي سنة ١٩٤٢ تاسست حركة الشبيبة الارثوذكسيّة وكان لها أثر مهم في بعث قيم الطائفة الدينيّة وتشجيع مشاركة المثقّفين الارثوذكس العلمانيين في السياسة(٢٥). ينتشر الروم الارثوذكس، ايضا، في سوريا وتركيا الشرقيّة ودول الخليج العربي وفي بلاد الاغتراب (الولايات المتحدة، كندا، الخ).

لقد شرح المطران الياس قربان بوضوح موقف طائفة الروم الارثوذكس خلال الحرب، في مقابلة اجرتها معه صحيفة **النهار** اللبنانية رفض فيها جميع المخطّطات لتقسيم لبنان ودعا الى الغاء "الطائفيّة السياسيّة" في الوظائف العامّة. وهذا يعني ان حظوظ المرشّحين (للوظائف) يجب أن تبنى على مقدرتهم التقنّية وليس على نسبة عدد طوائفهم. وقد شدّد المطران قربان على الروابط المتينة بين اللبنانييّن والفلسطينيّين:

"ان لبنان جزء لا يتجزأ من العالم العربي.... ان القضيّة الفلسطينيّة هي قضية لبنان، أيضا، وبالمقابل فان سلامة لبنان ووحدته هما قضية فلسطين"(٢٦).

ان الروم الكاثوليك أو الملكيّين مرتبطون بالفاتيكان ويرأسهم بطريرك يسكن في دمشق أيضا. لقد اتّخذ البطريرك مكسيموس الخامس حكيم خلال الحرب مواقف مثيرة للجدل وبخاصة في صيف ١٩٧٨ عندما كانت المدافع السوريّة تقصف القرى المسيحيّة. لقد أثنى البطريرك على الدخول السوري الى لبنان واعرب عن معارضته تقسيم لبنان وخلق كيان مسيحي:

ندين، نحن المسيحيّين، أي اتصال مع اسرائيل لأننا نعي أن الدولة العبريّة تهدف الى التوسّع على حساب الدول المجاورة... اننا نرفض الحماية الاسرائيليّة ومزاعمها بالدفاع عن المسيحيّين في هذا الجزء من العالم حيث عاش المسيحيّون والمسلمون لقرون جنبا الى جنب(٢٧).

لقد كان للروم الكاثوليك بالرغم من قلّة عددهم، دور مهمّ في حقلي المال والاعمال في لبنان. اضافة الى لبنان، ان أبناء كنيسة الروم الكاثوليك يتمركزون الان في سوريا وفلسطين.

والى جانب الطوائف المسيحيّة اضطلعت الطوائف الاسلاميّة بدور هام في السياسة اللبنانيّة. وعلى غير ما هي عليه الطائفة السنيّة التي تتّبع التعاليم السائدة في الاسلام فان الشيعة (شيعة الامام علي ابن عم النبي محمد وصهره) ينتمون الى الطائفة الاثني عشريّة الغالبة في ايران. ولم تظهر الطائفة الشيعيّة دورا ناشطا في السياسة اللبنانيّة الاّ في السبعينات. كان الامام موسى الصدر، الذي اختفى في أواسط السبعينات اثر رحلة الى ليبيا، منشّط وقائد هذه الطائفة وقائدها(٢٨).

لقد بقي الشيعة طائفة محرومة ومسالمة الى نهاية الستّينات. الاّ انهم اصبحوا بعد ذلك اكثر تنظيما فتحدّوا الوضع القائم المفروض عليهم بفعل السيطرة السنيّة - المارونيّة على السياسة اللبنانيّة. وقد نشأت مؤسستان لإيصال مطالب الشيعة: المجلس (الاسلامي) الشيعي الاعلى الذي اسس لدعم قضيّة الطائفة على مستوى وطني، وحركة أمل وهي قوّة سياسية عسكريّة ما لبثت أن اصبحت ذات شأن وبخاصة في بيروت الغربية وفي الجنوب(٢٩).

اما الدين الدرزي فهو فرع من الشيعة. بعد الاضطهاد الذي أصاب الدروز في مصر، سكنوا في سوريا ولبنان. كما أن هناك دروزا في اسرائيل منهم من يخدم في الجيش الاسرائيلي. وقد اضطلع الدروز بدور مهم في تكوين الدولة

اللبنانية(٣٠). وبفعل تكوّن الدروز من تحالف بين عشيرتين: الجنبلاطيين واليزبكيّين فقد اتّحدوا تحت زعامة شيخ العقل الجنبلاطي محمد أبو شقرا. لقد كان المرحوم كمال جنبلاط مؤسس المعارضة اللبنانيّة وقائدها قبل الحرب وخلالها. وفي سنة ١٩٧٧ خلفه ابنه وليد.

لم تشكّل الطوائف الاسلاميّة خلال الحرب جبهة موحّدة، الاّ أن العناصر المحافظة والراديكاليّة كانت متّفقة على القضايا الأساسيّة. ونظراً للتغييرات السكانيّة التي جاءت لمصلحتهم منذ تاسيس الجمهورية اللبنانيّة في سنة ١٩٢٠ فقد زعم المسلمون أن توزيع السلطة في لبنان كان لغير مصلحتهم. أما القضية الأخرى التي وحّدت الطوائف الاسلاميّة فكانت معارضتهم التامّة دعاة تقسيم لبنان (من المتطرّفين) وتشديدهم على هويّة لبنان العربيّة. أما الاهداف الأخرى التي جمعت بين المسلمين اللبنانيّين فشملت:

١- تمتين العلاقات بين لبنان والبلاد العربية والعالم الثالث،

٢- التضامن مع الشعب الفلسطيني، مع رفض توطينه في لبنان،

٣- انهاء كل تعاون مع اسرائيل،

٤- حلّ الميليشيات(٣١).

اضافة الى هذا تقدّم المسلمون بطلبين:

١- اعطاء دور أساسي لرئيس الوزراء الذي كان، لوقت قريب، يوقّع على قرارات الرئيس من دون مناقشة،

٢- توزيع أفضل للثروة الاقتصادية.

ان القضية الرئيسة التي تقف في طريق التوافق التام بين المسيحيين والمسلمون في لبنان هي مسألة الغاء الطائفية من النظام. ولغاية الآن يرفض القادة المسلمين التقليديون علمنة قوانين الأحوال الشخصية (كالزواج المدني مثلاً)

والانفساح في المجال أمام العلمنة كطريقة تعامل في الحياة اليومية. انهم يعتبرون ان فصل الدين عن الحياة المدنية يتعارض مع مبادئ الدولة الاسلامية(٣٢). من جهة أخرى يعتقد الموارنة ان الغاء الطائفية السياسية ليس كافياً اذا لم تتبعه العلمنة الكاملة. وقد رأوا في دعوات المسلمين الى الاصلاح محاولة للسيطرة على السياسة اللبنانية بتفوقهم العددي فقط. ولهذا يعتبر بعض المسيحيين لبنان الملجأ الأخير الذين يمكنهم فيه ممارسة دينهم من دون أن يخضعوا للأغلبية الاسلامية الحاكمة في جميع الدول العربية والاسلامية.

أما من الناحية العسكرية، فقد واجهت الحركة الوطنية اللبنانية الجبهة اللبنانية التي يسيطر عليها الموارنة. ومن أهداف الحركة الوطنية اللبنانية أن تكون النصير الفاعل والمتطرف للمحرومين اللبنانيين الذين يعيشون في "حزام البؤس" حول بيروت. ففي اب ١٩٧٥ أعلنت الحركة الوطنية اللبنانية "برنامج الاصلاح الديمقراطي للنظام اللبناني" الذي تدعم فيه، مع أهداف أخرى، تضامن لبنان الكامل مع الفلسطينيين واعتماد نظام الانتخاب النسبي، والغاء الطائفية السياسية والادارية(٣٣).

لقد اتّخذ الائتلاف الاسلامي اليساري المتطرف من وجود منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان الفرصة الذهبية لقلب التوازن الطائفي في البلد. الاّ ان أهداف الحركة الوطنية اللبنانية قد أعاقتها الطبيعة الطائفية الشاملة للجسم السياسي اللبناني والسياسة التي اتّبعتها سوريا والمشاحنات الداخلية التي شوّهت العلاقات بين الجماعات الاسلامية المختلفة كذلك بينها وبين الفلسطينيين(٣٤).

اضافة الى الحزب التقدمي الاشتراكي، ضمّ التحالف الاسلامي اليساري، الذي جمع مقاتليه من السنّة والشيعة والدروز، المنّظمات الآتية: الحزب الشيوعي اللبناني، منظمة العمل الشيوعي في لبنان، حركة الناصريين المستقلين - المرابطون، الحزب السوري القومي الاجتماعي، حزب العمل الاشتراكي، حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يدعمه العراق وحزب البعث السوري في لبنان.

وفي خارج اطار الجبهة اللبنانية والحركة الوطنية اللبنانية مجموعة من السياسيين المستقلين الذين ينتمون الى مختلف الطوائف. ففي الجانب المسيحي هناك ريمون اده عميد الكتلة الوطنية الذي يقضي الآن في باريس فترة من المنفى الطوعي. ان اده من دعاة التقارب بين المسيحيين والمسلمين، وقد دعا الى انسحاب كل الجيوش الأجنبية من لبنان، وفي الجانب الاسلامي نجد زعماء تقليديين أمثال صائب سلام ورشيد كرامي، وهما سنّيان ورئسا حكومة سابقان. وأخيرا في الطائفة الشيعية، نجد كامل الأسعد الرئيس (السابق) لمجلس النواب. لقد أيّد كل هؤلاء السياسيين الاصلاح التدريجي للمؤسسات ومزيدا من المشاركة للمسلمين في السلطة.

لقد شهدت الحرب اللبنانية عدة فظائع ارتكبت بحق المدنيين الأبرياء اذ اصبحت تذكرة الهوية التي تذكر فيها طائفة المواطن مسألة حياة أو موت. وقد استهدفت المؤسسات الدينية والكنائس من دون تمييز، وذبح المدنيون على الهوية. وقد خفّت الاعتداءات على المؤسسات المسيحية والاسلامية وعلى الأشخاص بعد السنتين الأوليين من الحرب.

ان هذه الاحداث ما كانت الاّ لتؤدي الى تعميق الأحقاد بين المسيحيين والمسلمين في لبنان. فبعد كل مذبحة كان يرحل المسيحيون من مناطق السيطرة الاسلامية، وبالعكس، وشكّلت موجات من المهجرين تطلب مأوى في الأديرة والكنائس في المناطق المسيحية. أما المسلمون، وأغلبهم من شيعة جنوب لبنان، فقد لجأوا الى الشقق وبيوت التنك في غرب بيروت. لقد استدعت هذه المشكلة تقديم كميات كبيرة من المساعدات الانسانية التي قدّم الكرسي الرسولي والكنيسة الكاثوليكية جزءاً كبيراً منها في حين قدمت السعودية مساعدات مالية الى المؤسسات الخيرية الاسلامية في لبنان.

بعد أن عرضت الحرب اللبنانية بأبعادها المحلية والداخلية، سأتناول بالتحليل دور القوى الاقليمية والدولية خلال الحرب وخياراتها.

على ضوء المتغيرات العسكرية والدبلوماسية في الشرق الأوسط في أعقاب الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة سنة ١٩٧٣، خافت القيادة السورية من أن تكون الولايات المتحدة، بالتعاون مع اسرائيل ومصر، قد عزمت على عزل دمشق عن أية تسوية مستقبلية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. وقد قدم لبنان أرضا خصبة للرئيس السوري حافظ الأسد كي يحسن وضعه الاقليمي وليثبت للولايات المتحدة ولحلفائها الشرق أوسطيين ان سوريا هي عامل مهم في أية تسوية مستقبلية في المنطقة.

لقد نظرت دمشق الى الحرب اللبنانية على انها تهديد لمواقع سوريا العسكرية والسياسية ضد اسرائيل. وكانت أهداف القيادة السورية خلال الحرب مثلثة الجوانب:

١ ـ ان تمنع السيطرة اليسارية الفلسطينية على لبنان التي تؤدي حتماً الى نزاع بين سوريا واسرائيل،

٢ـ أن تعميق أية محاولة لتقسيم لبنان من شأنها تهديد وحدة سوريا نفسها،

٣ـ أن تحافظ على الوضع القائم بين الأطراف اللبنانية المتحاربة(٣٥).

ومع النجاح الذي أحرزه السوريون في اول الأمر في تحقيق أهدافهم فقد وجدوا أنفسهم عالقين في رمال السياسة اللبنانية والاقليمية المتحركة. لقد تدخلت دمشق محليا في لبنان كي تنقذ أقلية أخرى (الموارنة) من الابادة الكاملة. ان التعاطف الذي شعرت به الأقلية العلوية الحاكمة في سوريا تجاه حلفائها المسيحيين اللبنانيين كان له أثره على غالبية السكان السنة في لبنان والبلاد العربية.

اقليمياً أعطى لبنان اعداء سوريا من العرب فرصة ممتازة للنيل من الحكم السوري. ففي سنة ١٩٧٦ قدّم العراق مساعدة عسكرية مباشرة الى الفلسطينيين

المعارضين للدخول السوري، كما أرسلت ليبيا مبالغ ضخمة لمساعدة الحركة الوطنية اللبنانية وحلفائها الفلسطينيين. أما موقف مصر فقد فرضه خلافها الاساسي مع سوريا حول اتفاق الفصل مع اسرائيل سنة ١٩٧٥. وفي بداية الحرب اللبنانية هبت مصر لمساعدة منظمة التحرير الفلسطينية بالرغم من استنكار المنظمة الشديد للجهود المنفردة التي قام بها الرئيس المصري انور السادات ليفاوض اسرائيل(٣٦).

كانت الحرب اللبنانية ضربة لنية سوريا ادخال الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في انشاء "الجبهة الشرقية" لاقامة توازن في مواجهة الاتفاق المصري - الاسرائيلي. أخيرا دفعت الحرب اللبنانية سوريا الى طلب المزيد من الدعم المالي والعسكري من الاتحاد السوفياتي، وذلك كي ترد على المخططات الاميركية والاسرائيلية. بعزلها ومن ثم جرّها الى عملية السلام.

ولم تختلف أهداف اسرائيل في لبنان عن أهداف سوريا، اذ ان الدولتين قد عارضتا أيّ تغيير جذري في الصيغة اللبنانية التي تمّ التوصل اليها سنة ١٩٤٣. لقد رأت تل أبيب انه لا يجب اعطاء منظمة التحرير الفلسطينية حرية التصرف في جنوب لبنان كي تقوم بتخريب المستوطنات الاسرائيلية الشمالية. فبعد كل هجوم فدائي كانت اسرائيل تردّ بأعمال انتقامية كانت تدفع بالسكان المحليين الى الرحيل والى تزايد الضغوط على الحكومة اللبنانية للقيام بعمل مشابه للعمل الذي قام به الملك حسين في الاردن عام ١٩٧٠ عندما سحق منظمة التحرير الفلسطينية في مملكته. ان ضعف الحكومة المركزية في بيروت قد دفع بالسلطات الاسرائيلية الى التوصل الى نوع من صيغة تعايش مع السوريين(٣٧).

في ربيع ١٩٧٦ كان الاسرائيليون يثنون على الدخول السوري الى لبنان وضربهم التحالف اليساري الفلسطيني بيد من حديد. وفي تموز ١٩٧٦ صرّح رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين: "أنا لا انتقد السوريين اذا أرادوا متابعة مجزرتهم ضد الفلسطينيين، فيما يختص بنا فانهم يمكنهم متابعتها"(٣٨).

في سنة ١٩٧٨ مال ميزان القوى في لبنان لصالح قوات سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ووجدت اسرائيل لها في الميليشيات المسيحية حلفاء متحمسين. وقد ذكر ان المساعدة الاسرائيلية للمقاتلين الموارنة (القوات اللبنانية) بلغت ١٠٠ مليون دولار(٣٩). وقد استعملت تل أبيب الارتباط الاسرائيلي الماروني أداة اعلامية لتكذيب مزاعم منظمة التحرير الفلسطينية بخلق دولة فلسطينية علمانية متعددة الطوائف على غرار لبنان.

ان انهيار لبنان كان كسبا لبعض الاسرائيليين الذين سوف يردّون على المطالبين بدولة فلسطينية باعطائهم مثل "أرض الأرز" المأسوي(٤٠). وبعد الغزو الاسرائيلي للبنان في آذار ١٩٧٨ وانسحاب الجنود الاسرائيليين باشهر قليلة نشأت وصاية اسرائيلية سورية ضمنية قوية على لبنان.

ومع وجود الائتلاف الحاكم في اسرائيل بزعامة الليكود أعطيت الأهداف الاسرائيلية في لبنان دفعا جديدا، وبخاصة من قبل وزير الدفاع أرييل شارون. وفي صيف ١٩٨٢ اجتاح الجيش الاسرائيلي لبنان للمرة الثانية لتحقيق هدفين بعيدي المدى:

١. تدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان،

٢. اقامة حكم موال لهم في بيروت يسيطر عليه الكتائب.

ومع خريف ١٩٨٢ انتهت مخططات شارون العظيمة بعد المذبحة المأسوية التي تعرض لها المدنيون الفلسطينيون في مخيمي صبرا وشاتيلا(٤١).

أما على المستوى الدولي فان الولايات المتحدة كانت مهتمة بالمحافظة على المكاسب الدبلوماسية التي حققتها بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣. وقد نظرت واشنطن الى المشكلة في لبنان كعرض جانبي غايته الهاء الأطراف التي تعارض عملية السلام الأميركية. وقد دفع هذا الوضع بالمرحوم مالكولم كور (Kerr) الى أن يكتب: "(ربما) يكون هدف السياسة الاميركية قد تحقق فعلا مع تحييد مصر

وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بالتتابع، فبدلا من محاربة اسرائيل فانهم يحاربون بعضهم بعضا ومنظمة التحرير الفلسطينية تناضل من اجل بقائها"(٤٢).

منذ بداية الحرب اللبنانية حتى نهاية ادارة كارتر سمحت الولايات المتحدة للقوى الاقليمية، وبخاصة سوريا واسرائيل، بحرية تحرك كبرى. لقد حاولت الولايات المتحدة ان تقيم في لبنان نفسه وضعا من التوازن المدروس وذلك بالتوسط بين سوريا واسرائيل كي تتجنّبا المواجهة المحتملة بين جيشيهما(٤٣).

وقد حاولت فرنسا، نظرا لعلاقاتها التقليدية مع لبنان أن تقوم بدور الوسيط في الحرب. وتركزت المبادرة الفرنسية الاولى على كسب دعم فكرة لقاء الأطراف اللبنانيين الأساسيين حول طاولة مستديرة في باريس. أما الوجه الثاني من بعثة الوساطة الفرنسية (تشرين الثاني ١٩٧٥) فكان للطلب الى الزعماء المسيحيين التقليديين أن "يجمّدوا" عداءهم لمنظمة التحرير الفلسطينية لفترة وجيزة. أما البعثة الفرنسية الثانية (نيسان ١٩٧٦)فكانت لتقويم احتمال ارسال الحكومة الفرنسية جنودا الى لبنان. وقد أعلنت الفكرة رسميا خلال زيارة قام بها الرئيس فاليري جيسكار ديستان الى الولايات المتحدة في ٢٠ أيار ١٩٧٦(٤٤).

بعد هذا العرض لخلفية الحرب اللبنانية وخيارات اللاعبين المحليين والاقليميين والدوليين ودورهم فيها، انتقل الآن الى عرض دور الكرسي الرسولي في الحرب اللبنانية.

الكرسي الرسولي والحرب اللبنانية: اهداف السياسة وتنفيذها

منذ تأسيس العلاقات الدبلوماسية مع الكرسي الرسولي في سنة ١٩٤٧ اعتبر البابوات المتعاقبون لبنان مثالا ونموذجا للتعايش بين المسيحيين والمسلمين(٤٥). وقد شدّد البابا يوحنا بولس الثاني على الأهمية التي يوليها الكرسي الرسولي للصيغة اللبنانية، وذلك خلال قبوله أوراق اعتماد السفير اللبناني المعين لدى الكرسي الرسولي في ٨ كانون الثاني ١٩٨٣. قال الحبر الأعظم

في خطابه:

> عرف التعايش المتجانس والأصلي بين المؤمنين الموحدين فترات هانئة، حتى لو خلقت بعض الاوقات الصعبة شيئا من الشك حول امكانية دوام هذه التعددية. لقد اعطى لبنان وما يزال قادرا أن يعطي، من دون أن يكون متصنعا هذا المثال الجميل في الشرق الأوسط(٤٦).

في الحقيقة، وخاصة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، بدأ الكرسي الرسولي حوارا مع الطوائف الاسلامية حول العالم. وكان من المفترض بلبنان أن يكون المكان المثالي لتطبيق المبادئ التي تمّ تبنيّها خلال المجمع ولا سيّما التعددية واحترام حقوق الانسان تطبيقا عمليا(٤٧).

لقد أراد الكرسي الرسولي ان يظهر للعرب والمسلمين، على حدّ سواء، أن البابوية مؤسسة عالمية، وهي لا تريد أن تُربط بمنطقة جغرافية أو حضارية معينة. يفسّر هذا لماذا "لا يحبّذ الكرسي الرسولي جعل لبنان على النسق الغربي والذي سيبدو كاستعمار جديد يضع المسيحيين اللبنانيين في وضع صعب للغاية"(٤٨).

منذ بداية الحرب اللبنانية سنة ١٩٧٥ اتّبع الكرسي الرسولي سياسة مبنية على دعم وحدة أراضي لبنان والمحافظة على صيغة التعايش، مع اجراء بعض الاصلاحات الضرورية، مما يعني أن الفاتيكان كان يعلم انه يجب تعديل ميثاق ١٩٤٣ كي يلائم متغيّرات المجتمع اللبناني. اضف الى هذا ان البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني قد شدّدا في خطبهما وتصاريحهما على دعمهما الكامل للسلطات الشرعية المتمثلة برئيس الجمهورية. لقد كرّر الكرسي الرسولي اقتناعه بأن اللبنانيين وحدهم قادرون على حلّ مشاكلهم معبّرا عن استعداده لاستعمال نفوذه لدى الحكومات الصديقة في سبيل حقن الدماء.

لقد شكّلت الحرب في لبنان تحديا للكرسي الرسولي، اذ كان عليه في

الحقيقة أن يعمل على مستويات ثلاثة من النزاعات المتداخلة: النزاع المسيحي - المسيحي، النزاع اللبناني - اللبناني والنزاع اللبناني - الفلسطيني. ان القوى الاخرى التي حاولت التوسط وايجاد حلّ للنزاع قد واجهت نوعا ما التحدي نفسه. الاّ أن المشكلة بالنسبة الى الكرسي الرسولي قد تعقّدت بفعل الخلاف العميق الذي نشأ بين الكرسي الرسولي و(بعض) الطائفة المارونية. ان الموارنة، وتحديدا بعض السياسيين وبعض رجال الدين الموارنة النافذين لم يشاركوا الكرسي الرسولي في موقفه المتوازي والتوفيقي من الصراع بين القومية اللبنانية والقومية الفلسطينية. ان قناعة الموارنة الرئيسة كانت ان المسيحيين اللبنانيين قد تمت التضحية بهم على مذبح الحوار المسيحي - الاسلامي ولم يبدو لهم أن الفاتيكان يقوم بالخطوات الضرورية لتهدئة مخاوف الأقليات المسيحية في الشرق، كي يفسح في المجال امام الموارنة لأن يدخلوا في حوار مع نظيرهم من المسلمين. وقد ردّ مسؤول فاتيكاني على هذا الاقتناع بقوله: "ان الكرسي الرسولي لا يضحّي بأحد. كل انسان له قيمته وبخاصة في ما يتعلق بالكنيسة المارونية أو الكنائس الاخرى في لبنان (الارمنية، الروم الكاثوليك، الروم الارثوذكس، الخ) وحتى غير المسيحيين"(٤٩). ان تحليلا دقيقا للتصريحات البابوية والرسائل التي سلّمت الى زعماء لبنانيين ومسؤولين حكوميين خلال فترة الحرب تظهر العناية الخاصة التي اولتها البابوية الموارنة وكنيستهم بسبب روابطها المميزة والتاريخية بالكرسي الرسولي.

لقد ظن الموارنة في لبنان أنهم يمكنهم الاعتماد على دعم الكرسي الرسولي الكامل ومن دون تردد في صراعهم ضد الفلسطينيين وحلفائهم المسلمين. الاّ أن مصلحة المسيحية في الشرق الاوسط بعامة، هي التي تملي على الكرسي الرسولي موقفه من المسيحيين اللبنانيين **أي انقاذ لبنان ككيان مستقل كي يتم انقاذ المسيحيين**. وتفسّر هذه السياسة معارضة البابا المستمرة للتقسيم أو أية مخططات أخرى (الفدرالية، اقامة الكانتونات، الخ) مقترحة للبنان. لو قسّم لبنان الى كيانات اثنية دينية صغيرة فان خلق دويلة مسيحية سيكون له مضاعفات سلبية

على المجموعات المسيحية الاخرى الموجودة في البلاد العربية والاسلامية. وستتعرض هذه المجموعات للاعمال العدائية: الاضطهاد والانعزال. ان اكثر ما أقلق الكرسي الرسولي هو أن المسيحيين اللبنانيين بعيشهم في كيان مسيحي مستقل" سوف يفصلون أنفسهم عن الشعب الذي يرتبطون به بقوة بفعل الحضارة واللغة، وسوف يجعل من رسالتهم رسالة ميتة"(٥٠).

ان الموقف المتطرّف الذي وقفه بعض رجال الدين الموارنة خلال الحرب دفع بمسؤولي الفاتيكان الى أن يتكلموا على الموارنة في لبنان على انهم قد "اسلموا". "ان المشكلة مع المسيحيين في لبنان هي ان الصراع من اجل البقاء قد حلّ محلّ القيم الدينية. فتحوّل الدين الى مفهوم اثني"(٥١). لقد اضطلع الرهبان الموارنة دائما بدور اساسي في طائفتهم، ولا يستطيع الكرسي الرسولي الاّ ان يعترف بأهمية هذا العامل في تعامله مع لبنان. وقد وصف الدكتور ادمون ربّاط الرهبان بأنهم:

> العقبة التي لا جدال حولها لدبلوماسية الفاتيكان. لا يريد الفاتيكان ابدا أن ينفّر الموارنة ويواجه رجال الدين الموارنة مباشرة. لا يستطيع أن ننسى ان الموارنة كانوا، في الماضي، في العصور الوسطى، وفي وقت من الاوقات، منفصلين عن الكنيسة (الأم) وانه كان هناك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر جماعات من رجال الدين الموارنة ضدّ الفاتيكان(٥٢).

لقد شبه الأب رينيه شاموسّي René Chamussy العلاقات بين الكرسي الرسولي والمسيحيين اللبنانيين باستراتيجية موسكو تجاه الاحزاب الشيوعية في الشرق الاوسط: العلاقات بين الدول أهم بكثير من مصير الاحزاب الشيوعية في المنطقة. ان الفرق، كما يراه الدارس اليسوعي، هو أن الاتحاد السوفياتي "يعطي أتباعه تبريرا لتصرفه. وليس للفاتيكان التصرف ذاته، انه يثني على صيغة

التعايش، لكنه يبقى صامتا حول المشاكل الحسية التي تعترض المسيحيين"(٥٣).
وقد انعكست الخلافات بين الكرسي الرسولي وبعض المسيحيين اللبنانيين في عدة مناسبات، خلال الحرب اللبنانية، وسنعرض تاليا لبعضها.

استنكر البابا بولس السادس في رسالة بعث بها بتاريخ أول آب/ اغسطس ١٩٧٦ الى مؤتمر القربان المقدس المنعقد في فيلادلفيا "الحرب الأهلية" التي دمرت "الصيغة الاساسية للسلام" في لبنان(٥٤). وقد أعلن البابا في رسالته ان الذين قاسوا من الحرب، اضافة الى الشعب اللبناني، كانوا "اللاجئين من فلسطين المقهورين في انتظار منذ ثلاثين سنة للحصول على الوطن"(٥٥). وأخيرا اطلق البابا نداء لمساعدة المحاصرين في مخيّم تل الزعتر، طالبا من منظمات الغوث الكاثوليكية أن تتعاون لهذا الغرض.

لقد اثارت رسالة البابا بولس السادس الى مؤتمر فيلادلفيا ردّ فعل سلبيا من قبل كميل شمعون رئيس الجمهورية الأسبق وعضو الجبهة اللبنانية الذي اتهم البابا بانه "يملك قلبا غالبا ما يدمي على جرحى تل الزعتر ولم يدم مرة على اللبنانيين الذين يسقطون يوميا"(٥٦). وقد ردّ الحبر الأعظم على تصريح الزعيم الماروني في ١٥ آب ١٩٧٦ عندما قال:

> بدل ان نلجأ الى الاستنكار والادانة العلنية فقد اخترنا أن نتبع العمل الصامت والدؤوب لصالح العدالة والوفاق بين الجميع، من دون استثناء أية جهة، حتى لو قاسى الجانب المسيحي الاضرار والمجازر(٥٧).

وقد كرر البابا بولس السادس هنا ذكر موقف الكرسي الرسولي المعروف بالنسبة الى الحرب اللبنانية وهو ان البابوية لن تغيّر أبدا هدفها المعلن بوضع جهودها التوفيقية فوق المصالح الفئوية في الحرب. كما أشار الحبر الأعظم الى ان الكرسي الرسولي لن يغيّر دوره كوسيط وموفق متوازن بين اللبنانيين والفلسطينيين.

هناك حادثة أخرى شكّلت مصدرا للخلاف بين الكرسي الرسولي والموارنة عنوانها القرار الذي اتخذته الميليشيات المسيحية بطلب المساعدة الاسرائيلية. ان موقف الفاتيكان من العلاقات الاسرائيلية المارونية قد توضح في مقالة مهمة كتبها الصحافي اللبناني سليم اللوزي يقول فيها أن فرنسا والكرسي الرسولي كانا معارضين تماما للاتصال الاسرائيلي الماروني بسبب النتائج السلبية التي يمكن ان يتركها على العلاقات المسيحية ـ الاسلامية(٥٨). ويزعم سليم اللوزي انه في اوائل السبعينات اتصل بعض الزعماء الموارنة بالكرسي الرسولي بواسطة رهبان الكسليك ليطلبوا اقتراحات الكرسي الرسولي حول امكان اقامة مراكز في اوروبا لتدريب الميليشيات المسيحية. "لقد ارسلت منظمة عسكرية سرية مركزها روما خبراء لهم تجارب سابقة في حرب السودان وحرب بيافرا. وقد اختار خبراء حرب العصابات هؤلاء افضل عناصر الميليشيات المسيحية وارسلوهم الى مدينة "انفير" (بلجيكا) حيث التحقوا بمراكز تدريب خاصة"(٥٩). وقد نسب الصحافي اللبناني ايضا الى الكرسي الرسولي أنه نصح الرهبان الموارنة بتمويل تدريب الميليشيات من خلال حزب الكتائب.

ان فقدان الثقة العميق الذي طبع العلاقات بين البابوية والجبهة اللبنانية قد ازداد بيانا في الهجوم العنيف الذي شنّه الاب جان أوكانيه Jean Aucagne على الكرسي الرسولي في افتتاحية نشرتها سنة ١٩٧٨(٦٠) صحيفة "لوريفاي" *Le Réveil* التي اسسها رئيس الجمهورية أمين الجميّل. يعكس الأب الذي له عمود دائم في الصحيفة ـ وجهة نظر معتبرة جدا في الاوساط المسيحية اللبنانية. لقد كان سبب نشر افتتاحية الباحث اليسوعي والتي عنوانها "اذا من يطلع البابا؟" خطأ في نقل الانباء ارتكبته وكالة الصحافة الفرنسية. ففي ترحيبه بالمطران شكر الله حرب الذي كان حاضرا في اللقاء التقليدي العام في الفاتيكان في ١١ نيسان/ أبريل ١٩٧٨ توجّه البابا بولس السادس بالكلام الى الحبر الماروني قائلا:

ان عندنا لبلاده (لبنان) ولسوريا... ولكل الشعب

> الكاثوليكي المجموع هنا والذي يعاني عناية وتحية وبركة خاصة(٦١).

وبسبب خطأ في بث البرقية نقلت وكالة الصحافة الفرنسية تصريح البابا على النحو الآتي:

> نحيي فيك هنا عاطفة الشعب الذي تمثّل. اننا نوجه عناية وتحية وبركة الى شعبك، الى لبنان، الى سوريا وكل الشعوب التي جمعت هناك وتعاني.

وعلى ضوء هذا التصريح كتب أوكانيه، انه لم يكن على علم بأن الكرسي الرسولي قد اعتمد المقولة التي تعتبر:

> سوريا ولبنان شعبا واحدا... أيجب ان نفسّر هذه الكلمات على انها الخطوط العريضة لحلّ فاتيكاني (او حل آخرين) لمشكلة الشرق الاوسط؟ أي: اتحاد فدرالي سوري - لبناني - فلسطيني؟(٦٢).

وقد ذهب أوكانيه الى أبعد من ذلك وتساءل عن الجهة التي توصل المعلومات الى البابا، انه ليس القاصد الرسولي في بيروت "الذي اكسبته معرفته وعمله في سبيل لبنان والكنيسة الكاثوليكية في لبنان والمسيحيين في لبنان وكل اللبنانيين من تمييز لا في الطقس ولا في الدين تقدير جميعهم واحترامهم وامتنانهم"(٦٣). أيكون اذا ما يسمّى "اللوبي العربي" في الفاتيكان؟ وفي ردّه على هذا السؤال لم يخفّف الأب اليسوعي من حدّة كلماته عن الجهود التي يقوم بها الكرسي الرسولي في سبيل التقارب مع الاسلام(٦٤). وفي مكان آخر من المقالة ينتقد الباحث اليسوعي السياسة البابوية تجاه حقوق الانسان وعلاقة الكرسي الرسولي بالاتحاد السوفياتي (في اي اجتماع دولي سيكون هناك مونسنيور كازارولي - وزير خارجية الفاتيكان - ليبارك كل شيء من دون احتجاج). وقد ختم الاب مقالته بالقول: "ان

البابا معصوم عن الخطأ عندما يتكلم بمقتضى سلطته وليس عندما يتكلم في السياسة"(٦٥).

وفي رد على اتهامات الأب اوكاني شدّد الأب جوزف فاندريس Joseph Vandrisse وهو مراسل صحيفة **لوفيغارو** في روما، على انه لا يمكن اتهام دبلوماسية الكرسي الرسولي بأية مخططات تجاه لبنان. وفي الحقيقة "ان هذه (الدبلوماسية)" مستوحاة مباشرة من البابا بولس السادس ويقوم بتنفيذها رجال قادرون وشجعان "مثل الكاردينال اغوستينو كازارولي Agostino Casaroli والكاردينال باولو برتولي Paolo Bertoli . كيف يمكن الشك في دبلوماسية الكرسي الرسولي "في حين، منذ ثلاث سنوات حتى الآن، تم القيام بكل شيء على المستوى العالمي ومع سفراء اصدقاء للبنان ومعتمدين لدى الكرسي الرسولي، كي يتحقق تأييد استقلال (لبنان) الكامل؟"(٦٦).

منذ اندلاع الحرب اللبنانية والكرسي الرسولي في اتصال دائم مع فرنسا والولايات المتحدة وسوريا لايجاد حل قابل للتطبيق للنزاع في لبنان. وفي سنة ١٩٧٦، عقب طلب من الفاتيكان، قام وزير الخارجية الفرنسية بزيارة واشنطن. وبعد اجتماع مع وزير الخارجية الاميركي، هنري كيسنجر، تمّ الاتفاق على اعطاء سوريا دورا اكبر في لبنان، شرط ان لا يتخطى وجودها "حزام اسرائيل الأمني" في جنوب لبنان. كما أن كيسنجر طلب من الكرسي الرسولي الضغط على القيادة المسيحية في لبنان كي تعطي الخيار السوري فرصة للنجاح(٦٧).

يرجع كريم بقرادوني، وهو سياسي كتائبي، في كتابه حول أحداث لبنان بين ١٩٧٦ - ١٩٨٢ الى مناسبتين مهمتين كان الكرسي الرسولي فاعلا فيهما بشكل خاص. المناسبة الاولى كانت عندما أخبر الرئيس السابق الياس سركيس - وكان يومئذ (١٩٧٨) يحضّر لمقابلة الزعماء الفرنسيين في باريس - كريم بقرادوني أنه يعتقد ان "فرنسا بالتنسيق مع الفاتيكان يمكنها ان تعلّم المسيحيين (في لبنان) بعض الحكمة وتنبههم الاّ يكونوا عملاء لاسرائيل"(٦٨). أما المناسبة الثانية، على

حد زعم كريم بقرادوني، فتتعلق بتقرير دبلوماسي بعث به السفير اللبناني لدى الكرسي الرسولي انطوان فتّال الى الرئيس الياس سركيس. يذكر الدبلوماسي اللبناني في تقريره اللقاء الذي جرى في حزيران ١٩٨٠ بين البابا يوحنا بولس الثاني والرئيس كارتر. لقد تمكن البابا من اثارة موضوع لبنان لأنه "بحسب أوساط الفاتيكان فان الاميركيين يبرهنون انهم اكثر لبنانية منا نحن. "وقد سأل وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال كازارولي نظيره الاميركي ادموند موسكي اذا كانت الولايات المتحدة تقدر ان تمارس ضغوطاً على سوريا كي تنهي النزاع في لبنان. اجاب موسكيEdmund Muskie ان سوريا ما دامت "لم تختر، بعد، بين الشرق والغرب فاننا نجد انفسنا مضطرّين للتعامل مع السوريين بلباقة"(٦٩).

الكرسي الرسولي، الكنيسة الكاثوليكية الاميركية والحرب اللبنانية

ان الكرسي الرسولي اضافة الى تدخله مع الادارات الاميركية المتعاقبة، قد نسق جهوده حول لبنان مع السلطة الكاثوليكية الاميركية. وفي واقع الأمر أن التدخل الناشط للطائفة الكاثوليكية في الولايات المتحدة قد يكون أثّر على سياسة الولايات المتحدة تجاه لبنان. ان دور السلطة الكاثوليكية في الولايات المتحدة كان ذا قيمة كبيرة بالنسبة الى سياسة الكرسي الرسولي في لبنان. وخلال الحرب، أصدر المؤتمر الوطني للأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة عدّة بيانات تتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي والنزاع في لبنان(٧٠).

كان كاردينال نيويورك الراحل تيرنس كوك Terence Cooke شخصية اساسية في السلطة الكاثوليكية الاميركية، اذ كان رئيس الكاثوليكية لاغاثة الشرق الأدنى وعضو مجلس الادارة والهيئة التنفيذية لمؤسسة خدمات الاغاثة الكاثوليكية. وترتبط هاتان المؤسستان برباط وثيق مع الكرسي الرسولي عبر المجمع المقدس للكنائس الشرقية، وهما يؤمنان، مع البعثة البابوية في فلسطين، المساعدات العينية والمالية للاجئين وللمؤسسات الدينية في الشرق الاوسط(٧١).

لقد عرف الكاردينال كوك البابا يوحنا بولس الثاني شخصيا وحضر

الخلوتين البابويتين عام ١٩٧٨ الذين تم فيهما انتخاب البابا يوحنا بولس الأول والبابا يوحنا بولس الثاني. ان هذا العامل، اضافة الى صداقة الكاردينال الراحل مع الرئيسين كارتر وريغن، قد سهل وصول الكرسي الرسولي الى الادارة الاميركية. في هذا الاطار، من الضروري ان تتذكر أنه حتى ١٠كانون الثاني/ يناير ١٩٨٤ لم تكن هناك علاقات دبلوماسية رسمية بين الكرسي الرسولي والولايات المتحدة، اذ كان يمثل مندوب بابوي البابا في علاقاته مع الاساقفة الكاثوليك، ويمثل موفد رئاسي الولايات المتحدة لدى الكرسي الرسولي.

لقد زار الكاردينال كوك لبنان مرتين، الاولى بناء لدعوة تلقاها من البطريرك الماروني مار انطونيوس بطرس خريش دامت من ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٩ الى اول كانون الثاني / يناير ١٩٨٠. وقد زار الكاردينال الماروني خريش الولايات المتحدة في ايلول ١٩٨١ بناء لدعوة تلقاها من المؤتمر الوطني للأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة استقبله خلالها كل من الرئيس ريغن والكاردينال كوك(٧٢). أما الزيارة الثانية التي قام بها الكاردينال كوك للبنان فكانت خلال عيد الميلاد عام ١٩٨٢ بصفته كاهن القوات المسلحة الاميركية.

اصدر الحبر الاميركي بعد رحلته الأولى الى لبنان تقريرا حول زيارة للبنان "يقول فيه ان النزاع في لبنان ليس حربا أهلية، وأن حل النزاع يعتمد على "ايجاد وطن للفلسطينيين". وقد دعا الكاردينال كوك ايضا الادارة الاميركية "لتقنع سوريا بسحب قواتها" من لبنان "ولممارسة اقصى نفوذها على القوات الفلسطينية واسرائيل من اجل وقف متبادل للاعتداءات في جنوب لبنان"(٧٣). وقد بدا الكاردينال كوك في بعض النقاط المتعلقة بحل المشكلة اللبنانية كأنه يشدّد على ما قاله المبعوثون البابويون اثر انتهاء مهماتهم في لبنان، وتحديدا ان اللبنانيين في حاجة الى مساعدة ليتحرروا من الضغوط الخارجية كي "يتفقوا في ما بينهم"(٧٤).

لقد تسلمت نسخة من التقرير غير المنشور من المونسنيور جون ميني John G. Meaney ، المدير الاقليمي للبعثة البابوية في لبنان. وفي معرض التعليق على

التقرير قال المونسنيور ميني انه كان "للتقرير الأثر الكبير في تصحيح وجهة نظر وزارة الخارجية الاميركية، اذ رسم الى حد بعيد سياسة المسؤولين في وزارة الخارجية وسياسة الكونغرس"(٧٥). وفي الحقيقة، مع ادارة الرئيس ريغن، تخلت الولايات المتحدة عن موقفها من اعتبار لبنان "عرضا جانبيا"، وتبنّت موقفا اكثر نشاطا من المشكلة في لبنان(٧٦). لقد كانت ادارة الرئيس ريغن، بمعاونة الكرسي الرسولي والمملكة العربية السعودية، تحاول ان تجد حلا للمستنقع اللبناني مع كامل وعيها الطبيعة الطائفية للسياسة اللبنانية. ان الكاردينال كوك كان يتمتع باحترام كبير في كل من الولايات المتحدة والكرسي الرسولي(٧٧).

لقد كتب اول سفير للولايات المتحدة لدى الكرسي الرسولي وليم ولسون William A. Wilson في معرض اثباته التغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه لبنان ما يلي:

> اظن انه يمكن القول ان الفاتيكان والولايات المتحدة يعملان، كل بطرقه الخاصة، لاحلال السلام في لبنان وذلك يقوم على اخراج الجيش الاسرائيلي والجيش السوري وحتى منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان... ان الفاتيكان الذي يضع قسم عميق الاطلاع في قضايا الشرق الأوسط، يحاول ان يمارس نفوذه بطريقة روحية لاحلال الوفاق والتفاهم. انهم (مسؤولو الفاتيكان) على اتصال دائم بالكاردينال (خريش) والبطاركة والاساقفة من خلال السفير البابوي في لبنان المونسنيور لوتشيانو انجلوني(٧٨).

بعد أن عرضت لسياسة الكرسي الرسولي تجاه الحرب اللبنانية ولخياراته بالنسبة الى الحلول المتعددة التي يقترحها اللاعبون المحليون والاقليميون والدوليون، أتناول بالتحليل الآن تورّط البابوية المحدد في المشكلة، وسيكون هذا

بتقويم البعثات الأربع التي وجهها الكرسي الرسولي خلال الحرب (١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٨، ١٩٨٠) وتقويم ردّة فعل البابوية على الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، والرسائل الرعوية الثلاث التي اصدرها البابا يوحنا بولس الثاني في نوار / مايو ١٩٨٤. واخيراً يتناول التحليل موقف الكرسي الرسولي من اتفاق الطائف.

بعثة الكرسي الرسولي الاولى الى لبنان الكاردينال باولو برتولي (١٩٧٥)

لم يكن اختيار البابا بولس السادس الكاردينال برتولي رئيسا لبعثة تقصي الحقائق صدفة محضاً، اذ ان برتولي من المخضرمين في دبلوماسية الفاتيكان وله معرفة ممتازة بلبنان حصّلها خلال تولّيه السفارة البابوية في بيروت بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٠. كما توافرت له معرفة مباشرة بالسياسة اللبنانية، عندما وجه في مهمة الى لبنان خلال الحرب الاهلية سنة ١٩٥٨(٧٩). رافق برتولي في مهمته خبيران في شؤون الشرق الاوسط، هما المونسنيور فرنشيسكو مونتيريزي Francesco Monterisi والمونسنيور اغوستينو دي باجيو Agostino di Baggio وهما عضوا التجمع من اجل الكنائس الشرقية.

ان مهمة الكاردينال برتولي التي دامت من ٩ الى ١٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٥ مستوحاة من رسالة بعث بها البابا بولس السادس الى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية، وهو يحث فيها جميع الافرقاء في لبنان على "ان يلقوا اسلحتهم نهائيا ويحلوا خلافاتهم بتفاهم وحوار اخوي متبادلين"(٨٠). وقد كرر الحبر الاعظم موقف الكرسي الرسولي بأنه "في الوقت الذي يدعم فيه كل الجهود التي يقوم بها زعماء الافرقاء اصحاب العلاقة لاحقاق العدالة للشعب الفلسطيني فانه (الكرسي الرسولي) يعبّر عن تمنياته حماية لبنان سيادة واستقلالا من اي تدخل خارجي"(٨١).

لقد ظهرت في رسالة البابا نقطة مهمة وهي أن الكرسي الرسولي، بالرغم من اعترافه بشرعية الحقوق الفلسطينية، لم يقبل اي عبث بالسيادة اللبنانية. ان

لبنان، آخر معقل للمسيحية في الشرق، لا يجب ان ينحدر الى مستنقع ثوري. اضف الى هذا ان رسالة الاب الاقدس اندرجت في توجه السياسة نفسها التي اتبعتها قوى الغرب الاخرى كفرنسا والولايات المتحدة والتي حذرت من اي تدخل خارجي في الشؤون الداخلية اللبنانية.

لقد ركزت مهمة الكاردينال برتولي على اقامة حوار بين الاطراف المتنازعين بغية ايجاد صيغة لاحياء نمط التعايش المسيحي - الاسلامي في لبنان. وكان على الموفد البابوي مواجهة المزاعم والمزاعم المضادة لكل طرف من الاطراف. الا ان اللبنانيين كانت لديهم توقعات مختلفة من مهمة برتولي. لقد ظن الموارنة ان البابا بولس السادس سوف يدعم عبر موفده قتالهم للبقاء ضد التحالف الاسلامي اليساري. ان طريقة المعاملة بالتساوي التي قرر الكرسي الرسولي اعتمادها في لبنان لطخت علاقاته بالطائفة المارونية مما حدّ من هامش تحركه في رمال السياسة اللبنانية المتحركة.

لقد ظن المسلمون وحلفاؤهم اليساريون أن برتولي قد جاء "لنزع السلاح من المسيحيين" ولاقناعهم بالتخلي عن تهديدهم بتقسيم لبنان. وقد نسب رينيه شاموسّي René Chamussy ، وهو بحاثة يسوعي مركزه بيروت، تغير موقف بعض الاوساط المارونية الى قوة اقناع الموفد البابوي: "بينما يشير الوضع على الأرض بشكل متزايد الى تفتت البلد بدأ بعضهم (الموارنة) بالاصرار على ان التقسيم غير وارد"(٨٢). وقد صرّح الكاردينال برتولي ان "لبنان صغيرا او فكرة مثالية غير قابل للتحقيق. اذا لم تحقق اعادة تركيب لبنان فان المسيحيين سوف يقاسون الكثير"(٨٣). وقد عبّر تصريح برتولي بوضوح عن هدف الكرسي الرسولي المعلن بانقاذ لبنان ككيان ذي سيادة، وذلك للحفاظ على وجود آمن للمسيحيين. الا ان تحقيق هذا الهدف كان صعبا جدا نظرا الى الهوة العميقة التي فصلت بين نظرة كل الموارنة والكرسي الرسولي بالنسبة الى وضع لبنان، مستقبلا. اضف الى هذا ان الموقف الذي اتخذه الكرسي الرسولي يربط النزاع في لبنان بحل النزاع

الاسرائيلي ـ الفلسطيني قد تضارب مع اهداف الجبهة اللبنانية المعلنة بعزل المشكلة اللبنانية عن الحل الشامل للقضية الفلسطينية.

اجتمع الكاردينال برتولي اولا برئيس الجمهورية ثم بالرؤساء الروحيين ورؤساء الاحزاب اللبنانية. وقد سلّم كلا منهم نسخة عن الرسالة التي بعث بها البابا بولس السادس الى رئيس الجمهورية في ٥ تشرين الثاني / نوفمبر. ان القصد من الرسالة البابوية كان جعلها ورقة عمل قابلة للنقاش في مؤتمر قمة روحي في لبنان. من اهم الاجتماعات التي عقدها برتولي في لبنان، عدا اجتماعه بالبطريرك الماروني والزعماء السياسيين الموارنة، كانت تلك التي عقدها مع زعماء الطوائف الاسلامية (السنّة، الشيعة والدروز) ومقابلته الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات. وقد كرر مبعوث الكرسي الرسولي خلال هذه الاجتماعات استعداد البابا بولس السادس للمساهمة في تضييق الخلافات بين الفئات اللبنانية. الا ان المونسنيور برونييرا Bruniera ، وهو السفير البابوي الذي رافق الكاردينال برتولي في معظم اجتماعاته، كرر الاشارة الى انه يعود الى اللبنانيين انفسهم مسألة ايجاد حل ملائم لمشاكلهم(٨٤).

خلال اجتماع برتولي بالقادة المسلمين (في ١١ تشرين الثاني) شكا الزعيم الروحي للطائفة الشيعية من ان التعايش بين المسيحيين والمسلمين يهدده "اولئك الذين يدعون الى استعمال السلاح معطين بذلك المشكلة طابعا دينيا ومدعين ان المسيحية في لبنان مهددة"(٨٥). وقد ردّ برتولي ان صيغة التعايش اللبنانية هي "نموذج عالمي" وان حل المشكلة اللبنانية هو "في ايدي اللبنانيين"(٨٦). وقد سمع الوفد البابوي الشكوى نفسها من القادة الروحيين السنّة والدروز في لبنان. وقد قال المفتي، وهو الزعيم الروحي للطائفة السنيّة، لبرتولي ان هناك فئتين من اللبنانيين: "الاولى مؤلفة من مسيحيين ومسلمين يتوقون الى العدالة، والثانية تضم سياسيين موارنة يدعون الى التمييز الديني والطائفي"(٨٧).

وفي ضوء وضع الكرسي الرسولي كوسيط وموفق عادل في الحرب

اللبنانية، حاول الكاردينال برتولي الحصول من محدّثيه المسلمين على بعض الايضاحات المحددة بالنسبة الى موقفهم من الوجود الفلسطيني في لبنان. ان الجبهة اللبنانية كانت قد اتهمت المسلمين بالاختباء وراء منظمة التحرير الفلسطينية لترجيح كفتهم في السعي وراء مزيد من السلطة في الجسم السياسي اللبناني.

تم اللقاء بين عرفات والموفد البابوي في ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر في كنيسة الآباء الكبوشيين في بيروت الغربية. ومن المهم ان نذكر أن هذا الاجتماع كان اول اجتماع يعقد على مستوى عال بين ممثل للكرسي الرسولي ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية كما ان هذا اللقاء كان بمثابة اعتراف شبه رسمي من قبل الكرسي الرسولي بالحركة الفدائية الفلسطينية. وقد شدد عرفات على ان منظمته "تلتزم سيادة لبنان واستقلاله"(٨٨). وان الفلسطينيين قد تبنوا في صراعهم مع اسرائيل النموذج اللبناني للتعايش التعددي الطوائف(٨٩). اخيرا شكر الزعيم الفلسطيني البابا "على كل مواقفه التي اتخذها لصالح الشعب الفلسطيني"(٩٠).

بعد اسبوع في لبنان، عاد وفد الكرسي الرسولي الى الفاتيكان تاركا وراءه سلسلة من ردود الفعل المختلفة. وفي هذا السياق كتب الكاتبان الفرنسيان بيار ويس والبير برجي Pierre Weiss و Albert Bourgi ان مهمة برتولي قد فشلت بسبب "موقف اليمين اللبناني المتشدد"(٩١) ومع هذا فان نجاح مهمة الموفد البابوي قد انعكس في قرار الرئيس اللبناني سليمان فرنجية ورئيس حكومته رشيد كرامي البحث في بعض الاصلاحات الدستورية والتي يرى المسلمون اللبنانيون أنه كان يجب البحث فيها منذ زمن طويل.

في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٥ استقبل البابا بولس السادس الكاردينال برتولي. وبعد الاجتماع شرح المبعوث البابوي ان مهمته في لبنان كانت ذات بعدين: لبناني وعالمي. على المستوى اللبناني صرّح المبعوث البابوي انه شعر برغبة لدى اللبنانيين في وقف هدر الدماء والمحافظة على وحدة لبنان وهويته. وقد شدد برتولي ايضا على "نية الكرسي الرسولي الثابتة بمتابعة الجهود لما فيه مصلحة لبنان،

البلد الذي يشكّل مثالا للتعايش الانساني والروحي"(٩٢). اما على المستوى العالمي فقال الكاردينال ان المجتمع الدولي "لم يفهم بوضوح اهمية صيغة التعايش اللبنانية وانه من واجب الجميع ان يتأملوا معنى هذه الصيغة ويتخذوا خطوة واضحة لاعادة السلام الى لبنان"(٩٣). وقد تابع برتولي ليقول ان الرأي العام العالمي لم تتحصل له نظرة "موضوعية" الى الحرب اللبنانية. "ان هذا الوضع لا يمكن الا ان يضرّ بالقضية اللبنانية ويجعل من الصعب صياغة حل يكون للصالح الحقيقي للبلد ولمنفعة الشرق الاوسط كله"(٩٤).

لقدد اراد المبعوث البابوي ان يضع الحرب اللبنانية في موقع بعدها الحقيقي ويظهر ان الكرسي الرسولي كان عالما جدا بالطبيعة الحقيقية للنزاع في لبنان. بالفعل، منذ بداية الحرب صوّرت بعض وسائل الاعلام الغربية الحرب على انها معركة بين المسيحيين والمسلمين، بين المحظوظين والمحرومين. لقد عبّر الكرسي الرسولي عن وجهة نظره في افتتاحية نشرتها صيحفة *L'Osservatore della Domenica* **لوسيرفاتوري ديلا دومينيكا** قبل أيام من وصول برتولي الى لبنان. وفي هذه الافتتاحية كتب الناطق باسم الفاتيكان الراحل البروفسور فدريكو السّندريني Federico Alessandrini:

> الدين هو، فقط، ذريعة لهذه الحرب الاهلية. لقد صوّرت لنا الحرب على انها المرحلة الأخيرة من صراع طبقي بين يسار مسلم فقير شعبي ومحروم ويمين مسيحي صاحب امتيازات يعبّر عن مصالحه حزب الكتائب. ان هذه الملاحظات شديدة التبسيط والسهولة لتكون حقيقية، لانه ليس كل المسلمين في لبنان ينتمون الى الطبقات الشعبية والفقيرة والمقهورة اقتصاديا، ولا كل المسيحيين من القاهرين واصحاب الامتيازات (٩٥).

كتب دبلوماسي لبناني في معرض تقويمه لاثر مهمة برتولي ان جهود وساطة

المبعوث البابوي "كانت عمليا بدون أثر. ان المشكلة في لبنان تتطلب اكثر من مهمة مساع حميدة. انّ الكرسي الرسولي الذي يتمتّع بتأثير عالمي كبير كان بامكانه تغيير مجرى الاحداث في لبنان لو اراد ذلك" (٩٦). ان ما يغفله هذا التقويم هو أن الكاردينال برتولي لم يأت الى لبنان "لتغيير مجرى الأحداث". لقد اراد الكرسي الرسولي ان يجمع عبر مبعوثه معلومات مباشرة عن الوضع في لبنان، كما اراد ايضا أن يستعمل مساعيه الحميدة للتخفيف من التشدّد الذي اعتمدته بعض الفئات المسيحية ويرعى حوارا بينهم وبين المسلمين. كما ان الكرسي الرسولي اراد استعمال نفوذه لدى الفلسطينيين لمساعدة اللبنانيين على حلّ مشاكلهم من دون تدخل خارجي في شؤونهم. واخيرا دلّت مهمة برتولي على الاهمية الكبرى التي يحتلها لبنان في فكر البابا وعلى تضامن الكرسي الرسولي مع البطريرك الماروني (٩٧).

بعثة الكرسي الرسولي الثانية الى لبنان المونسنيور ماريو بريني Mario Brini (١٩٧٦)

طغت الاعتبارات الرعوية والانسانية على البعثة البابوية الثانية الى لبنان. وفي الواقع، منذ اندلاع الحرب ارسل الكرسي الرسولي عدة وفود مؤلفة من ممثلين عن منظمات الاغاثة الكاثوليكية مثل: جسد واحد Cor Unum، منظمة كاريتاس العالمية وخدمات الاغاثة الكاثوليكية، وذلك بغية تقويم المساعدات التي يحتاج اليها ضحايا الصراع.

تراس البعثة البابوية التي دامت عشرة ايام (١٦ ـ ٢٥ نيسان / ابريل ١٩٧٦) المونسنيور ماريو بريني Mario Brini امين سر التجمع من اجل الكنائس الشرقية. وكان سبق للمونسنيور بريني ان عاش في لبنان لمدة خمس سنوات (١٩٤٧ ـ ١٩٥٢). وقد ضم الوفد ايضا الاب الدومينيكي السويسري هنري دو ريدماتّن Henri de Riedmatten وهو امين عام وكالة الغوث Cor Unum التابعة للكرسي الرسولي، والمونسنيور فرنشيسكو مونتيريزي Francesco

من مجلس شؤون الكنيسة العامة الذي سبق له ان زار لبنان برفقة Monterisi الكاردينال برتولي، والأب ماركو بروجي Marco Brogi لقد جسّد اعضاء البعثة البابوية الثانية الطبيعة الدينية والانسانية للمهمة. وصل المونسنيور بريني الى بيروت عشية عيد الفصح. واذا اخذنا في نظر الاعتبار اهمية العيد عند المسيحيين فمن السهل ان نرى ان البابا اراد أن يعبّر من خلال توقيت وصول الوفد عن تضامنه مع اللبنانيين المعذّبين. ثانيا، في مقابلة اجرته صحيفة *L'Orient - Le Jour* مع الأب دو ريدماتّن صرّح ان "اختيار امين سرّ التجمع من اجل الكنائس الشرقية ليرئس البعثة كاف للدلالة على الحافز الكنسي للمهمة" (٩٨). اخيرا، كان حضور السفير اللبناني لدى الفاتيكان بطرس ديب الى لبنان ليكون في استقبال الوفد الذي يرئسه بريني يؤكد أهمية المبادرة البابوية (٩٩).

قابل وفد الكرسي الرسولي كبار الزعماء السياسيين اللبنانيين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات. وكما في البعثة البابوية السابقة شدّد التقرير، بعد كل لقاء، على معا[illegible]ـة الكرسي الرسولي للتقسيم، وعلى اهمية صيغة التعايش الاسلامي والمسيحي في لبنان. وفي ما يتعلق بنتائج المهمة، صرّح المونسنيور بريني انه وجد كل الاطراف في لبنان متحمسة لايجاد حلّ لمحنتهم وانهم "يأملون في ان يؤدي عمل الكرسي الرسولي الى ذلك الهدف تمشيا مع طبيعته ووسائله" (١٠٠). لقد اراد بريني بكلماته هذه ان يدفع عن الكرسي الرسولي أي اتهام بأن اهتمامه بلبنان لم يترجم الى أي تبدل ايجابي في مسار الحرب اللبنانية. في الواقع، ان من اهم الانتقادات التي وجهتها بعض الاوساط اللبنانية الى الفاتيكان هي ان الكرسي الرسولي لم يحرّك كل طاقاته لانقاذ لبنان من اعدائه الداخليين والخارجيين.

وبعد يومين من عودة بريني الى الفاتيكان نشرت صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** مقابلة معه جاء فيها قوله "اللبنانيون فقط يمكنهم اعادة التعايش في اطار الصيغة الاصلية التي استوحت العرف، شرط ان تعدّل لتلائم متطلبات

الظروف الحاضرة" (١٠١). وقد أشار هذا التصريح الى أن الكرسي الرسولي قد اعترف بمطالبة المسلمين بالاصلاحات الدستورية في الدولة اللبنانية، كما اعاد تأكيد النهج الثابت في الدبلوماسية البابوية التي تجلت في اختيار اعضاء الوفد البابوي الثاني والرسالة التي سلمت الى كل الاطراف المعنيين. اضف الى هذا ان زيارة المونسنيور بريني تزامنت مع الاستعدادات للانتخابات الرئاسية في لبنان. واذا اخذنا في نظر الاعتبار اهمية الرئيس في السياسة اللبنانية فمن البديهي ان يستعلم الكرسي الرسولي عن المرشحين وعن سياساتهم.

ان الابعاد العالمية للمبادرة البابوية الثانية دل عليها اجتماع المونسنيور بريني بالوسيط الاميركي دين براون Dean Brown واقع الحال انه كان هناك ايضا وسيط فرنسي في لبنان اضافة الى الوفدين الاميركي والبابوي. وقد سبق لمثل هذا الأمر ان حدث، وذلك عندما وصل مبعوث فرنسي الى بيروت في مهمة تقصي الحقائق، مباشرة بعد مغادرة الكاردينال برتولي لبنان في تشرين الثاني ١٩٧٥.

استقبل البابا بولس السادس الوفد برئاسة بريني في ٣ ايار/مايو ١٩٧٦. وبعد اللقاء رسم البابا صورة قاتمة للدمار الذي احدثته الحرب. "هناك اكثر من ٣٠٠ الف لاجئ من دون منازل، نتيجة الدمار والسرقة او المجازر". وقد اطلق البابا نداء الى "الكنيسة العالمية وكل العالم لتأمين المساعدة الضرورية التي يحتاج اليها ضحايا النزاع" (١٠٢).

بعثة الكرسي الرسولي الثالثة الى لبنان: الكاردينال باولو برتولي (١٩٧٨)

ان انتخاب البابا يوحنا بولس (١٦ تشرين الأول ١٩٧٨) قد بعث الآمال بين اللبنانيين. ان البابا الجديد سيكون، بسبب أصله البولوني، اكثر تفهما لمحنة بلادهم. في الواقع كرّر البابا تأكيد هدفه بالعمل من دون كلل لـ "قضية السلام"، وذلك في خطاب مهمّ القي أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ٢ تشرين

الأول ١٩٧٩. وللدلالة عن التزامه السلام، استغل الحبر الأعظم خطابه امام الامم المتحدة ليخصّ بالذكر المشكلة في الشرق الأوسط لقد أعلن البابا يوحنا بولس الثاني ان حلّ الحرب اللبنانية المستمرة مرتبط بتسوية عادلة للمسألة الفلسطينية"(١٠٣). كما عبّر عن رغبته في المحافظة على صيغة التعايش في لبنان "مع التعديلات التي يتطلبها تطور الوضع"(١٠٤). لقد كانت دعوة البابا يوحنا بولس الثاني الى تعديل ميثاق ١٩٤٣ من الأمور الثابتة لدى الكرسي الرسولي. وفي الحقيقة ان موفد البابا بولس السادس الى لبنان المونسنيور ماريو بريني قد شدّد على هذه النقطة بعد زيارته لبنان عام ١٩٧٦.

رأس الوفد البابوي الثالث الى لبنان الكاردينال باولو برتولي، وكانت هذه هي المرة الثانية التي يوفد فيها دبلوماسي فاتيكاني مخضرم الى لبنان وبرهان اخر على انسجام الدبلوماسية البابوية واستمراريتها. لقد ضمّ الوفد اضافة الى الكاردينال برتولي المونسنيور فرنشيسكو مونتيريزي والأب ماركو بروجي، عضو مجمع الكنائس الشرقية.

وعلى ضوء المبادرة البابوية الثالثة من المهم أن نرى كيف أن تطور الحرب اللبنانية كان له أثره على طبيعة هذه البعثات. لقد اتى الوفد الأول الى لبنان في مهمة تقصّي الحقائق، اي رحلة استطلاعية. وقد وصل الى بيروت بعد سبعة أشهر من بدء القتال. اما البعثة الثانية فكانت في غالبها رعوية وانسانية، وقد أتت لتكمل العمل الذي بدأه الكاردينال برتولي لشهور خلت. لقد وصف بيان صادر عن أمانة سر البطريركية المارونية زيارة برتولي الثانية بأنها "مهمة استطلاعية ومحاولة لتقريب وجهات النظر حول تحقيق التفاهم الوطني"(١٠٥). والواقع أن برتولي جاء الى لبنان في مهمة توفيقية وكان يبغي تحقيق ثلاثة أهداف:

١ - أن يوحّد الطائفة المارونية ويوفّق بين اطرافها، ٢ - أن يجد قاسما مشتركا بين الاطراف في لبنان لاحياء صيغة التعايش بين المسلمين والمسيحيين، ٣ - أن يوجد موقفا لبنانيا موحدا من امكانية توطين الفلسطينيين في لبنان (١٠٦).

ان قرار الكرسي الرسولي ارسال موفد الى لبنان قد إتخذ بالتنسيق مع الدول الكبرى وبموافقتها. فقبل أسبوعين من إيفاد الكاردينال برتولي، بعث الكرسي الرسولي برسائل الى كل من الرئيس كارتر والرئيس فاليري جيسكار ديستان ورئيس الوزراء البريطاني جيمس كالاهان ومستشار المانيا الغربية هلموت شميدت ونظرا الى المكانة التي تتمتع بها البابوية فقد وافق الجميع على مبادرة الكرسي الرسولي (١٠٧).

قابل الكاردينال برتولي، خلال اقامته في لبنان (٦ ـ ١٩ كانون الأول ١٩٧٨)، رئيس الجمهورية وكبار المسؤولين الحكوميين. ثم كانت له مشاورات مع رؤساء الطوائف المسيحية والاسلامية. واخيرا كان للمبعوث البابوي سلسلة اجتماعات مع عدد من زعماء الاحزاب. كان هدف هذه اللقاءات جميعا هو الاستفسار عن امكانية عقد قمّة روحية والتوفيق داخل الطائفة المارونية بخطوة نحو الوفاق الوطني.

لقد وقع خلال زيارة برتولي حادث مهم يدل على الطبيعة الحساسة للمهمة البابوية. ففي محادثاته مع أعضاء من التجمع الاسلامي رفض زعيمان يساريان في بيروت الغربية هما عاصم قانصوه رئيس منظمة حزب البعث العربي السوري في لبنان وابراهيم قليلات زعيم المرابطون الاجتماع بالكاردينال برتولي. لقد اصرّ الزعيمان على أنه كان على برتولي أن يزور مقر قيادة الأحزاب اليسارية كونه قد زار سابقا مقر قيادة حزب الكتائب وحلفائه (١٠٨). كما أن عاصم قانصوه قد اتهم برتولي بتأييد التفسيرات التي قدّمتها الجبهة اللبنانية (١٠٩). من المهم أن نذكر في هذا الاطار ان العلاقات بين سوريا والجبهة اللبنانية قد وصلت سنة ١٩٧٨ الى أدنى حد لها منذ بدء النزاع. ان القرار الذي اتخذه رئيس منظمة حزب البعث في لبنان يمكن تفسيره على انه اشارة الى عدم رضى دمشق عن المبادرة البابوية.

في تصريحه الأخير قبل مغادرته بيروت شكر الكاردينال برتولي مضيفيه فقال:

لقد عبر كل اللبنانيين عن تعلّقهم بمبادئ وحدة لبنان واستقلاله ونظرا لهذا التوافق فانه من الضروري على ضوء الحوار حول مستقبل لبنان ان يتم العمل على اعادة الوحدة داخل الطوائف، وعلى تفاهم هذه الطوائف في ما بينها. ان لبنان يحتاج للوصول الى هذا الحوار الى المساعدة لتحرير نفسه من الضغوط والى فرض نزع شامل للسلاح باشراف رئيس الدولة وحكومته (١١٠).

لم يكن تصريح برتولي بعيدا عن السياسة الرسمية التي اتبعها الكرسي الرسولي خلال الحرب اللبنانية. فخلال البعثتين البابويتين الأولى والثانية حرص موفدو الفاتيكان على التشديد على أن كل اللبنانيين كانوا على اتفاق في ما يتعلق بمصير بلدهم. الا أن ما ميّز تصريح برتولي عن تصاريح غيره هو ان الكرسي الرسولي كان قد سلّم بوجود "ضغوط" خارجية يحتاج اللبنانيون الى مساعدة لتخطّيها.

ان تصريح برتولي قد أرضى أعضاء الجبهة اللبنانية الذين شدّدوا منذ بداية القتال على أهمية ايجاد حل دولي للحرب اللبنانية. والواقع أن الكاردينال برتولي قد عرف الحقيقة، وهي أن النزاع في لبنان له أيضا، بعد خارجي أصبح عقبة أمام الوفاق. اضف الى هذا أنه اذا كان الوفاق اكثر سهولة في العام ١٩٧٥ فانه في سنة ١٩٧٨ كان هناك حاجة الى سلام داخل الطائفة ذاتها، وبين الطوائف، وذلك لتنشيط الحوار بين الزعماء اللبنانيين حول ورقة عمل مشتركة.

واخيرا كان هناك فرق مهم آخر بين زيارة برتولي الأولى وزيارته الثانية، اذ لم يلتقي الموفد البابوي ياسر عرفات او اي ممثل فلسطيني آخر. وقد اعتبر هذا الأمر تنازلا للجبهة اللبنانية التي اتهمت منظمة التحرير الفلسطينية بكونها سببا رئيسا للمحنة اللبنانية.

لقد كتبت صحيفة "لوريان - لوجور" *L'Orient - Le Jour* اللبنانية في معرض تقويمها البعثة البابوية الثالثة:

> في المدى القصير، لا تبدو مهمّة الوفاق هذه كأنها وصلت الى نتائج محددة: ان الوفد البابوي لم يستطع، كما كان يتمنى ربما، أن يجتمع بممثّلين عن كل الأطراف في لبنان. كما انه [برتولي] لم يستطع الحصول على اجماع تام لا بين صفوف المسيحيين ولا عند معسكري المسلمين واليسار (١١١).

ان انطباع الكاردينال برتولي الخاص عن مهمته كان أقل تشاؤما. في الواقع لقد صرّح الوفد البابوي انه "نجح في الحصول على معلومات مهمة" من محدّثيه وفي "شرح موقف الكرسي الرسولي بصفاء" (١١٢).

لقد اراد الكاردينال برتولي كدبلوماسي وخاصة كرجل كنيسة وممثل للحبر الأعظم ان يعلم المجموعة الكاثوليكية في لبنان ان الوقت قد حان لوضع حدٍّ للقتال الداخلي ولبدء مفاوضات حول حوار مسيحي - اسلامي. الا ان الحقيقة تبقى أن تشعبات المعضلة اللبنانية والخلافات التي تعمقت الى درجة كبيرة بين الزعماء اللبنانيين منذ ١٩٧٥ قد جعلت من كل محاولة للوفاق عملا مستحيلا. كما أن العوامل الاقليمية قد اصبحت اكثر وضوحا وارتباطا باي حل للحرب اللبنانية. لقد لاقت فكرة توطين بعض الفلسطينيين الذين يقيمون في لبنان بدلا من الضفة الغربية بعض الدعم في بعض الاوساط الاميركية والاسرائيلية (١١٣). لقد شلّ هذا الاحتمال وحده اللبنانيين، بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية ولم يستطع الكرسي الرسولي بمفرده ان يهدئ من مخاوفهم، من دون تقديم ضمانات رئيسة من القوى الاقليمية والدولية.

بعثة الكرسي الرسولي الرابعة الى لبنان الكاردينال اغوستينو كازارولي Agostino Casaroli (١٩٨٠)

يمكن اعتبار مهمة أمين سر دولة الفاتيكان التي تمت بين ٢٩ اذار و٢ نيسان رمزا لقمة الاهتمام البابوي بلبنان. لقد كانت الزيارة رعوية في طبيعتها، واستعمل الكاردينال كازارولي مساعيه الحميدة لتضييق الشرخ داخل الطائفة المارونية. في الحقيقة، كان الصراع بين القوات اللبنانية التابعة لبشير الجميل وقوات المردة في شمال لبنان قد وصل الى حدّ سفك الدماء، مما ضاعف الاحقاد بين الطرفين. الا ان راس دبلوماسيي الكرسي الرسولي لم ينجح في مسعاه لمصالحة الموارنة واللبنانيين عموما.

لقد طلب الكاردينال كازارولي، اثر زيارة قام بها الى الشمال، من الرئيس سليمان فرنجية أن يسمح بتبادل الأسرى بين قواته وقوات الكتائب، وأن يعيد فتح الطريق التي تصل بيروت بطرابلس، وأن يسهل نشر الجيش اللبناني في لبنان الشمالي. لكنّ فرنجية، بعد اجتماعه بمبعوث البابا يوحنا بولس الثاني، بدا وكأنه وافق على طلبات الكاردينال كازارولي. الا أنه بعد ثمانية ايام (٨ نيسان ١٩٨٠) وفي مؤتمر صحافي، صرّح الزعيم الشمالي انه "قد خاب ظنه لأن الرجل الثاني في الفاتيكان قد قام بمثل هذه الرحلة الطويلة الى لبنان ليثير مثل هذه القضايا العقيمة التي لا تشكّل لبّ المشكلة اللبنانية"(١١٤). ان موقع فرنجية نابع من معارضته التامة سياسة الجبهة اللبنانية من التعامل مع الاسرائيليين. كما، ان الأب جان اوكانيه قد علّق في مقابلة اجريت معه على المفاجاة التي اثارتها زيارة كازارولي لدى الطائفة المارونية. الواقع ان لقاء أمين سر دولة الفاتيكان الرئيس فرنجية حدث في الوقت الذي كان مطران طرابلس المونسنيور انطوان جبير قد طرد حديثا من كرسيّه تحت ضغط ميليشيا فرنجية، المردة (١١٥).

اذا كان لقاء الكاردينال كازارولي في لبنان الشمالي غير مشجع فان لقاء المبعوث البابوي مع زعيمي الجبهة اللبنانية كميل شمعون وبيار الجميّل قد أظهر

الخلافات بينهما وبين الكرسي الرسولي. فخلال محادثاته مع الزعيمين المارونيين سلّم كازارولي مذكرة تدعو الكرسي الرسولي الى "أن يضطلع بدور أكبر على الصعيد الدولي وعلى صعيد الأمم المتحدة كي ينقذ لبنان" (١١٦). وتطلب وثيقة الجبهة اللبنانية، ايضا، من البابوية أن تستعمل نفوذها لاقناع الحكومة اللبنانية بأن تفصل المشكلة اللبنانية عن النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وقد شددت المذكرة أيضا على ان "الوجود السوري والفلسطيني المسلّح لم يكن مساعدا على تحقيق الوفاق وتثبيت الأمن"(١١٧).

لم يكن تفكير الجبهة اللبنانية منسجما مع الرسالة التي حاول الكرسي الرسولي اعلانها طيلة الحرب اللبنانية. ففي خطاب مهم في القصر الجمهوري القي خلال مأدبة غداء أقيمت في ٣١ أذار ١٩٨٠ وجمعت قادة لبنان الروحيين قال الكاردينال كازارولي ان الكرسي الرسولي "كان وسيبقى متحفظا في أحكامه، متعقلا في اقتراحاته أو نصحه" (١١٨). ونظرا "الى حدود امكاناته وانسجاما مع طبيعته كقوة روحية ودينية فان الكرسي الرسولي مستعدا لأن يقدّم مساعدته للدفاع عن سيادة لبنان وهويته الخاصة" (١١٩). لقد شدّد أمين سر دولة الفاتيكان على ان اهتمام الكرسي الرسولي ليس محصورا بلبنان، ولا يمنع الفاتيكان من أن "يفتح قلبه لمشاكل الشعوب الأخرى في هذه المنطقة المضطربة" والتي يريد الكرسي الرسولي "أن يقدّم لها مساعدته المتواضعة النابعة من دليل ايجابي على حسن النية"(١٢٠).

لقد ظهرت في هذا الخطاب نقطتان مهمتان:

اولا، شدّد امين سر دولة الفاتيكان مرة أخرى على الطبيعة الروحية للكرسي الرسولي وعليه فان الامال غير الواقعية التي يعلّقها الأطراف اللبنانيون على أن البابوية وحدها قادرة على ان تحل مشاكل بلدهم بفعالية يجب أن توضع في اطارها الصحيح. وفي الحقيقة، عندما عاد الكاردينال كازارولي الى الفاتيكان قال "ان حجم الأمل كان أحيانا يقلقني، كما لو ان كل شيء قد توقّف على تحرُك

الكرسي الرسولي والأب الأقدس (١٢١).

ثانيا، وجوابا على مذكرة الجبهة اللبنانية، اشار الكاردينال كازارولي الى:

١- ان الكرسي الرسولي كان "متحفظا في احكامه". اي انه نظرا الى أولوية طبيعة مبادئه بالانفتاح والتفاهم فان الكرسي الرسولي يؤمن بأنه لا يستطيع أن يجافي بعض المجموعات والشعوب في الشرق الأوسط؛

٢- ان الكرسي الرسولي يرى رابطا اكيدا بين الحرب اللبنانية والمشكلة بين العرب والاسرائيليين وهكذا فان حل المسألة الفلسطينية بالنسبة الى الكرسي الرسولي ذات أهمية أساسية لاحلال السلام في لبنان.

ان الصعوبات التي واجهها كل من الكاردينال كازارولي ومن قبله الكاردينال برتولي في محاولاتهما للتوفيق بين قوى الطائفة المارونية كانت متعددة الجوانب. لقد خسر القادة الروحيون جزءا كبيرا من تأثيرهم داخل طوائفهم. ان البطريرك الماروني، رمز وحدة طائفته، كان هو نفسه غير قادر على ضبط العداوات التي نمت بفعل أسباب شخصية وسياسية بين الرئيس فرنجية والجبهة اللبنانية. لقد أصبح الوضع بالنسبة الى الكرسي الرسولي، مصدر قلق كبير، اذ كيف يستطيع الفاتيكان أن يدعو الى حوار مع المسلمين في حين يتآكل المسيحيون بعضهم بعضا، ويلجأون الى العنف لحلّ خلافاتهم؟ من ناحية ثانية، ان انبعاث الأصولية والاسلامية في المنطقة وتنامي قوة الطائفة الاسلامية في لبنان لم يهدئ من المخاوف المزمنة، لكن المبرّرة لدى الأقلية المسيحية. اخيرا، على الصعيد المسيحي الداخلي كان الموارنة وما يزالون الأكثر تشدّدا في وطنيتهم. ان طوائف الروم الكاثوليك والأرمن والروم الارثوذكس وطوائف مسيحية أخرى لم يكن لها المصلحة نفسها التي للموارنة في الحفاظ على السلطة في لبنان.

مجمل القول ان ما جاء كازارولي من أجله في لبنان قد تحقق فبطريقة ما،

حذَّر اللبنانيين بشكل غير مباشر وبدبلوماسية من عدم عقد أمل كبير على أعمال الكرسي الرسولي. ان البابا كان راغبا في تقديم عونه كمسهِّل للأمور، لكن اذا لم يستطع الأطراف انفسهم أن يجدوا أرضية للاتفاق فلن يكون في وسع الكرسي الرسولي أن يفرض عليهم حلا.

الكرسي الرسولي والغزو الاسرائيلي للبنان

في أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان، في صيف ١٩٨٢، اصدرت عن الكرسي الرسولي عدة تصريحات تدعو المجتمع الدولي الى أن يبذل كل ما في وسعه لايقاف هدر الدماء. وبالواقع فقد ارسل البابا الام تيريزا الى لبنان في مهمة انسانية غايتها تقديم المساعدات التي يحتاج اليها الضحايا المدنيون. كما أن البابا يوحنا بولس الثاني ابلغ في اليوم التالي للغزو (٧ حزيران ١٩٨٢) الى الرئيس رونالد ريغن، الذي كان يقوم بزيارة رسمية الى الفاتيكان، ان المشكلة في لبنان "تستحق اهتمام العالم لأن أخطار زيادة التوتر في الشرق الاوسط التي تنطوي عليها من شأنها ان تؤدي الى مضاعفات كبيرة على السلام العالمي" (١٢٢).

لم يخفِّف الغزو الاسرائيلي التوتُّر بين الكرسي الرسولي والطائفة المارونية في لبنان. ان انتخاب بشير الجميِّل رئيسا للجمهورية ولقاء البابا يوحنا بولس الثاني ياسر عرفات شكّلا، تحدّيا لمهارة الكرسي الرسولي الدبلوماسية. انتخب بشير الجميل، قائد القوات اللبنانية، المتمتّع بتأييد اكثرية مسيحية، رئيسا على لبنان. وقبيل انتخابه، كتب بشير الجميل في صحيفة **العمل**، وهي لسان حزب الكتائب اللبنانية، "لا يجب ان يفهم الفاتيكان أن المسيحيين في لبنان ليسوا حقل تجارب للحوار المسيحي ـ الاسلامي في العالم. ان مهمة لبنان كجسر (بين الغرب والعالم العربي) قد انتهت" (١٢٣). في هذه الكلمات القليلة لخّص الزعيم الماروني سبب الخلافات بين الكرسي الرسولي والجبهة اللبنانية منذ بدات الحرب سنة ١٩٧٥. ان المسيحيين في لبنان لم يكن لهم سوى خيار اللجوء الى السلاح والدفاع عن انفسهم كي يحافظوا على وجودهم في محيط اسلامي. ان الحوار مع المسلمين

مستحيل، الاّ اذا كان من موقع قوّة.

الاّ أن بشير الجميل، في خطابه الاخير كرئيس منتخب، خفف من حدّة تصريحاته السابقة حول العلاقات مع الكرسي الرسولي، قائلا ان الطائفة المارونية لا تزال تحتفظ "باحترام وتعلّق عميق بالكرسي الرسولي"، كما عبّر ايضا عن الأمل في أن تتمكن طائفته من "الاعتماد دائما على الدعم الابوي الذي بذله في سبيلها الفاتيكان" (١٢٤).

لخّص موقف الكرسي الرسولي من الرئيس اللبناني المنتخب حديثا حدثان مهما وقعا قبل انتخاب بشير الجميّل وبعده. ففي رسالة سريّة الى وزارة الخارجية اللبنانية ركّز دبلوماسي لبناني في روما على السرعة التي قامت بها سلطات الفاتيكان بنقل المبعوث البابوي في بيروت المونسنيور كارلو فورنو Carlo Furno واستبداله بالمونسنيور لوتشانو انجيلوني Luciano Angeloni به. ان رغبة الكرسي الرسولي في التصرف بسرعة بدت اكثر وضوحا مع تزايد حظ بشير الجميّل في الفوز في الانتخابات. ومع اهتمام الكرسي الرسولي بمسألة انتخاب بشير الجميل، شعر أن المونسنيور كارلو فورنو قد أصبح "عبئا" سياسيا. ان التفسير الذي أعطته امانة سر الفاتيكان كان ان تعيين سفير بابوي جديد في بيروت هو أمرا اداري بحت.الاّ ان كاتب التقرير الدبلوماسي اعطى تفسيره الخاص لهذا التعيين فكتب

> ان الفرضية المعقولة الوحيدة هي أن امانة سرّ دولة الفاتيكان ارادت من رغبتها في تعيين سفير بابوي جديد ان تظهر تبدّلا في الاسلوب، وتنهي بعض سوء التفاهم البسيط الذي حصل في الماضي (١٢٥).

لقد اضطر السفراء البابويون في لبنان على امتداد الحرب اللبنانية ان يقوموا بدوراً فاعلا في السياسة الداخلية، فأدّى هذا التدخل بطريقة حتمية الى خلافات بين الممثلين البابويين وبعض الاطراف اللبنانيين. لقد صرّح مسؤول

فاتيكاني ان البعثة البابوية في لبنان هي "اكثر البعثات أخذا بالسياسة في العالم"، وقد عني بذلك أنه كان على دبلوماسيي الفاتيكان ان يتخطّوا مهماتهم الروحية البحتة الى مزيد من التدخّل في الشؤون السياسية التي تؤثر على الطوائف الكاثوليكية المحليّة.

أما الحدث الثاني فحصل بعد انتخاب بشير الجميّل رئيسا اذ أرسل البابا يوحنا بولس الثاني برقية تهنئة شخصية الى الرئيس اللبناني الجديد. الاّ أن امانة سر الفاتيكان امتنعت عن نشر نص البرقية في صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** الناطقة باسم الفاتيكان. وقد خمّن الدبلوماسي اللبناني في التقرير السري نفسه الذي اشرنا اليه سابقا ان الكرسي الرسولي كان ينتظر رؤساء الدول العربية لتوجّه تهانيها لبشير الجميّل. كما ذكر التقرير نفسه أن الموقف الصامت الذي اتخذه الكرسي الرسولي قد نبع من رغبته في عدم اظهار الحماسة لرئيس لبنان الجديد. لقد اراد الكرسي الرسولي، امانة منه لدوره كوسيط وموفّق، ان يحافظ على جسوره الممدودة مع الطوائف الاسلامية في لبنان (١٢٦).

في ١٥ ايلول ١٩٨٢، استقبل البابا يوحنا بولس الثاني ياسر عرفات. وقد سبب هذا اللقاء الذي اتى بعد يوم واحد من اغتيال بشير الجميّل مزيدا من التدهور في علاقات الكرسي الرسولي مع عدة شخصيات في الطائفة المارونية. وقد قال الشيخ نجيب الدحداح ان لقاء عرفات بالبابا "كان مؤامرة ضد البابا يوحنا بولس الثاني دبّرها مؤيدون للفلسطينيين في هيئة الكنيسة الرومانية". وقد ذهب الدبلوماسي نفسه الى التأكيد أن اتباع عرفات "قد قتلوا بشير الجميّل"(١٢٧).

ردّ مسؤول فاتيكاني على هذه الاتهامات القاسية بالقول:

> لا يتحمّل البابا مسؤوليات الزعماء اللبنانيين الذين قبلوا بالوجود الفلسطيني في لبنان وسمحوا للفدائيين بحمل السلاح... لماذا ينتقدون البابا الذي يمثل المسيح على الأرض وعليه واجب الترحيب بالجميع (١٢٨)

بعد يوم من الاجتماع بين البابا يوحنا بولس الثاني وعرفات قام افراد من الميليشيات المسيحية التي تدعمها اسرائيل بمذبحة ضد المدنيين الفلسطينيين في مخيّمي صبرا وشاتيلا (١٦ ـ ١٨ ايلول ١٩٨٢). وقد كان من بين الميليشيات عناصر سكان الدامور البلدة الساحلية المسيحية التي سبق أن شهدت مذبحة نظمها الفلسطينيين والعناصر الاخرى المشتركة في الحرب اللبنانية. لقد تجلّت ردة فعل البابا يوحنا بولس الثاني بقوله "ليس هناك كلمات كافية لادانة مثل هذه الجرائم التي ينفر منها الضمير الانساني والمسيحي" (١٢٩).

ان هذه الحادثة في الحرب اللبنانية هي التجسيد الدرامي الاكبر لدرجة حقد بعض الاوساط المسيحية على الفلسطينيين. ان منظمة التحرير الفلسطينية في محاولتها خلق دولة ضمن دولة في لبنان قد ابعدت عنها قطاعات واسعة من اللبنانيين. لقد نبّه حمّام الدم في المخيميين الفلسطينيين البابوية الى انه يجب ان يعمل شيء اكثر راديكالية لتطوير نوع من التفاهم بين اللبنانيين انفسهم، وبينهم وبين الفلسطينيين. الاّ ان موقفا اكثر راديكالية يمكن أن يؤدي بالكرسي الرسولي الى الوقوف الى جانب احد الاطراف في الحرب بين اللبنانيين والفلسطينيين، الامر الذي اعتبر دائما ضد مصالح الكنيسة الكاثوليكية البعيدة الأمد.

رسائل البابا يوحنا بولس الثاني الثلاثة حول لبنان (١٩٤٨)

لقد اعاد الغزو الاسرائيلي للبنان خلط الاوراق على الساحة اللبنانية. والواقع ان عدة حوادث ماساوية حصلت بين ١٩٨٢ و١٩٨٤ استحوذت على اهتمام الكرسي الرسولي. ان تزايد التجزئة والانقسامات داخل المجموعة المسيحية في لبنان التي عانت المذابح والتهجير من المناطق التي يسيطر عليها الدروز في جبال الشوف (١٩٨٣) هي ذات اهمية أساسية بالنسبة الى دراستنا هذه. اضف الى هذا أن الانقسام بين بعض زعماء الطائفة المارونية والكرسي الرسولي قد تعمّق ليشمل السفير البابوي المونسنيور لوتشيانو انجيلوني.

لقد أصبح المونسنيور انجيلوني بين ١٩٨٣ و ١٩٨٤ هدفا لنقد لاذع من قبل

زعماء الموارنة الاكثر تطرفا، وكان تفسير السفير البابوي ان الزعامة المسيحية قد شعرت بالغبن الشديد لترك اسرائيل والولايات المتحدة واوروبا لها. والواقع انه بعد مجازر صبرا وشاتيلا وصلت الى لبنان قوة متعدّدة الجنسيات لحفظ السلام مؤلفة من مشاة البحرية الاميركية، وقوات فرنسية وايطالية وبريطانية. وفي اوائل سنة ١٩٨٤، بعد سلسلة من الهجمات على الجنود الاميركيين والفرنسيين، انسحبت القوة المتعدّدة الجنسيات من لبنان. وفي دفاع عن موقفه صرّح المونسنيور لوتشيانو انجيلوني ان "الكرسي الرسولي لا يستطيع أن يتبنّى او يتّخذ مواقف سياسية بل يمكنه فقط تقديم الاقتراحات والطروحات" (١٣٠).

ان التقارير الدبلوماسية المرسلة الى الفاتيكان من السفارة البابوية في لبنان ضمّت دائما، كما ورد في مقالة نشرتها مجلة اسبوعية لبنانية يعتمد عليها، اتّهامات للجبهة اللبنانية والرئيس الراحل بشير الجميّل، وحزبي الكتائب والوطنيين الاحرار، ورئيس المؤتمر الدائم للرهبانيات المارونية اللبنانية الأباتي بولس نعمان(١٣١). لقد تمحور الصراع بين الكرسي الرسولي والموارنة حول نظرة الفاتيكان الى لبنان على انه جزء صغير من سياسة الكنيسة العالمية ونظرة الزعامة المارونية التي كانت الحرب اللبنانية بالنسبة اليها مسألة بقاء، على أن لبنان هو تأكيدا، موقع ابرشي، لكنه بالنسبة الى الموارنة هو الموقع الحقيقي الوحيد.

ان الحادث المتعلق بالأباتي بولس نعمان يشكّل مقالا على الفجوة بين نظرة الفاتيكان ونظرة الموارنة الى الوضع. قام الأباتي بولس نعمان، وهو شخصية مهمة في الطائفة المارونية ومؤيد قوي للسياسة الاسرائيلية في جنوب لبنان، بتأييد اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ المعقود بين الحكومتين اللبنانية والاسرائيلية. وفي تشرين الثاني ١٩٨٣ أمر المونسنيور انجيلوني الأباتي نعمان بالتوقف عن حضور اجتماعات الجبهة اللبنانية وأعلمه أن البطريرك الماروني هو الناطق الوحيد باسم الطائفة المارونية. ان البطريرك، الذي كان يومئذ في الفاتيكان، قد عبّر عن اعتقاده بأن السياسة التي اتّبعتها القوات اللبنانية هي التي أدّت الى المذابح بحق المسيحيين

والى تهجيرهم من الشوف. وكان موقف البطريرك متوافقا تماما مع موقف السفير البابوي. والأهم من هذا أن موقف الأباتي نعمان كان متعارضا تماما مع سياسة الرئيس أمين الجميّل المؤيدة للوفاق والتقارب مع سوريا. والواقع انه منذ تسلّم الرئيس أمين الجميّل السلطة سنة ١٩٨٢ قام بثلاث زيارات للفاتيكان قابل خلالها البابا يوحنا بولس الثاني طالبا منه دعم اعماله في لبنان (١٣٢).

ان سوء التفاهم بين الكرسي الرسولي والأباتي نعمان دفع بالبابا الى اتخاذ مبادرتين مهمتين: الأولى ارساله في اوائل اذار ١٩٨٤ وفدا برئاسة المونسنيور ماريو بريني، الذي قدم - وكان سبق له ان زار لبنان سنة ١٩٧٦ - ليؤكد موقف الكرسي الرسولي المؤيد لسيادة لبنان ووحدة اراضيه واهتمام البابوية بالمسيحيين في لبنان والشرق الأوسط. أما المبادرة البابوية الثانية فكانت استدعاء الاباتي نعمان الى الفاتيكان. خلال زيارة الاباتي نعمان الاولى الى الفاتيكان في كانون الاول ١٩٨٣ ابلغ اليه وجوب التقيد بدعوة الفاتيكان الى الاعتدال، وهذا ما تجاهله نعمان مؤكدا صوابية مواقفه السياسية والدينية. وفي المرة الثانية (نيسان ١٩٨٤) دعي الاباتي نعمان الى اجتماع مع البابا حضره بطاركة لبنان الكاثوليك الاربعة وهم: الكاردينال مار انطونيوس بطرس خريش (ماروني)، البطريرك مكسيموس الخامس حكيم (روم كاثوليك)، البطريرك انطون الثاني حايك (سريان كاثوليك) والبطريرك جان - بيار الرابع عشر كسباريان (ارمن كاثوليك).

بدأ البابا يوحنا بولس الثاني الاجتماع بالتعبير عن الحاجة الى ايجاد خطة سريعة "للحدّ من تعقيد المعضلة اللبنانية" التي تؤثر كثيرا على اهتمامات الكرسي الرسولي (١٣٣). لقد كانت العلاقات بين لبنان واسرائيل البند الثاني على جدول الاعمال وحصل نقاش حاد بين بطريرك الكاثوليك والبطريرك الماروني. وعبّر البطريرك خريش عن تخوفه من السياسة التي يتبعها الاباتي نعمان والذي كانت ميوله تجاه اسرائيل منذ بدء الحرب متعارضة مع سياسة البطريركية المارونية. وفي دفاعه عن الأباتي نعمان قال بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس حكيم:

ان الغالبية الساحقة من المسيحيين اللبنانيين متعلقة باسرائيل كما لو انها حافظة حياتهم لأنهم يعتقدون ان الخطوات التي اتخذها الفاتيكان محصورة فقط في الصلوات والمباركة... يجب أن يعي الفاتيكان تماما ان الوضع في لبنان قد بلغ ذروة الخطورة ويجب القيام بعمل سريع وفوري (١٣٤).

وقد احتدمت المشادة الكلامية بين البطريركين مما اوجب تدخل البابا يوحنا بولس الثاني لتهدئة الخواطر. في هذا الوقت كرّر أمين سر دولة الفاتيكان الكاردينال كازارولي الذي كان حاضرا الاجتماع ذكر مخاوف الفاتيكان من الموقف المؤيد لاسرائيل الذي يقفه بعض المسيحيين في لبنان الذي امنوا بقوة أن الدولة اليهودية هي الوحيدة القادرة على حمايتهم ومن عدم اطاعة المسيحيين للسلطة الدينية. كما عبّر كازارولي أيضا عن قلقه من أن اسرائيل تقوم باستغلال هذا الوضع لاضعاف الثقة بالفاتيكان وبالولايات المتحدة على حدّ سواء، أي "ان تستعمل هذه الورقة في الانتخابات الرئاسية الاميركية من جهة ومن جهة اخرى وسيلة للضغط على الفاتيكان" (١٣٥).

لقد دفعت هذه الحادثة المؤلمة بالعلاقة بين الكاثوليك اللبنانيين والفاتيكان، اضافة الى الدور المهم الذي يقوم به الكاثوليك في الانتخابات الاميركية، البابا يوحنا بولس الثاني الى اصدار ثلاث رسائل مهمة في ربيع ١٩٨٤. لقد وجّهت الرسالة الاولى الى البطريرك الماروني، والثانية الى اللبنانيين، والثالثة كانت رسالة رعوية وجهت الى كل اساقفة الكنيسة الكاثوليكية (١٣٦). ان هذه الرسالة الأخيرة كانت فريدة من نوعها لأنها كانت المرة الأولى يخاطب بها حبر أعظم في سدة البابوية الاساقفة حول موضوع لا يتعلق بأمور العقيدة أو النظام بل بموضوع يتعلق ببلد - لبنان - والقضية التي يمثلها.

لقد كرر البابا يوحنا بولس الثاني الموضوع الذي طالما تكلم عليه الكرسي

الرسـولي منذ اندلاع الحـرب اللبنانيـة سـنة ١٩٧٥. "على لبنان سنة ١٩٨٤ ان يبـدأ تحدّي الاصـلاح الاخـلاقي واعداد مـجتمع أمين لتراثه الحضـاري العريق وواضـح بالنسبة الى مستقبله" (١٣٧). ان اللبنانيين مدعوون للمـحافظة على مثال التعايش المسيحي ـ الاسـلامي الذي سـاد لبنان قبل النزاع. وقد كتب البـابا في رسـالته الى الاساقفة حول لبنان:

> اننا لا ننساهم، لا بل اكثر من ذلك ان نعوّل عليهم وعلى وجـودهم في لبنان ديمقـراطي منفـتح على الآخـرين في حـوار مـع الحـضـارات والديانـات. فـهـو بـهذه الطريقـة، فقط قادر على البقـاء وعلى ضـمانة وجودهم في حرية وكرامـة. زدّ على ذلك ان **المسـيحيـة في لبنان هي شـرط لوجـود الأقليات المسـيحية في الشـرق الأوسـط: ان البـابا والكنيسـة في العـالم يعيان هذا الأمر** (١٣٨).

ان مصير الطوائف المسيحية الشرقية بالنسبة الى البابا يوحنا بولس الثاني مرتبط مباشرة وبطريقة حيوية بمصير المسـيحيين في لبنان. وبشكل من الاشكال كان البـابا يقـول للبنانيين ان عليـهم ان يفكروا ويتـصـرفـوا اولا كمـسـيـحـيين وبـعد يقلقـون على مـشـاكلهم الوطنيـة. ان مـسـؤوليـات اللبنانيين تـتـخطى حـدود لبنان الصـغير، فـان انظار اتبـاع المسيح في الشرق الأوسط قـاطبة وآمـالـهم موجـهـة الى "ارض الأرز". لقد خـصص البـابا يوحنا بولس الثاني لبنان ضـمنيا كرمز للتواجـد الديموقراطي للأقليات والأرض التي تحترم فيها الحقوق الانسانية لجميع المواطنين دون اي تمييز. أما بخصـوص دور المسيحيين في مجتمع اسلامي (ذمي) أو يهودي فيمكن اعتبار نداء البابا رسالة رمزية مترفعة.

اضـافة الى هذا اعتـرف البابا يوحنا بولس الثاني بالصـراع الصـعب الذي يواجـه المسـيحيين في لبنان وقد دعاهم في الحـقيقة، "الاّ يخافوا عندما يتعلق الامر

بالدفاع عن حرياتهم وبخاصة حرية اعلان قيم الانجيل والحياة وفاقها" (١٣٩). لا تشكّل هذه الدعوة الى المسيحيين للدفاع عن قيمهم الدينية موقفا عدائيا من اللبنانيين غير المسيحيين. على العكس فقد جاء في رسالة البابا يوحنا بولس الثاني الى الاساقفة:

> دعونا نصلّي لاخواننا واخواتنا اللبنانيين غير المسيحيين الذين ساهموا مع مواطنيهم المؤمنين بالمسيح في كتابة تاريخ لبنان ارض اللقاء والحوار (١٤٠).

لم تترك الرسائل البابوية الأثر المرتجى. لقد اراد البابا يوحنا بولس الثاني ايضاح نظرة الكرسي الرسولي الى الحرب اللبنانية ودوره فيها نهائي، كما اراد ان يعلن لكل المتهمين بلبنان والى الكنيسة في العالم أن لبنان يجب أن يبقى ارض التعايش الديني والديموقراطي وان للمسيحيين اللبنانيين مكانا مهما جدا في سلّم الاولويات البابوية.

ان التغيير الأهم الذي يمكن ملاحظته بعد رسائل البابا الثلاث هو ان الزعامة المارونية في لبنان قد اوقفت انتقاداتها للكرسي الرسولي ولممثليه. لقد فهم المسيحيون في لبنان اخيرا انه في مناخ سياسي يميزه تفكك الدولة الكلي وتزايد قوة الجماعات الاصولية الاسلامية أصبح الفاتيكان آخر منارة أمل لهم في المنطقة.

الفاتيكان واتفاق الطائف (١٩٨٩)

لقد تحوّل لبنان في سنة ١٩٨٦ الى ساحة حرب بين جارتيه سوريا واسرائيل. وقد وجدت ايران، المنهمكة في حرب ضروس ومكلفة مع العراق، في سوريا حليفاً مناسباً كما وجدت في لبنان أرضاً خصبة لنشر رسالة الثورة الاسلامية. وفي كانون الاول ١٩٨٥ كان تم التوقيع في دمشق على الاتفاق الثلاثي

بين زعماء الحرب اللبنانيين ايلي حبيقة عن الموارنة، وليد جنبلاط عن الدروز ونبيه برّي عن الشيعة. وقد عارض الموارنة بدءاً من الرئيس أمين الجميل وبشدة هذا الاتفاق الذي دعمته سوريا والذي انتقص من سيادة لبنان ووضعه عملياً تحت الاشراف السوري.

في عام ١٩٨٦ قام الكاردينال أشيل سيلفستريني، وكان يومها اسقفاً، أمين سر مجلس الشؤون العامة في الكنيسة، بمهمة وساطة فاتيكانية. لقد زار سيلفستريني معظم التيارات اللبنانية وتوّجه بعد ذلك الى دمشق. وتقدّم سيلفستريني باقتراح خطة تشكل حلاً وسطاً بين الاتفاق الثلاثي والميثاق الوطني المعقود بين اللبنانيين في العام ١٩٤٣. وقد شدد سيلفستريني أمام القيادة السورية أن الكرسي الرسولي يعارض كلياً اي تعاون بين الميليشيات المسيحية واسرائيل. وبالرغم من جهوده هذه لم يتمكن سيلفستريني من تضييق الهوة بين القيادة المسيحية - العازمة على حماية استقلال لبنان من التدخل السوري - والحكومة السورية التي كانت تعارض أي تدخل اجنبي او أي تحدٍ لهيمنتها في لبنان.

لقد شهد العام ١٩٨٩ تطوراً دراميا آخر في لبنان، ففي بداية العام أعلن قائد الجيش اللبناني الجنرال ميشال عون "حرب التحرير" ضد القوات السورية عاقداً العزم أيضاً على تحطيم الميليشيات ومحاصرة الموانئ غير الشرعية التابعة لهم. وتجدر الملاحظة الى انه، وبسبب غياب السلطة المركزية، كان لكل ميليشيا مرفئها الخاص بها. وكان نتيجة اعلان "حرب التحرير" أن قامت الميليشيات التي تدعمها سوريا بفرض حصار على المنطقة المسيحية مما أشعل فتيل حرب مدفعية دامت زهاء ستة أشهر وخلفت وراءها ما يزيد عن ٩٠٠ قتيل. لقد قامت قيادة الكنيسة المارونية بمحاولات تهدئة؛ إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل. لقد حاول البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير أن يدعو الى الاعتدال والحوار بين الموارنة والى ايجاد حل وسط مع الحكومة السورية. وفي تشرين الثاني سنة ١٩٨٩ عقد النواب اللبنانيون اجتماعاً في الطائف (المملكة العربية السعودية) ليناقشوا

ومن ثمّ ليتبنوا خطة تدعمها الجامعة العربية تقضي باجراء اصلاحات دستورية في لبنان. وقد أيد الاتفاق بصراحة كلّ من البطريرك صفير والدكتور سمير جعجع قائد القوات اللبنانية بينما اعتبرها الجنرال ميشال عون غير دستورية. وكدليل ملموس على النزاع داخل المجتمع الماروني فقد اقتحمت (والحادث فريد من نوعه) مجموعة من المعارضين مقر البطريرك صفير الخاص وانهالوا عليه بالضرب واجبروه، كما يُزعم، أن يقبل صورة الجنرال عون. وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ لبنان يقوم فيها أفراد موارنة بمهاجمة زعيمهم الروحي.

ولم ترضِ هذه الاحداث البابا يوحنا بولس الثاني الذي عبّر عن قلقه على مصير لبنان في نداءين اصدرهما في ايلول ١٩٨٩. وقد توّجه النداء الأول الى المسلمين والنداء الثاني الى اساقفة العالم. لقد دعا البابا الى المحافظة على لبنان كمثال للتعايش مشدداً على النقطة الرئيسة وهي أن القانون الدولي يجب أن يحمي الضعيف في العلاقات الدولية بحيث لا يطغى منطق القوة على غيره. وكرّر البابا موقف الكرسي الرسولي من لبنان القائل بحماية سيادة واستقلال لبنان (وهو الموقف نفسه الذي اتخذه الفاتيكان عقب الاجتياح العراقي للكويت) وعلى المحافظة على نموذج التعايش بين جميع الطوائف اللبنانية والى نبذ العنف كوسيلة لحل النزاعات. إن لبنان بالنسبة للبابا يوحنا بولس الثاني "هو اكثر من وطن؛ انه رسالة حرية ومثال تعايش للشرق والغرب".(١٤١) لقد وضع اتفاق الطائف الفاتيكان في وضع محرج. فمن جهة اولى اراد الكرسي الرسولي ان يعبّر عن دعمه لعملية تطبيع الوضع في لبنان ولكن من جهة اخرى كان الكرسي الرسولي رهينة بعض الاطراف المسيحيين اللبنانيين. لم يدعم الفاتيكان بصراحة اتفاق الطائف مما اثار غضب الحكومة اللبنانية. لقد كان للتركيبة الطوائفية في السياسة اللبنانية بعض الأثر في مركز القرار في روما.

لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية في أميركا ناشطة جداً منذ بدء النزاع في لبنان فقد قام المرحوم الكاردينال تيرنس كوك كاردينال نيويورك بزيارتين للبنان

الأولى سنة ١٩٨٠ والثانية سنة ١٩٨٢ حيث زار المارينز هنا. وفي اعقاب زيارته الأولى كتب كوك تقريراً يقول فيه ان النزاع في لبنان ليس حرباً اهلية وأن ايجاد حل للنزاع يعتمد على "ايجاد وطن للفلسطينيين". كما دعا كوك ادارة الرئيس ريغان "ان تقنع سوريا لسحب جيشها" من لبنان وأن "تمارس اقصى" ضغطها على القوات الفلسطينية واسرائيل لوقف صراعهما في جنوب لبنان(١٤٢). لقد لعبت ابرشية نيويورك دوراً بارزاً في الشرق الأوسط. ان رؤساء اساقفة نيويورك، بوصفهم رؤساء جمعية الاغاثة الكاثوليكية للشرق الأوسط قد عبروا - من الكاردينال فرنسيس سبلمان الى الكاردينال جون اوكونور - دائماً بالقول والفعل عن اهتمام الكنيسة الكاثوليكية في اميركا بشعوب الشرق الأوسط. ففي حزيران ١٩٨٦ و١٩٨٩ زار الكاردينال جون اوكونور لبنان لتقديم الأمل والتشجيع للشعب اللبناني. وبعد زيارته الثانية، والتي جاءت في اعقاب صدامات مسلحة عنيفة بين اتباع الجنرال عون والمجموعات اللبنانية المدعومة من سوريا تعمّق اهتمام اوكونور بالقضايا اللبنانية؛ كما ان مكتبه في نيويورك كان موضع ضغط دائم من المغتربين اللبنانيين المؤيدين للجنرال عون. وعندما اضطر عون، بعد أشهر قليلة، الى ترك القصر الجمهوري بسبب القصف السوري العنيف ويلجأ الى السفارة الفرنسية، تدّخل الكاردينال اوكونور مقدماً مساعيه الوساطية. الا ان مساعي اوكونور هذه لم ترضي الحكومة اللبنانية الجديدة ولم تثمّن ايجاباً تدخل رجل الدين الاميركي المباشر في قضية داخلية. وبالرغم من هذا فإن الكرسي الرسولي يعتبر ان الكنيسة الكاثوليكية في اميركا هي مصدر مهم للتمويل والرعاية الكنسية.

إن موقف الكرسي الرسولي من الصراع في لبنان تحدده نظرة الفاتيكان الى لبنان كمصغّر للنزاعات المختلفة التي تشوب العلاقات الاقليمية والدولية في الشرق الأوسط. كما ان نجاح صيغة التعايش بين المسيحيين والمسلمين يعتبر أمراً حيوياً بالنسبة لمصير الجماعات المسيحية في الشرق. لقد كرر الكرسي الرسولي طوال الحرب اللبنانية مقولته ان الحوار بين اللبنانيين هو الأمل لحل خلافاتهم. كما ان البابا والوسطاء الذين ارسلهم الى المنطقة قد حذروا اللبنانيين من الأفراط في

عقد الآمال على نتائج محددة للدبلوماسية الفاتيكانية. لقد عبّر الكرسي الرسولي عن تضامنه مع لبنان بتحريك كل الطاقات المتوافرة لديه انسانياً ودبلوماسياً.

خلال السنوات الخمس الأولى من الحرب اللبنانية اتبع الكرسي الرسولي سياسة التدخل المباشر في الوساطة لحل المشكلة في لبنان. ولكن عندما إتضح ان الصراعات اللبنانية ـ اللبنانية والمارونية ـ المارونية قد أفلت زمام السيطرة عليها اختار الفاتيكان سياسة التحرك وراء الكواليس دبلوماسياً ومباشرة عبر المساعدات الانسانية. إن المفارقة في دور الكرسي الرسولي هو انه كلما تفاقم الوضع خطورة في لبنان كلما تلاشى تأثير التدخل الفاتيكاني. فما دامت مقادير القوى في يد الموارنة أمكن للفاتيكان بعض حرية التدخل؛ ولكن عندما يختار زعماء الموارنة طريق الحرب أولاً فيما بينهم وثانياً بينهم وبين اخوانهم المسلمين فإن الفاتيكان لا يمكنه الا إن يقف موقف المتفرج الذي لا حول له.

خلاصة

لقد حدث تطور متزايد وثابت في موقف الكرسي الرسولي خلال الحرب اللبنانية. ان طبيعة كل بعثة بابوية ومدى نشاطها قد فصّلا لمعالجة التوتر المتزايد في لبنان. لقد وصفت البعثة الأولى التي تراسها الكاردينال باولو برتولي، وهو دبلوماسي محترم ومخضرم في الشؤون اللبنانية، بانها بعثة تقصّي الحقائق اذا اراد الكرسي الرسولي، بعد سبعة اشهر من بدء النزاع، ان يجمع المعلومات مباشرة من الأطراف اللبنانيين انفسهم.

اما البعثة الثانية التي تراسها المونسنيور ماريو بريني فكانت اهدافها رعوية وانسانية. اراد البابا من ورائها ان يعبّر عن حرصه على الطائفة المسيحية في لبنان ويقدّم العون اللازم لضحايا الحرب. وقد تداخل ارسال هذه البعثة مع تعاظم التدخل السوري في لبنان والاضطراب المتزايد في حياة المدنيين اليومية.

اما البعثة الثالثة التي تراسها الكاردينال برتولي فقد دلّت على تواصلية

الاسلوب في دبلوماسية الكرسي الرسولي وقد جاءت الى لبنان لأهداف وفاقية. الاّ أن سنة ١٩٧٨ شهدت مزيدا من التجزئة على الساحة اللبنانية، فاضافة الى الصراع بين اللبنانيين وبين الفلسطينيين انقسمت الزعامة المارونية بفعل الصراعات الداخلية. ان هذا العامل وحده، برّر عودة برتولي بدعم دولي قوي. ان المهمة التي واجهت رجل الكرسي الرسولي للمهمات الصعبة كانت شبه مستحيلة، اذ ان مصير لبنان ككيان سيد كان مهدّدا ليس فقط بتوطين الفلسطينيين في لبنان بل كذلك بالحرب غير المباشرة المستعرة بين السوريين والاسرائيليين.

غلب على البعثة الرابعة الطابع الرعوي اذ لخصت قلق الكرسي الرسولي العميق تجاه الحرب اللبنانية. لقد جاء الرجل الثاني في الفاتيكان الكاردينال اغستينو كازارولي بنفسه ليقنع الاطراف اللبنانيين بأن الكرسي الرسولي لا يقدر أن يضحّي باهتماماته الاقليمية - اي مصير الطوائف الكاثوليكية في الشرق وبالقضية الفلسطينية من اجل عدم رغبة اللبنانيين في أن يتفقوا ويحلّو خلافاتهم بسلام. لقد كان الكرسي الرسولي على استعداد ليسهم في تضييق شقة الخلاف داخليا ويطلب تدخل قوى دولية اخرى الاّ انه لا يستطيع ان يقدّم حلولا خارجية عن دائرة قدرته.ان هناك نقاط تشابه واختلاف تنبع من تدخل الكرسي الرسولي في لبنان ومن تورّطه في كل من النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني وفي وضع القدس، والاماكن المقدسة. ان مصير الاقليات المسيحية هو الخيط المشترك الذي يحرّك اهتمامات الكرسي الرسولي في الشرق الأوسط، الا ان الطريقة التي تتعامل بها البابوية مع هذه المسألة تختلف. ففي مسألة النزاع بين الاسرائيليين والفلسطينيين يكمن اهتمام الكرسي الرسولي الاساسي في الحفاظ على الوجود المسيحي في الأرض المقدسة وفي حشد كل الجهود لرعاية حل عادل للنزاع عبر وسائل سلمية. أما في لبنان فقد حاول الكرسي الرسولي ان يحافظ على وحدة البلد بصيغته التعددية للطوائف، وذلك في سبيل انقاذ الطوائف الكاثوليكية. ان معارضة سياسة الكرسي الرسولي تنبع من تلك العناصر في الطائفة المارونية التي تؤمن بأنه ليس للمسيحيين في الشرق الأوسط من سبيل سوى الدفاع المسلح عن النفس ضد

المسلمين. لقد عطّل هذا الحلّ ما كانت تعمل له البابوية بقوة اي الحوار الصريح والصادق بين اتباع المسيح واتباع محمد.

أما في مسألة النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني ومسألة القدس فقد جاءت العقدة الرئيسة لتدخل الكرسي الرسولي من سوء الفهم الدفين بين الكرسي الرسولي والاسرائيليين فيما يتعلق بمسألة وطن قومي يهودي في فلسطين أولا، وبمصير الفلسطينيين ثانيا.

خلاصة القول ان اهتمامات الكرسي الرسولي المسكونية وبالعلاقات بين الاديان هي ضحية هذه التناقضات. فعلى الحوار المسيحي الاسلامي والمسيحي اليهودي ان ينتظر اياما أفضل من هذه، يمكن فيها تهدئة مخاوف الاقليات ضمن اطار احترام الحقوق المدنية والسياسية والدينية للمسيحيين واليهود والمسلمين.

الفصل الرابع

الاتفاق الاساسي بين الفاتيكان واسرائيل:
ردود الفعل العربية الدينية والسياسة

يتناول هذا الفصل ردود الفعل العربية بشقيها الديني والسياسي، وبشكل خاص ردود الفعل اللبنانية، على الاتفاق المبدئي بين الفاتيكان واسرائيل، ان ردود الفعل في لبنان على هذا الاتفاق الموقع في ١٣ كانون الاول ١٩٩٣ كانت، على غير ما كانت عليه في دول عربية أخرى، متفاوتة وولدت نقاشاً في وسائل الاعلام كما في الاوساط الدينية والسياسية. اما منشأ ردود الفعل هذه فكانت الزيارة التي كان ينوي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني القيام بها للبنان في شهر أيار ١٩٩٤، (والتي الغيت بعد ذلك) لما احاط بها انذاك من ضبابية الرؤيا في كثير من العناصر المحلية والاقليمية والدولية. ولهذا، فقد تم اعتبار الاتفاق مع اسرائيل تحدياً من قبل العديد من اللبنانيين الذين لم يستوعبوا اهمية التوقيت والفكرة من الاتفاق في الخطوة الدبلوماسية التي قام بها الكرسي الرسولي(١).

لكي نفهم ردود الفعل العربية علينا وضع "الاتفاق الاساسي" في اطاره الصحيح، فبين العام ١٩٨٩ والعام ١٩٩١ جرت احداث تاريخية على المسرح الدولي. ان انهيار الاتحاد السوفياتي السابق وعودة الديموقراطية الى العديد من دول اوروبا الوسطى ـ حيث لعب البابا يوحنا بولس الثاني دوراً رئيسياً ولا سيما في بلده بولونيا ـ واندلاع حرب الخليج التي خاضتها الولايات المتحدة ضد

العراق، وبداية عملية السلام في الشرق الاوسط في مؤتمر مدريد (تشرين الاول ١٩٩١) كانت كلها عوامل دولية مؤثرة في دبلوماسية الفاتيكان. في الواقع كان هاجس الكرسي الرسولي الأ يُستثنى من مؤتمر مدريد. وكان رئيس الوزراء الاسرائيلي أنذاك شيمون بيريز قد اقنع ادارة الرئيس جورج بوش بعدم دعوة الدبلوماسيين الفاتيكانيين الى المؤتمر. كما ان هناك اسباباً اخرى تفسر اقامة الفاتيكان علاقات مع اسرائيل. من هذه الاسباب، الوضع المتأرجح للمجموعات والمؤسسات الكاثوليكية داخل اسرائيل والاراضي المحتلة، بالاضافة الى مسألة الهجرة المتزايدة للمسيحيين الفلسطينيين. واخيراً وليس آخراًو وضع مدينة القدس الذي ما يزال عقدة نزاع رئيسة بين الكرسي الرسولي واسرائيل. ان الفاتيكان لم يقبل ابداً، وحتى انه ادان، قرار الحكومة الاسرائيلية بضم المدينة المقدسة والاعلان ان القدس هي "العاصمة الابدية" للشعب اليهودي(٢).

لقد عرضت في مقال كتبته عقب توقيع الاتفاق ان احد اهداف الكرسي الرسولي من الاتفاق كان حماية الحقوق الدينية للمجموعات غير اليهودية التي تعيش في اسرائيل. وبما ان حقوق الانسان كل لا يتجزأ، فان هذه الحماية تشمل حقوق المسلمين والمسيحيين الذين يعيشون في اسرائيل والمناطق المحتلة. وقد تبنى الفاتيكان العملية ذاتها التي اعتمدت في مؤتمر هلسنكي حول الامن والتعاون في اوروبا والذي جعل من حقوق الانسان نقطة اختبار لعلاقات الشرق والغرب. ويأمل الكرسي الرسولي باعتماد عملية مشابهة في عموم الشرق الاوسط لانه لا يمكن تركيز الامن والسلام دون الحصول على ضمانات اكيدة باحترام وحماية الحقوق الانسانية، وتحديداً حقوق العبادة والمعتقد(٣).

وقد برهنت في المقال ذاته ان الاتفاق بين الكرسي الرسولي واسرائيل هو في صالح العرب والفلسطينيين معاً؛ ان دفاع الفاتيكان عن حقوق الكاثوليك ووجودهم في الاراضي المقدسة ينطوي ايضاً على حماية حقوق الفلسطينيين، المسيحيون منهم والمسلمون. واخيراً يأمل الفاتيكان ان يستعمل اتفاقه مع اسرائيل كنموذج

لاتفاقات اخرى مماثلة، وتحديداً مع الكيان الفلسطيني الناشئ. وختاماً فان هناك عاملاً آخر يرتبط برغبة البابا يوحنا بولس الثاني زيارة الاراضي المقدسة قبل وفاته.

لقد كان الموقف الرسمي المصري داعماً للاتفاق المبدئي. لقد قام دبلوماسيو الفاتيكان، قبيل التوقيع على الاتفاق، باطلاع غالبية البعثات الدبلوماسية العربية المعتمدة لدى الكرسي الرسولي على التفاق. وقد اتت معظم ردود الفعل المعارضة للاتفاق من الاوساط الدينية المسيحية والاسلامية ومن بعض رجال الصحافة. وقد اصدرت جامعة الدول العربية بياناً عبرت به عن قلقها من ان يكون الاتفاق بمثابة قبول (من الفاتيكان) بالاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية، وقد شدد بيان جامعة الدول العربية على المكانة الخاصة للقدس الذي هو مسألة بالغة الحساسية للمؤمنين حول العالم(٤).

لقد صرح الانبا شنودة الثالث، رئيس الكنيسة الارثوذكسية القبطية ان الاعتراف المتبادل بين الفاتيكان واسرائيل لا يشكل صلحاً بين المسيحيين واليهود مركّزاً على ان "الفاتيكان ليس كنيسة فقط وانما هو دولة ايضاً". وقد أضاف الانبا شنودة انه إذا "اراد اليهود ان يبرهنوا براءتهم من دم المسيح، فما عليهم الا ان يؤمنوا به". وقد جدد الزعيم القبطي تأكيد حظره اي زيارة للقدس الى ان يتم توقيع معاهدة سلم شاملة في الشرق الاوسط والى ان تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة. وقد انتقد الانبا شنودة غياب الوحدة بين العرب وقابلها بالاجماع الذي يسود المجموعة اليهودية: "يمكن للعرب ان يتغلبوا على التفوق التكنولوجي الاسرائيلي بايفادهم بعثات علمية الى الخارج، "وان التكنولوجيا الاسرائيلية لا تخيف الا الضعيف"(٥).

لقد انتقد مفتي الازهر الشيخ جاد الحق، في مقابلة اجرته معه صحيفة الوفد المصرية المعارضة، قرار الفاتيكان اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل. وقد اعتبر شيخ الازهر ان قرار الكرسي الرسولي هو بمثابة اشارة موافقة على

تهويد القدس وعلى التبديل المستمر للحدود الجغرافية للمدينة، وعلى انه مع توقيع الاتفاق فان الفاتيكان "قد تخلى عن موقفه المحايد والعادل في النزاع العربي الاسرائيلي". وقد اضاف الشيخ جاد الحق ان العديد من الكنائس غير الكاثوليكية كانت معارضة لخطوة الكرسي الرسولي. كما عبر جاد الحق عن خيبته لان "الفاتيكان قد اشترى الموافقة الاسرائيلية باثارة غضب كل المؤمنين في الشرق الاوسط". لقد انتقد جاد الحق الفاتيكان لانه تنازل عن اصراره علي تطبيق قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقدس وتالياً قبل بالامر الواقع الاسرائيلي في المدينة المقدسة. ولم تشارك مؤسسات اسلامية اخرى مفتي الازهر في مواقفه هذه(٦).

اما الدول العربية الاخرى فلم تصدر عنها ردود فعل رسمية. الا ان هذا لم يمنع بعض الصحافيين البارزين من ابداء آراء لها صداها على المستوى الشعبي. وفي مقالة له في صحيفة **الاتحاد** الخليجية ذات التأثير، حلل الكاتب المصري مجدي عمر خلفيات ردود الفعل العربية على الاتفاق الفاتيكاني - الاسرائيلي، وقال ان المصالحة بين الكاثوليك واليهود ليست مصدر اهتمام؛ لقد ازعج موقف الفاتيكان حيال القدس العرب.

ويذكر الكاتب المصري خمس قضايا كانت ما تزال حية في الرأي العام العربي. اولاً، اذا كان الفاتيكان مهتماً بمصير الوجود المسيحي والمؤسسات المسيحية في القدس فلماذا لم يقم حواراً مماثلاً مع الفلسطينيين؟ يكتب عمر ان تصريح الناطق باسم الفاتيكان عقب توقيع الاتفاقية بأن الكرسي الرسولي سوف يقوم باجراء محادثات مع منظمة التحرير الفلسطينية أمر غير كاف، ولا سيما بالنسبة لتوقيت التصريح. "لنفرض" يتابع عمر، "ان الشريك الفلسطيني لم يتمتع بعد باعتراف دولي به كدولة، فلماذا لا يقيم الفاتيكان حواراً مع الاردن الذي هو شريك شرعي منذ ما قبل الاحتلال الاسرائيلي للقدس الشرقية؟"

ويردف عمر ان الفاتيكان كان واعياً لهذه النقطة عندما صرح الوفد الفاتيكاني المونسنيور كلوديو شيللي ان اتفاقية مماثلة يجري التفاوض بشأنها مع

الاردن. "الا ان الحقيقة تبقى ان الاتفاق الاساسي قد ابرم اولاً احادياً مع اسرائيل".

اما المسالة الثانية التي يثيرها عمر في مقالته فهي ان الفاتيكان قد سبق وصرح في مناسبات عدة انه لن يقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل الا اذا التزمت هذه الاخيرة بايفاء الشروط الثلاث الآتية:

١- التقدم في محادثات السلام في الشرق الاوسط،

٢- حل المسالة الفلسطينية،

٣- وجود ضمان دولي لوضع القدس.

يسال عمر: "هل يعتقد الفاتيكان انه قد تمت تلبية هذه الشروط تماماً، ام ان هناك تغييراً ما في موقف الكرسي الرسولي؟" اما النقطة الاخيرة التي يثيرها عمر في مقالته فهي حقيقة ان "الاتفاق الاساسي" بين اسرائيل والكرسي الرسولي قد تم توقيعه في القدس، ويسال "هل علينا تفسير هذا الامر وكأنه اعتراف ضمني من الفاتيكان ان القدس هي عاصمة اسرائيل، الامر الذي تزعمه الحكومة الاسرائيلية على ان القدس هي عاصمتها الابدية؟" يجيب عمر ان الفاتيكان قد رضخ للضغوط اليهودية والصهيونية المستمرة للاعتراف باسرائيل معطياً بذلك الدولة العبرية شرعية اقليمية ودولية(٧).

وفي مقالة اخرى نشرتها صحيفة الاتحاد يقوم الكاتب اللبناني محمد السماك الاسباب الكامنة وراء قرار الفاتيكان. يقول: اولاً: الفاتيكان في نظرته السياسية الى اسرائيل لم يعد اسير وجهة النظر الدينية الكاثوليكية من الدولة العبرية، ثانياً: وبراي السماك، لا يمكن للفاتيكان ان يبقى خارج النظام العالمي والاقليمي الجديد. اما السبب الثالث فيكمن في كون ان الموقف العربي من اسرائيل لم يعد يشكل عقبة للكرسي الرسولي، وتالياً يكون السبب الرابع هو انه لم يعد للفاتيكان مخاوف كبيرة بشأن مصير المسيحيين العرب. ويجب اخذ مجمل هذه الاسباب بعين الاعتبار بغية فهم الدوافع وراء قرار الفاتيكان. ويختم السماك

مقالته بالقول: "انه من الطبيعي ان نعبر عن حزننا لاعتراف الفاتيكان باسرائيل.الا ان تجاهل هذا الاعتراف يعد قصر نظر من قبل العرب، فليس من باب الحكمة ان ننزلق الى الادانة والرفض وانما من المفيد ان نقوم بجهود جبارة لبناء مستقبل افضل. ان الكنائس المسيحية ـ الارثوذكس والقبطية والكاثوليكية ـ قادرة على بناء جسور مع هذا المستقبل لانها، كالاسلام، لها حقوق قومية منتهكة ومؤسسات دينية محتلة"(٨).

لقد ادانت الجمهورية الاسلامية في ايران "الاتفاق الاساسي" بين الكرسي الرسولي واسرائيل. وقد صرح السفير الايراني لدى لبنان همايون علي زاده ان الاتفاق كان خطوة سلبية وخطأ استراتيجياً وتكتيكياً. لقد اتهم علي زاده الكرسي الرسولي بالمشاركة في الجهود لتشريع الدولة العبرية: "ان رأينا هو الرأي الصحيح من وجهة النظر الاسلامية، الوطنية، والانسانية. ان العلاقات الدبلوماسية بين الكرسي الرسولي واسرائيل هي ايضاً غلطة تكتيكية واستراتيجية ما دام العدو الصهيوني يحتل فلسطين واجزاء واسعة من جنوب لبنان. وبما ان الاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية ما زالت تحت الاحتلا فنحن لا نرى اية تفسيرات منطقية لهذا الاعتراف"(٩).

لقد حدد رد الفعل الايراني لهجة ردود الفعل المماثلة في لبنان حيث اثارت انباء الاتفاق معارضة بالغة، لا سيما في الاوساط المقربة من سوريا وايران. أضف الى هذا ان الزيارة التي كان البابا يوحنا بولس الثاني يزمع القيام بها الى لبنان في ربيع ١٩٩٤ والتي اجلت فيما بعد، قد أججت غضب المعترضي على هذه الزيارة. ان الاعتراضات الاساسية للبنانيين الذي عارضوا الاتفاق الفاتيكاني - الاسرائيلي يمكن تلخيصها بالآتي:

ان للاتفاقية نتائج خطيرة على الشرق الاوسط ؛ تتجاهل الاتفاقية الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، ان توقيت الاتفاقية كان غير ملائم بحيث انها وقعت في وقت كانت تجري فيه متغيرات رئيسة في المنطقة. وفي هذا الخصوص صرح

وزير الخارجية اللبناني فارس بويز: "كان على الفاتيكان ان يؤجل اعترافه باسرائيل، انها خطوة قام بها الفاتيكان قبل اسابيع قليلة من قرارات اقليمية كبرى كانت ستتخذ. لقد كان على الكرسي الرسولي ان يؤجل اتخاذ قراره الى وقت تكون فيه الظروف الاقليمية اكثر نضجاً، اي، بعد ان تكون اسرائيل قد قبلت تطبيق القرارات الدولية"(١٠).

اما المرشد الروحي لحزب الله الشيخ محمد حسين فضل الله فقد صرح في خطبة يوم الجمعة ان اعتراف الفاتيكان باسرائيل هو خطوة غير مسيحية لأن "قيم السيد المسيح تقوم على العدل وان الاعتراف باسرائيل هو اعتراف بقهر اسرائيل للعرب وللفلسطينيين. واذا كانت مصادر الفاتيكان تتحدث عن حوار بين الاديان فاننا نقول ان هناك فرقاً بين الحوار بين المسيحية والاسلام واليهودية والحوار مع اسرائيل الذي لا علاقة له بالحوار الديني وانما هو قضية تتعلق بشعب محتل ومهجر من ارضه". أضاف فضل الله ان الفاتيكان يعلن معارضته للتطرف ويؤيد السلام. و"نسأل: اهذا هو سلام المسيح أم سلام يهوذا؟ انه سلام يهوذا لأن سلام المسيح هو سلام مبني على العدل، اما شروط السلام الحالية فقائمة على منطق القوة". وختم فضل الله ان الفاتيكان قد اعطى اسرائيل قوة معنوية كبيرة واضعف الفلسطينيين(١١).

لقد أصدر حزب الله بياناً عقب اعلان "الاتفاق الأساسي" يندد فيه بقرار الفاتيكان جاء فيه: "لقد عبرنا، منذ بدء المحادثات السرية بين الكرسي الرسولي واسرائيل، الى ممثل الفاتيكان في لبنان عن مخاوفنا من تطبيع العلاقات". ومضى بيان حزب الله ليقول ان دور الفاتيكان العالمي والروحي والحضاري هو أهم بكثير من وضع أملاك الكنيسة الكاثوليكية في الأراضي المحتلة" "الا يدرك العالم، وفي طليعته الفاتيكان، ان الشعب الفلسطيني ما يزال مشرداً وضحية لعدوان مستمر؟" كما يتناول البيان مدينة القدس "والتي ليست حقيقة جغرافية فقط وانما هي رمز ديني وروحي. ماذا تحقق بخصوص القدس لا سيما وان قادة العدو الاسرائيلي

يصرحون تكراراً انها العاصمة الأبدية للدولة العبرية؟" لقد ادان حزب الله في تصريحه تخلي الفاتيكان حتى عن الشروط القليلة التي كان وضعها لتطبيع العلاقات مع اسرائيل. "ان الذين يقارنون بين الاتفاق الفاتيكاني الاسرائيلي واتفاقية غزة اريحا يقعون في خطأ التحيز والتعصب"(١٢).

لقد أثار "الاتفاق الأساسي" تصريحات سلبية أخرى من قادة سياسيين لبنانيين وصحافيين. وفي هذا الاطار هاجم وزير المهجرين وليد جنبلاط بعنف الفاتيكان والبابا يوحنا بولس الثاني والكنيسة في لبنان. وأعلن جنبلاط أن اعتراف الفاتيكان باسرائيل بعد ٥٠٠ سنة من سقوط غرناطة (اسبانيا) هو "تتويج للنصر اليهودي والصهيوني في العالم وخاصة اليوم على الكنيسة الأم، كنيسة روما. لقد كانت غرناطة نتيجة التعايش الغربي الاسلامي اليهودي الذي أعطى النور والمعرفة والحضارة للعالم". لقد اعتبر الزعيم الدرزي ان الاتفاق الفاتيكاني الاسرائيلي هو نتيجة اتحاد الغرب المسيحي مع الصهيونية ضد العرب والمسلمين. ويتابع جنبلاط: "لا يمكننا في هذه المرحلة تقويم أهداف هذا التحالف الغربي الصهيوني، الا انه يمكننا القول ان هويتنا العربية في خطر وكذلك الاسلام؛ ويجري كل هذا في وقت يتم فيه الاعداد لزيارة بابوية الى لبنان وفلسطين المحتلة (يراد منها) أن تكون تتويجا لهذا التحالف. ان أي كلام آخر حول زيارة الحبر الأعظم لا معنى له ولا قيمة". وقد هاجم جنبلاط الكنيسة الكاثوليكية في لبنان لأنها وافقت عن قرار الكرسي الرسولي. "ان تصريحات بعض قادة الكنيسة حول حقوق الانسان وغيرها من الشعارات الطنانة لم يكن مسموعاً بها عندما كان الجيش الاسرائيلي المحتل يدك بيروت (في ١٩٨٢) أو عندما وقع الاتفاق اللبناني الاسرائيلي (١٩٨٣)؛ انهم يتكلمون فقط عن خروقات حقوق الانسان بعد اتفاقية الطائف ويهاجمون الوجود السوري في لبنان. ان هذا هو ما يعنيه البطريرك (الماروني) وغيره من المفكرين"؛ وقد تابع جنبلاط هجومه ليقول: "اذا كان يوحنا بولس الثاني مهتماً بحقوق الانسان كما يدعي بعض قادة الكنيسة في لبنان فإن على البابا، المسؤول كما الالمان عن تقسيم يوغوسلافيا، ان يناضل كي يحصل المسلمون في البوسنة.

والهرسك على حقهم في الدفاع عن انفسهم وأن يدعم حقوق الانسان حيث ترتكب المجازر في ساراييفو، توسلا، وموستار. وقبل أن يزور لبنان على البابا ان يوقف المذابح هناك ويسمح للمسلمين بتسليح أنفسهم لأنهم بشر يؤمنون باله واحد كما يؤمن هو (يوحنا بولس الثاني)"(١٣). ان هجوم جنبلاط العنيف يجب وضعه ضمن اطار اللعبة السياسية اللبنانية. لقد أغضب السياسي اللبناني أن يزور السفير البابوي بابلو بوانتي منطقة الشوف، حيث تعيش غالبية الطائفة الدرزية، لتحديد أمكنة محتملة يزورها البابا دون التنسيق المسبق مع الزعيم الدرزي. أضف الى هذا ان لجنبلاط حساباً يسويه مع البطريرك الماروني صفير الذي رفض ان يزور الشوف حتى تتم عودة جميع المهجرين الى ديارهم. وأخيراً، فإن تصريح جنبلاط جاء عشية زيارته لايران وأراد ان يرسل اشارة الى السوريين على انه لاعب مهم على الساحة اللبنانية.

لقد عبّر سياسيون لبنانيون آخرون عن معارضتهم للاتفاق الفاتيكاني الاسرائيلي. فانعام رعد رئيس الحزب القومي السوري الاجتماعي - القيادة العليا، قد أدان الاتفاقية "لأنها ترتبط بالمسيحية وبمبادئها" مصرّحاً انه كان يأمل لو أن "الفاتيكان قد بقي فوق النزاعات كمصدر الهام روحي للجميع بدل أن يصبح طرفاً في النزاع العربي الاسرائيلي". واضاف رعد ان الفاتيكان يندد بالعنصرية بينما يوقع في الوقت ذاته على اتفاقية مع "دولة عنصرية تنتهك حياة وحقوق الانسان في المنطقة". ويتابع رعد قوله ان الاتفاق الفاتيكاني الاسرائيلي ليس حواراً ولا اتفاقاً بين الكنيسة وديانة أخرى "وانما هو تبنياً لوجهة النظر الصهيونية القائلة بأن اليهود هم شعب وان اسرائيل هي دولة في العالم كما ارادها هرتزل ان تكون". وقد أدان رعد الاتفاقية معتبراً أنها لصالح اسرائيل فقط: "لم يكن لهذا الاتفاق ان يكون لو ان العرب كانوا متحدين ضد تطبيع العلاقات مع اسرائيل ولو لم يوقع الفلسطينيون اتفاقية غزة اريحا(١٤). لقد ترددت هذه الاعتراضات في تصريحات الكثيرين من القادة العرب مسلمين ومسيحيين الذين عارضوا "الاتفاق الأساسي".

ان توقيت الاتفاق الفاتيكاني الاسرائيلي ووقعه على الزيارة البابوية للبنان قد جُسّد في جنوب لبنان، المنطقة التي تتعرض يومياً للقصف والاحتلال الاسرائيلي. لقد قام المطران مارون صادر مطران صور باستفتاء أبناء ابرشيته حول زيارة البابا وكانت النتيجة ان العديد من أبناء الجنوب كانوا ضد الزيارة بسبب قرار الفاتيكان الاعتراف باسرائيل. وقد تمثلت هذه الآراء بتصريحات ادلى بها رجال دين ودنيا جنوبيون الى مجلة **الشراع**. لقد اعتبر الشيخ الشيعي علي ياسين من صور ان زيارة البابا للبنان كانت لتكون عملاً مرحباً به لو لم يعترف الفاتيكان باسرائيل: "لقد كان على البابا أن يدفع لاسرائيل لقاء زيارته وأن يسعى الى موافقتها كي يزور لبنان. كما ان قرار الفاتيكان لم يأخذ بعين الاعتبار مصير القدس واماكنها المقدسة ولم يتشاور (البابا) مع أهلنا في الجنوب الذين يسقطون يومياً ضحايا العدوان الاسرائيلي". اما بالنسبة لأبي أحمد الرز، وهو عامل من صور، فإن زيارة البابا الى لبنان كمثل "من يدخل لبنان بسمة دخول اسرائيلية مختومة على جواز سفره". كما اعتبر آخر من سكان صور ان زيارة البابا كان يمكن اعتبارها حدثاً جيداً لو لم يسبقها الاعتراف باسرائيل: "ان الأمر كمثل من يقول لنا ان البابا قد تبنى موقفاً حيادياً بين الضحية والجلاد؛ لقد اعترف (البابا يوحنا بولس الثاني) باسرائيل الجلاد ويزورنا نحن الضحية"(١٥).

بالاضافة الى ما تقدم فإن "الاتفاق الأساسي" قد أصبح موضوع سجال حاد في وسائل الاعلام اللبنانية بين مؤيدي الاتفاق ومعارضيه. ففي افتتاحية حامية النبرة يورد طلال سلمان، رئيس تحرير صحيفة **السفير** أربع ملاحظات حول خطوة الفاتيكان. تتعلق الملاحظة الأولى بتوقيت الاتفاقية؛ ويعتبر سلمان ان الفاتيكان قد أساء توقيت اعترافه باسرائيل: "بغض النظر عن النزاع المسلح بين الدولة الصهيونية والعرب، وتحديداً الفلسطينيين اصحاب الأرض، فإن الاعتراف قد تم قبل انهاء حال الحرب والعداوة بين العرب والسرائيليين". اما الملاحظة الثانية التي أوردها سلمان فهي ان خطوة الفاتيكان تشكل ربحاً اضافياً للاسرائيليين عوض ان تكون مادة ضغط سياسي وروحي ومادي يستعملها الفاتيكان مع

اسرائيل التي ترفض سلاماً شاملاً وعادلاً في الشرق الأوسط. "لقد كانت خطوة الفاتيكان مصدر ضغط اضافي على الفلسطينيين الذين أجبروا على تقديم جميع أنواع التنازلات منذ محادثات أوسلو". والملاحظة السياسية الثالثة التي يوردها سلمان تتعلق بصلب الاتفاقية؛ ويقول ان الفاتيكان قد جعل من اسرائيل ممثلة ليهود العالم: "فكما ان الكرسي الرسولي هو مصدر الولاء الأول لكاثوليك العالم، هكذا تصبح اسرائيل، باعتراف الفاتيكان، المركز الرئيسي لليهود في العالم". ويتابع سلمان: "لقد أضافت اسرائيل بعد اعتراف الفاتيكان بها مصدر ضغط على اليهود في العالم وأكثر من الضغط الذي للفاتيكان على الكاثوليك. ان الفاتيكان ليس "دولة" لكل الكاثوليك حتى ولو كان مصدر حاجاتهم الروحية". ويعتبر سلمان ان للفاتيكان الزعامة الروحية على الكاثوليك، اما ولاءاتهم فهي لدولتهم". وقد عبر المحرر اللبناني عن حزنه كون الاتفاقية تخلط بين القضايا السياسية واللاهوتية عندما تذكر "الطبيعة المميزة للعلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودي والمسيرة التاريخية للمصالحة والتفاهم المشترك والصداقة بين الكاثوليك واليهود". ويعجب سلمان كيف تنازل الكرسي الرسولي لاسرائيل أن تكون الممثل الرئيس لليهود في العالم وسأل: "هل هناك حقاً شعب يهودي؛ واذا كان الأمر كذلك، فلماذا ينكر الفاتيكان على الكاثوليك والمسيحيين والمسلمين أن يطلقوا على انفسهم لقب "شعب" كالشعب اليهودي". ويتابع متسائلاً ما اذا كانت الاتفاقية دينية أم سياسية في حقيقتها. ويضيف سلمان تساؤلاً آخر وهو ما اذا كانت "عملية المصالحة التاريخية" هي جزء من صفقة سياسية مع القوى العظمى في العالم ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية التي اصبحت القوة العظمى الوحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. "ان هذه القوى هي، في معظمها غير كاثوليكية، وبالتأكيد غير مسلمة".

ويتناول سلمان أيضاً مسألة "الوضع القائم - ستاتيكو" في الاماكن المقدسة (البند الرابع من الاتفاق). ويسيء سلمان تفسير المعنى الحقيقي للكلمة ويتهم الكرسي الرسولي بالاعتراف لاسرائيل باحتلال الاراضي العربية. اما النقطة

الرابعة التي يوردها سلمان فتتناول مدينة القدس وفي هذا السياق يكتب ان الاتفاق لا يأتي على ذكر وضع الأماكن المقدسة لا حاضراً ولا مستقبلاً: "أيعني هذا ان الفاتيكان، بحذفه ذكر القدس من الاتفاق، قد قبل موقف اسرائيل الرسمي، أم هناك صفقة أخرى خاصة حول مدينة القدس وحدها؟ لماذا لا يكون التدويل شرطاً على اسرائيل كما هو الحال مع الأردن؟" وينهي سلمان مقالته بذكر زيارة البابا الى لبنان (والتي تأجلت في العام ١٩٩٤) معرباً عن أمله أن "تستغل هذه الزيارة لمصلحة تحرير لبنان من الاحتلال الاسرائيلي"(١٦).

وللرد على مجمل هذه الانتقادات لقرارات الكرسي الرسولي ولزيارة البابا المقررة الى لبنان، فقد قام السفير البابوي في لبنان وكبار رجال الكنيسة المارونية بمحاولات لتوضيح الأمور. لقد عبر القاصد الرسولي في لبنان، المونسنيور بابلو بوانتي، في مقابلة أجريت معه عن حزنه "لسماع الكثير من التصريحات الخاطئة وغير الدقيقة... ان محادثات الكرسي الرسولي مع اسرائيل، ولوقت قريب جداً، كانت تعقد على مستوى منخفض التمثيل وخاص. أما اليوم (مع الاتفاقية) فان لنا صوتاً أقوى لتوضيح موقفنا من مجمل القضايا التي يتمّ بحثها اليوم في المنطقة". وبخصوص مدينة القدس فقد صرح المونسنيور بوانتي ان موقف الكرسي الرسولي لم يتغير أبداً: "وبكلام اخر، فإن وضع مدينة القدس يجب أن يكون مضموناً عالمياً". ويعتبر بوانتي ان هناك قضايا اخلاقية اساسية أخرى مهمة جداً للكرسي الرسولي: "وتشتمل هذه القضايا على المسألة الفلسطينية ومسألة الحدود والاحتلال كما هي الحال في جنوب لبنان ومرتفعات الجولان". ويعتبر القاصد الرسولي ان احتلال الأرض بالقوة والانسحابات الجزئية أمران لا يمكن القبول بهما: "لقد دافعنا دائماً عن مبدأ احترام السيادة الوطنية ووحدة الأراضي ولا سيما في جنوب لبنان".

يحاول المونسنيور بوانتي بعد هذا الرد على كل الذين انتقدوا الكرسي الرسولي في لبنان مشدداً على ان الفاتيكان قد وقف طيلة الصراع العربي

الاسرائيلي - الفلسطيني الى جانب العرب ولم يخن الفلسطينيين أبداً: "ان هذه القضية هي بالنسبة للكرسي الرسولي قضية اخلاقية يجب دعمها. ربما يوجد هناك من خان القضية من الداخل ولكن الكرسي الرسولي لم يخن أبداً". وينتقل السفير البابوي بعد ذلك الى ذكر الضغوط الدولية التي مورست على الفاتيكان للاعتراف باسرائيل، ويعيد التأكيد بأن "ايمان الكرسي الرسولي الثابت بعدالة القضية العربية لم يؤدي بنا الى تغيير موقفنا؟" وتابع بوانتي القول انه في أوقات معينة "كان الفاتيكان عربياً اكثر من العرب انفسهم". ان هذه كلمات كبيرة تصدر عن السفير البابوي الذي اضطر للدفاع عن الكرسي الرسولي ضد كل انواع الهجمات المبررة وغير المبررة. ان معضلة الممثلين البابويين في لبنان هي انه عليهم ان يغوصوا دائماً في عمق السياسة اللبنانية كي يدافعوا عن مواقف الكرسي الرسولي. وقد حدث هذا الأمر خلال الحرب اللبنانية حيث اضطر المبعوثون البابويون ان يتناسوا مهماتهم الروحية كي يبرروا دبلوماسية الفاتيكان. لقد اراد بوانتي ان يشدد على انه اذا كانت الحكومات العربية تتفاوض مباشرة مع اسرائيل فلماذا يجب على الفاتيكان ان يبقى على الجوانب؟ ويرى بوانتي ان الكرسي الرسولي كان ينفتح على اسرائيل كي يتسنى له الدفاع عن المصالح العربية.

لقد استعمل في لبنان اعتراف الفاتيكان باسرائيل وزيارة البابا المقررة ككرة قدم سياسية الهدف فيها تسجيل نقاط في شباك الفرقاء المختلفين. ومع هذا فإنه من الضروري ان نؤكد ان الطريقة التي اعتمدها الدبلوماسيون الفاتيكانيون في معالجة هذه الأمور لم تكن متجانسة مع التقاليد الثابتة التي ميزت خطوات الكرسي الرسولي السابقة في الشرق الأوسط، ولربما كان من الأسلم للكرسي الرسولي لو انه قام بتحضير الرأي العام العربي بشأن انفتاحه الدبلوماسي على اسرائيل، علماً ان جميع القادة الكاثوليك في الدول العربية قد ساندوا وبقوة قرار البابا يوحنا بولس الثاني. اذا كان الفاتيكان قد حرص دائماً ان يميز بين المسائل السياسية والدينية فإن هذا الأمر لم يتم توضيحه تماماً من قبل الفاتيكان في التصريحات التي سبقت وتلك التي تلت اعلان الاتفاقية.

تؤكد ردود الفعل العربية ولمرة أخرى على "الاتفاق الأساسي" بين الكرسي الرسولي واسرائيل معضلة البابوية في منطقة من العالم تتشابك فيها السياسة بالدين. أضف الى هذا ان نتائج العملية السلمية لمدريد ما زالت، على الاقل من وجهة النظر العربية، غامضة الى حد بعيد. يعتبر الكثيرون ان اتفاقية غزة ـ اريحا هي عمل خياني من قبل منظمة التحرير الفلسطينية كما انها فعل اذعان لارادة الحكومة الاسرائيلية. لقد كان من الأفضل لو نُصح الكرسي الرسولي بتأخير خطوته الدبلوماسية الى ما بعد هدوء غبار العملية السلمية، لا سيما وان هناك لاعبين رئيسيين هما سوريا ولبنان ما يزالان في مرحلة تحديد مستقبل علاقاتهما مع الدولة العبرية. وأخيراً كان على الكرسي الرسولي ان ينسق جهوده الدبلوماسية مع اسرائيل باطلاع ممثلين عن الطوائف المسيحية وغير المسيحية عليها. وعوض ان يعتبر الاتفاق "اتفاقاً كاثوليكياً"، أي حصرياً، فقد اعتبر الاتفاق بين الكرسي الرسولي واسرائيل كأي صلح منفرد آخر ولا سيما انه يتعلق بأحد أكثر القضايا حساسية في المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية الا وهي القدس.

الفصل الخامس

موجز وخلاصة

موجز

يتناول هذا الكتاب دور الكرسي الرسولي في النزاع العربي - الاسرائيلي منذ ١٩٦٢ حتى ١٩٩٤. وقد شملت مجالات البحث الثلاثة دور الكرسي الرسولي في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، مسألة القدس ومستقبل الأماكن المقدّسة، وتورّط الكرسي الرسولي في الحرب اللبنانيّة.

شكّلت الفرضيّات الثلاثة المتعلّقة بالتعاطي الديني - الانساني للكرسي الرسولي وتدخّله الدبلوماسي اطار الفصل الأول حول الكرسي الرسولي والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. وقد تابع التحليل تطوّر موقف الكنيسة الكاثوليكيّة من اليهوديّة خلال المجمع الفاتيكاني الثاني والجدال الذي نتج عن ذلك مع العرب والاسرائيليّين على حدّ سواء. ان ما نتج عن هذا الجدال كان انقساما بين بعض رجال الدين الكاثوليك في الغرب الذين كانوا على استعداد للاعتراف بالرابط التاريخي والديني بين الدولة اليهوديّة وفلسطين، وبين رجال الدين الكاثوليك في الشرق الذي اغضبهم قرار المجمع في التصدّي لقضيّة اليهوديّة، مع ما يمكن أن يستتبع ذلك من سلبيّات على العلاقات المسيحيّة - الاسلامية.

لقد جرت مناقشة مسألة غياب العلاقات الدبلوماسية الرسميّة بين الكرسي الرسولي واسرائيل، فذكرت عدّة أسباب وقسّمت عدّة مسائل فئات، منها شكلي

ومنها أساسي. اما الشكليّة فشملت حقيقة أن الكرسي الرسولي كان متردّدا في اقامة علاقات دبلوماسيّة مع دول تفتقر الى حدود نهائيّة ومعترف بها؛ وقد انطبقت هذه الحالة على كل من اسرائيل والمملكة الأردنيّة الهاشمية ومن بين المسائل الأساسية انه كان على البابا ان يأخذ في نظر الاعتبار مشاعر المسيحيّين العرب في تعاطيه مع الدولة اليهوديّة، وواقع أن العلاقات الدبلوماسيّة الرسميّة بين الكرسي الرسولي واسرائيل يجب أن تؤدي الى ضمانات في شأن تنظيم الوجود الكاثوليكي في اسرائيل. ومع هذا، ومنذ سنة ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل للقدس، اتّبع الكرسي الرسولي موقفا براغماتيا من الدولة اليهوديّة. أخيرا، برز، ثمّة عامل دينيّ، اذ عارض بعض المحافظين في مجلس الكنيسة الكاثوليكيّة الاعتراف بوجود رابط بين اليهود وأرض اسرائيل. تناول الفصل الرابع ردود الفعل العربية واللبنانية على قرار الفاتيكان الاعتراف باسرائيل (١٩٩٤).

ان موقف الكرسي الرسولي من الفلسطينيين قد فرضه اهتمام الكنيسة برعاية السلام مع العدالة، والاعتراف بحقوق الفلسطينيين في تقرير المصير. لقد عبّر الكرسي الرسولي منذ بدء النزاع عن حزنه وادانته لأعمال الارهاب والانتقام، كما انه دعا الاسرائيليين والفلسطينيين الى ان يعترفوا بحق كل واحد منهم في الامان وفي دولة. وتعبيرا منه عن حرصه على مصير الكاثوليك والفلسطينيين اسّس الكرسي الرسولي مؤسستين هما: جامعة بيت لحم والبعثة البابويّة في فلسطين اللتين عبّرتا عن وعي البابويّة للطبيعة الانسانية للنزاع، وعن التزام الكرسي الرسولي رعاية حقّ الشعوب في تقرير مصيرها. ان هاتين المؤسّستين مثلان حسّيان لمبادئ الكرسي الرسولي.

هذا، وقد تمّ التمثيل قضيّتين لاختبار الفرضيّة القائلة بأن الكرسي الرسولي قد اختار بالفعل بين الاسرائيليين والفلسطينيين. الا انه سيّر قضاياه بطريقة تظهر انه وسيط غير منحاز. وتناولت القضيّة الأولى الهجوم الاسرائيلي على مطار بيروت سنة ١٩٦٨ اثر مهاجمة الفدائيين الفلسطينيين هدفاً اسرائيلياً. لقد أثارت برقية

المؤاساة التي بعث بها البابا بولس السادس الى الرئيس اللبنانيّ الغضب والجدال في اسرائيل. والواقع ان الاسرائيليين اتّهموا البابا بالانحياز الى العرب، وبنسيان الدور "السلبي" الذي اتّخذته الكنيسة الكاثوليكيّة خلال المحرقة.

أما القضيّة الثانية فتركّزت حول لقاء البابا بولس السادس رئيسة الحكومة الاسرائيليّة غولدا مائير سنة ١٩٧٣، واستقبال البابا يوحنا بولس الثاني رئيس منظّمة التحرير الفلسطينيّة ياسر عرفات. وقد حاول الكرسي الرسولي في كلتا الحالتين المحافظة على موقف غير منحاز. ظهر في تحليلي لهذه المسألة ان هناك فرقاً في شخصية كل من البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني فالأول أبقى اجتماعه مع غولدا مائير على المستوى الرسمي للعلاقات الثنائيّة من دون ان يدلي بتصاريح تتناول حلّ النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. وعلى العكس من هذا، فان البابا يوحنا بولس الثاني قرّر ان يبيّن للطائفة اليهوديّة والاسرائيليين ماذا فعلت الكنيسة لهم خلال المحرقة. كما أنه حثّ عرفات على نبذ الارهاب وسيلة لاستعادة الحقوق المشروعة لشعبه.

أما الفرضيّة الثالثة فدارت حول قضيّة المطران كبوجي والمشاعر التي أثارها توقيفه في اوساط الاسرائيليين والعرب من مسلمين ومسيحيين. لقد قرّر الكرسي الرسولي أن يضع كل جهوده في دعوة الاسرائيلي الى العفو واطلاق سراح المطران كبّوجي. ان النقطة الاساسية هي انه نوع من الاعتماد الضمني بين الكرسي الرسولي والدولة اليهودية. والواقع انه كان على البابا ان يعرف ان عليه الاعتراف بحقيقة دولة اسرائيل كي يحمي مصالح الكاثوليك في الأرض المقدسة. ومن جهة أخرى فان اسرائيل كانت تتطلّع بحماسة الى مدخل للحصول على اعتراف رسمي من الكرسي الرسولي. اضف الى هذا ان ليس لاسرائيل مصلحة في مجافاة الكرسي الرسولي لها نظراً لما لها من علاقات مع بلدان يكثر عدد الكاثوليك فيها.

أما بالنسبة الى مسألة القدس والأماكن المقدسة فان الكرسي الرسولي كان

وما يزال طرفاً في النزاع، وذلك لأنه اختار أن تحافظ على الحوار بين الأديان مع اليهود والمسلمين وان يوقف هجرة المسيحيين من الاراضي المقدسة. لقد تناول الفصل الثاني أهمية القدس الدينية بالنسبة الى اليهود والمسيحيين والمسلمين. ثم ركّز على وضع القدس القانوني منذ الحقبة العثمانية حتى ضمّ اسرائيل المدينة سنة ١٩٦٧. وقد تمّ تقديم تحليل مفصّل للتهديدات والتناقضات التي تواجه الطوائف المسيحية التي تعيش في المدينة المقدسة، فتبينت أربعة مصادر رئيسة للتوتر هي: مشكلة الهجرة، مشكلة الخلافات المسيحية الداخلية، المسيحية الاسلامية، والمسيحية الاسرائيلية. وقد شكّلت مصادر التوتر هذه عقبة أمام اهتمامات الكرسي الرسولي المسكونية.

لقد ظهر جانب مثير للاهتمام في معرض تحليل أوضاع الطوائف المسيحية تبلور بالخلاف بين بعض الجماعات المسيحية في لبنان التي عبّرت علنا عن عدائها للوجود الفلسطيني في لبنان، وبين المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين في الأرض المقدسة والتي توحّد فيما بينهم روابط مشتركة. أما المشكلة الرئيسة الثانية فظهرت في اختلاف المصالح الدينية العالمية في القدس عن مصالح الطوائف المسيحية المحلية. بعد هذا التحليل كان هناك عرض موجز لمواقف الدول العربية والاسلامية ومواقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي من وضع مدينة القدس.

لقد استند تحليلي لدور الكرسي الرسولي في القدس على مقدّمة منطقية واحدة رئيسة، وهي ان الكرسي الرسولي كان يعارض السيطرة الدينية والسياسية على مدينة القدس لأي من الديانات الموحدة الثلاث. وقد تناولت القضايا موضوع الدرس محاولات "تهويد" القدس ومعارضة الكرسي الرسولي لذلك، الاجتماع بين البابا بولس السادس وبعض الزعماء الأفارقة، والتصريح الذي صدر عقب ذلك والذي أثار ضجة في اسرائيل حول دعوة الكرسي الرسولي الى ايجاد وضع خاص للقدس مضموناً عالمياً. وقد شملت قضايا الدرس الأخرى ردّ فعل الكرسي الرسولي تجاه ندوة طرابلس الغرب التي صدر عنها بيان يقول أن القدس هي مدينة

عربية والمقالة المهمة حول القدس التي نشرتها صحيفة **الاوسرفاتوري رومانو** (١٩٨٠) ورسالة البابا يوحنا بولس الثاني بعنوان "عام الخلاص" (١٩٨٤).

لقد جرى امتحان تدخل الكرسي الرسولي لحماية الحقوق غير الثابتة للطوائف المسيحية التي تعيش في القدس في عرض لقضية دير Notre Dame وهو نزل يمكله كهنة فرنسيون في القدس، بيع الى الحكومة الاسرائيلية من دون موافقة الفاتيكان. وفي سنة ١٩٧٣ أعادت الحكومة الاسرائيلي بيع النزل الى الكرسي الرسولي، ومنذ ذلك الحين أصبح النزل رمزاً لموقف الكرسي الرسولي من الطوائف غير اليهودية التي تسكن الأرض المقدسة.

أما النزاع الثالث الرئيسي الذي تورط فيه الكرسي الرسولي فكان الحرب اللبنانية. لقد عرض الفصل الثالث تقويماً لخيارات القوى المحلية والاقليمية والدولية بالنسبة الى النزاع في لبنان، وقد استعمل هذا خلفيّة لتحليل دور الكرسي الرسولي. ان هدف الكرسي الرسولي الأساسي خلال الحرب اللبنانية كان انقاذ لبنان كدولة مستلقة، في سبيل حماية الوجود المسيحي ليس في لبنان وحسب بل في الشرق الأوسط كله. اختار الكرسي الرسولي أن يقوم بدور الوسيط والموّفق بين الجماعات المختلفة، مشدّداً على الحدود التي تفرضها طبيعة مهمّته الروحية.

لقد تعارض موقف الكرسي الرسولي مع موقف الميليشيات المسيحية التي ظنت ان الفاتيكان سوف يساندها في حربها ضد الفلسطينيين. أضف الى هذا ان الكرسي الرسولي شدّد على أن اللبنانيين وحدهم قادرون على حلّ مشاكلهم، وعلى انهم يجب ان يلتفوا حول السلطات الشرعية كرئيس الجمهورية - مثلاً. كما أن نظرة الكرسي الرسولي الى أن هناك صلة اكيدة بين الحرب في لبنان والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني لم تلتق تفسير زعماء موارنة مهمين للحرب طالبوا بفصل المشكلة اللبنانية عن مسائل المنطقة.

حاولت في الفصل الثالث إثبات انه مع تزايد التهديد للتعايش المسيحي - الاسلامي في لبنان يتزايد احتمال تدخل الكرسي الرسولي. ونذكر على وجه

الخصوص هنا الجدال والمشاعر الحادة التي تفجرت بين البابا وبعض الزعماء السياسيين والدينيين الموارنة. لقد نظر الفاتيكان نظرة سلبية الى قرار الميليشيات المسيحية إقامة علاقات مع اسرائيل، وذلك نظراً الى الضرر الذي يمكن أن تسبّبه للطوائف المسيحية الأخرى التي تعيش في البلاد العربية.

إن كون المسكونية والتعايش السلمي يحتلان مكانة عالية في سلّم اولويات الدبلوماسية البابوية تجاه لبنان قد تمّ اختبارها بواسطة بعثات الوساطة التي أوفدها البابا الى لبنان. ان الميزة المشتركة لهذه البعثات كان النمط الثابت في دبلوماسية الكرسي الرسولي. لقد أرسل الكاردينال باولو برتولي، وهو الدبلوماسي المخضرم الذي سبق له ان خبر لبنان، مرتين الى لبنان، الأولى سنة ١٩٧٥ والثانية سنة ١٩٧٨، كما ان المونسينيور ماريو برنيني سبق له أن عاش في لبنان وتحصل لديه اطلاع عميق في شؤون الشرق الاوسط. لقد صممت جميع هذه البعثات لتستوعب الخلافات المتزايدة في الطوائف اللبنانية. أرسل البابا يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٨٠ امين سر الفاتيكان الى لبنان كي يدفع الأخطار التي كانت تهدد الطائفة الكاثوليكية. لقد أتى الكاردينال كازارولي في مهمة رعوية وحاول التوفيق بين الموارنة، أولاً، ومن ثمّ بين اللبنانيين.

خلاصة

ان الكرسي الرسولي هو لاعب عَبْر أممي مهم لا يجوز إغفاله وبخاصة الآن، وفي ضوء السياسة التي يتّبعها البابا يوحنا بولس الثاني. في درجة أولى يتدخل الكرسي الرسولي في الشؤون العالمية كمؤسسة دينية. وعلى ضوء كونه لا يملك وسائل حسية - سياسية، اقتصادية وعسكرية - في تصرفه فان الكرسي الرسولي من اللاعبين القلائل، إذا لم يكن الوحيد، في القضايا العالمية الذين يجب أن يعتمدوا على تاثير عامل غير ملموس، هو المكانة الأخلاقية للبابا، في سبيل إحلال السلام. مثال ذلك ان الكرسي الرسولي - بعكس الولايات المتحدة او غيرها من الدول يمكنه أن يستقبل زعماء عربا واسرائيليين على قدم المساواة، كما أن الزعماء

العرب والاسرائيليين يكّنون احتراماً كبيراً لشخص البابا، وهو رمز الاعتدال. ان سلبية هذا الامتياز هو أن المشاركين في مشكلة الشرق الاوسط يحاولون أن يحوّروا الرمزية الموجودة في التصريحات والأعمال البابوية لتبرير مزاعمهم.

يمكن تبيّن تميّز الدبلوماسية البابوية، ايضاً، في تعاطي الكرسي الرسولي مع العرب والاسرائيليين. هنا يتعامل الكرسي الرسولي معهم كمسلمين ومسيحيين ويهود، وتالياً بتداخل الأمران الروحي والزمني، مما يجعل التدخل البابوي اكثر صعوبة. ان قوة زمنية كالولايات المتحدة ، مثلاً، يمكنها ان تتعامل مع العرب والاسرائيليين على قاعدة تحسين مصالحها، اذ أن دين المتحدثين باسم اميركا أمر غير ذي شأن حتى عندما تدعو الحاجة لأخذ الحساسيات الدينية في نظر الاعتبار. الا انه عندما يدخل البابا في الصراع فيغدو من الضروري كراس للكنيسة الكاثوليكية وللدبلوماسية البابوية أن يركّز دائماً على الأمور ذات الطابع الروحي. مثلاً، ان على الكرسي الرسولي أن يذهب بعيداً مع المسلمين واليهود كي يكوّن روابط قوية من شأنها التغلّب على مشاكل في الوضع السياسي. ومنذ المجمع الفاتيكاني الثاني تمكّنت البابوية من التشديد على القواسم المشتركة بينها وبين البلدان العربية والاسلامية بالنسبة الى الامور الدنيوية. الا أن الخلافات على الصعيد الديني ما زالت بحاجة الى تسوية. زد على ذلك أن الكرسي الرسولي يعي وعياً تاماً انه يجب تسوية الخلافات في القضايا الدينية والدبلوماسية قبل امكانية تطوير علاقة صريحة ومتجانسة بين الكرسي الرسولي والطائفة اليهودية فدولة اسرائيل. ان هذا الوضع يبرهن بوضوح الطبيعة المتميزة للدبلوماسية البابوية وتشعبات القضايا التي على الكرسي الرسولي التعامل معها.

يطوّر الكرسي الرسولي دبلوماسيته باستمرار، انطلاقاً من كونه لاعباً عبر أمميّ متميزاً، على المستوى الكوني اي أنه يصوغ سياسته من ضمن وجهة نظر عالمية، ويعكس الوجه العالمي للكنيسة. ان مثل هذه السياسة تفرض على الكرسي الرسولي الامتناع عن تبنّي المواقف المنحازة. وفي نتيجة ذلك، تصبح البابوية

متورطة بعمق، فقط في القضايا التي تصبح فيها مصالح الطوائف الكاثوليكية في خطر داهم.

يتجنّب الكرسي الرسولي في النزاع العربي - الاسرائيلي تقديم حلول محدّدة لمشاكل تؤثر في شعوب المنطقة. الاّ أن هذا الحياد تخرقه أحياناً عاطفة البابوية تجاه الفلسطينيين، الشعب الذي يعتبر محروماً من حقوقه المشروعة، وبسبب واقع هو ان الشعب الفلسطيني يضمّ أقليّة من الكاثوليك.

ان الثبات والبراغماتية تشكّلان الدبلوماسيّة البابوية في مسائل ثلاث: النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، وضع القدس والاماكن المقدسة، والحرب اللبنانية. وهاتان الخاصيتان تطبعان التطور البابوي منذ أواسط الستينات. ان موقف الكرسي الرسولي من الدولة اليهودية، مثلاً، قد تطوّر من شعور بالتردد والخوف الى رغبة في مراعاة المصالح الكاثوليكية مع مصالح اسرائيل. ومع الابقاء على الهدف الاساسي للكرسي الرسولي، وهو الحفاظ على الوجود والمصالح الكاثوليكية، توصلت البابوية الى النتيجة التالية وهي انه بالرغم من ان تطبيع العلاقات الثنائية تحتاج الى وقت طويل فان الكرسي الرسولي واسرائيل يمكنهما صياغة سلسلة من القوانين الضمنية التي تحمي مصالح كل منهما، ومراعاتها.

يمكن استشفاف نمط التطور نفسه في الدبلوماسية البابوية تجاه القدس. والواقع انه في تقويمي لموقف الكرسي الرسولي من المدينة المقدسة وجدت ان السياسة البابوية قد مرّت بخمسة مراحل من التطور. لقد ركّزت المرحلة الأولى على أولوية الحقوق الكاثوليكية على حقوق "الكفار" والجماعات المسيحية الأخرى. أما المرحلة الثانية فشهدت دعم الكرسي الرسولي للتدويل. وفي المرحلة الثالثة طالب الكرسي الرسولي بوضع خاص للقدس والاماكن المقدسة وحماية الحقوق الدينية والمدنية لجميع الطوائف التي تعيش في المدينة. وقد أبرزت المرحلة الرابعة براغماتية الدبلوماسية البابوية وطبيعتها العملية. قَبِلَ الفاتيكان سيطرة قوة واحدة على القدس شرط أن توضع هذه السيطرة تحت اشراف دولي. وتتجلّى المرحلة

الخامسة في مطالبة البابا يوحنا بولس الثاني بحلّ فوريّ لمسألة القدس لأن البابا يؤمن بأن القدس يمكن ان تصبح عامل تفعيل حلّ بين العرب والاسرائيليين.

أما طريقة تعامل الكرسي الرسولي مع الحرب اللبنانية فتوجّهها نظرته الى لبنان كعالم مصغّر للخلافات المختلفة التي تشوب العلاقات الداخلية وعبر الأمميّة في الشرق الاوسط. ان نجاح صيغة التعايش الاسلامي - المسيحي في لبنان أساسي بالنسبة الى مصير الجماعات المسيحية في الشرق. فخلال فترة الحرب، غالباً ما كرّر الكرسي الرسولي القول انه عبر الحوار فقط يمكن ان يأمل اللبنانيون في حلّ مشاكلهم. لقد حذّر البابا ووسطاؤه اللبنانيين من الاّ يعقدوا الآمال الكبيرة على التأثيرات الملموسة للدبلوماسية البابوية. عبّر الكرسي الرسولي عن تضامنه مع لبنان بتحريك كل الامكانات المتوافرة للبابوية من دبلوماسية وإنسانية ولم تذهب دعوات البابا من أجل لبنان سدى، اذ لبّتها، منذ بدء الحرب، قوى زمنية مثل الولايات المتحدة وفرنسا. لقد ركّزت دعوات البابا على مساعدة اللبنانيين لتحرير أنفسهم من الضغوط والتدخلات الخارجية.

ان اكثر ما يؤلم الكرسي الرسولي هو أن الوحدة بين المسيحيين في لبنان ما تزال غير محقّقة. ونظراً الى طبيعة طائفتهم المستقلة والمترابطة فقد رفض بعض الموارنة في لبنان أن يروا بلدهم ذائباً كلياً في المحيط العربي الاسلامي. من جهة أخرى يشعر الروم الأرثوذكس ان كنيستهم وتقاليدهم هي جزء لا يتجزأ من العالم العربي وبالتالي فانهم لا يرضون بالعلاقة التي نشأت بين الميليشيات المسيحية واسرائيل.

يشكّل لبنان والمحافظة على الطوائف المسيحية فيه الدليل الأهم بالنسبة الى اتجاهات الدبلوماسية البابوية تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي. فاذا حمل الوضع في لبنان نوعاً من الحلّ الوسط بين طوائفه الأساسية فانه يمكن اعتبار مصير المسيحيين عندئذ مضموناً نوعاً ما. أما إذا كان سينهار لبنان نتيجة الاتفاقات الهزيلة والصراع المستمر فإن الكرسي الرسولي سوف يضطر الى حشد كل

الطاقات المتوافرة لدبلوماسيته لانقاذ ما سيبقى من الوجود المسيحي. قد تضطر البابوية على ضوء المشاكل المعقدة في الوضع اللبناني إلى إجراء تنازلات صعبة، والى القيام بأعمال ملموسة للحؤول دون أن يحجّر التاريخ الكنيسة في لبنان والشرق الأوسط. وهذه هي اهم العوامل خلف قرار البابا يوحنا بولس الثاني قيام زيارة رعوية الى لبنان في ايار ١٩٩٧.

ان الملاحظة الأخيرة التي تتولّد من هذا الكتاب هي ان دبلوماسية الكرسي الرسولي فاعلة فقط في مجالات القضايا الدينية، وهذا ما ظهر في إطلاق سراح المطران كبوجي وقضية نزل السيدة في القدس. وقد شكّلت هاتان القضيتان تحدّياً مباشراً لسمعة البابوية التي كان عليها ان تبرهن للمقيمين من المسيحيين وغير المسيحيين ان الكرسي الرسولي لن يتوانى عن حماية المصالح المسيحية في الشرق الاوسط.

ان فعالية الكرسي الرسولي في النزاعات ذات الطابع الاتني والوطني تحدّ منها الانقسامات العقائدية والسياسية والدينية بين الأطراف المتحاربة. ففي لبنان، مثلاً، كلّما طال الخلاف بين الأطراف المتعددة أصبح أصعب على الكرسي الرسولي تنفيذ حوار صريح وسلمّي بين اللبنانيين. وقد نشأ الوضع نفسه في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. ان هاتين المشكلتين يصعب حلّهما من وجهة نظر القوى الاقليمية والدولية التي اختبرت مقدرتها الدبلوماسية لإيجاد حلّ. فليس من المستغرب، إذاً، أن يكون الكرسي الرسولي غير فاعل جداً في محاولته جعل الأطراف يخفّفون من الأضرار التي يلحقها بعضهم ببعض، بفعل نزاعاتهم.

أغلب الظن ان الكرسي الرسوليَ سيحاول في المستقبل أن يحافظ على نهجه الأساسي ويعزّزه بالنسبة الى الشرق الأوسط، وهو يقضي بحماية الأقليات الكاثوليكية والمسيحية، ومعارضة اية سيطرة من طرف واحد على القدس، ودعوة كل من الاسرائيليين والفلسطينيين الى الاعتراف بحقوق الطرف الآخر مع تفضيله الفلسطينيين، والحفاظ على صيغة التعايش المسيحي - الاسلامي في لبنان.

لقد ولّدت هذه الدراسة من ندرة الكتابات حول دور الكرسي الرسولي في النزاع العربي - الاسرائيلي وفي الشرق الأوسط عموماً، وهي خطوة أولى يتبعها الدارسون. ان الصعوبة الأساسية في مثل هذا النوع من البحوث هو عدم توافر المصادر. ان دائرة المحفوظات في الفاتيكان مغلقة لسنوات قادمة، ولذلك فأن تقصّي دور البابوية سيعتمد على المراجع والمقابلات والاستقراءات التي يمكن أن تلغيها التطورات في المنطقة. ومع هذا فإن حسنة تقويم الدبلوماسية البابوية تنبع من كون الكرسي الرسولي لا يغيّر سياسته فجاة. ان الكنيسة، كما قال الكاردينال غاسباري مرة، تفكّر على مستوى "الابدية".

ومن منطق الاقتراح لدراسات مستقبلية هناك حاجة الى تحليل دقيق لدور الكنيسة الكاثوليكية الاميركية في النزاع العربي - الاسرائيلي، اذ، منذ منتصف الستينات، حلّت الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة مكان نظيرتها في اوروبا كمحور للتاثير والتنظيم. ان دراسة كيفية تعاطي المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة مع الشرق الوسط ستكون ذات فائدة عظيمة.

جدير بالبحث، أيضاً، موضوع تقويم تعاطي رجال الدين الكاثوليك الغربيين مع النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، وكيف يختلفون عن رجال الدين الكاثوليك في الشرق الاوسط. هل من الممكن أن يقوم حوار صادق بين الكاثوليك من شأنه أن يحدث تقارباً بين المسيحيين والمسلمين واليهود؟

ومن المواضيع المتصلة بالبحث موضوع دراسة المنظمات والمؤسسات الكاثوليكية التي تتعاطى شؤون الشرق الاوسط كالبعثة البابوية في فلسطين أو الجمعية اليسوعية عبر مدارسها في البلدان العربية كأن يجري مثلاً تقويم الأثر الذي كان للإرساليات الأجنبية في خلق النخبة السياسية في الشرق.

أخيراً، ان الأهم يكمن في دراسة مقارنة للدبلوماسية البابوية في الأوضاع المتأزمة (بيافرا، فيتنام، وكمبوديا، يوغسلافيا) تقوّم درجة تورط الكرسي الرسولي وخصائصه، ولذلك فائدة كبرى. ومن هذا المنظار سيكون من المفيد، أيضاً، مقارنة

التورط البابوي مع القوى المدنية - مثلاً، دراسة مقارنة لبعثات الوساطة المتعددة التي أرسلتها الدول العربية وفرنسا والولايات المتحدة الى لبنان خلال الحرب، وتبيان وجوه اختلاف هذه البعثات أو وجوه التشابه مع البعثات التي أرسلها الكرسي الرسولي.

لقد هدف هذا الكتاب الى فتح أفاق جديدة على تحليل البابوية ودورها في منطقة معاناة حسّاسة في العالم. حتى لو لم يكن الوجود الكاثوليكي في الشرق الأوسط شأناً مهماً كما في اميركا اللاتينية فإنه يمكن اعتبار السياسة التي يتّبعها الكرسي الرسولي في الشرق الاوسط دليلاً على المكان الذي تتوجه الكنيسة الكاثوليكية. والحقيقة أن ليس هناك من أماكن أخرى يمكن فيها الديانات الموحدة الثلاث - وهي مركوزة بالشكل الذي هي عليه في بقعة جغرافية صغيرة أن تثبت أو تنكر صحة رسالتها.

الهوامش

المقدمة

١. In this study the following definition of the term "Holy See has been adopted: "By *Holy See* we mean the supreme organ of the Church, as understood by Canon 7.... The Holy See is to the Church what the government is to the State, with the difference that the monarchical constitution of the Church, being of divine origin, is not subject to change" (Hyginus Eugene Cardinale,*The Holy See and the International Order* [England: Colin Symthe Ltd., 1976], p.85). The terms "Holy See", "papacy", and "Vatican" will be used interchangeably.

٢. This is an assessment made by Daniel Rossing, director of the Christian Communities Department, a special unit of the Israeli Ministry of Religious Affairs. Quoted in Robert D. Kaplan, "Special Report" Israeli Policy towards Christian Churches", *The Christian Century*, 79 (12Nov. 1980), 36.

٣ Ivan Vallier, "The Roman Catholic Church: A Transnational Actor", in *Transnational Relations and World Politics*, Robert L. Keohane and Joseph S. Nye, eds. (Cambridge: Harvard Univ. Press, 1976), p.150.

٤. Ibid., p.147.

٥. Personal interview with Monsignor Richard Mathes, Jerusalem, 7 May 1983.

الفصل الاول

الكرسي الرسولي والنزاع الاسرائيلي الفلسطيني

١. Personal interview with Father Marcel Dubois, Jerusalem, 10 May 1983. See also his "The Catholic View", *Encyclopaedia Judaica Year Book*, 1974 (Jerusalem: Keter Publishing House, 1974), 167-73. Father Dubois is an Israeli Dominican priest and an advisor to the Holy See's Commission for Religious Relations with Judaism.

٢. The official text of the Balfour Declaration (2 Nov. 1917) stated:"H.M. Government, after considering the aims of the Zionist Organization, accepts the principle of recognising Palestine as the National Home of the Jewish people and the right of the Jewish people to build up its National life in Palestine under a protection to be established at the conclusion of Peace, following upon the successful issue of the war". For further details on the Balfour Declaration, see Leonard Stein, *The Balfour Declaration* (London: Vallentine, Mitchell, 1961).

٣. In the vast literature available on the Arab-Israeli dispute, the most balanced account to date is that by Fred J. Khouri, *The Arab-Israeli Dilemma* (Syracuse, NY: Syracuse Univ. Press, 2nd ed. 1980).

٤. See Edward W. Said, *The Question of Palestine (New York: Times Books, 1979).*

٥. Khouri, *Dilemma*, p.5.

٦. Quoted in *The Pilot*, 6May 1983, p.4.

٧. Regarding Vatican II and the debates on Christian-Jewish relations, see Arthur Gilbert, *The Vatican Coucil and the Jews* (Cleveland: World Publishing Company, 1968); Rabbi Emanuel Rose, "Jews and Judaism in Vatican II", Diss., Hebrew Union College, Jewish Institute of Religion, Los Angeles, May 1969. On the evolution of the Christion-Jewish dialogue since the council, see Marie-Thérèse Hoch and Bernard Dupuy, compilers, *Les Eglises devant le Judaisme: Documents officiels,* 1948-1978 (Paris: Les Editions du Cerf, 1980); L. Sestrieri and G. Cereti, compilers, *Les Chiese Cristiane e l'Ebraismo,* 1947-1982 (Casale Monferrato: Casa Editrice Marietti, 1983). See also Eugene J. Fisher, "A New Maturity in Christian-Jewish Dialogue: An Annotated Bibliography 1973-1983", in *Face to Face: An Interreligious Bulletin,* 11 (Spring 1984) 29-63.

٨. The full text of *Nostra Aetate* can be found in Walter M. Abbott, S.J., gen. ed., *The Documents of Vatican* II (Piscataway, NJ: Association Press, New Century Publishers, 1966), pp. 660-68. Originally, the council debated a document that dealt exclusively with the Jews. Subsequently and in the aftermath of various arguments advanced during the debate, the council fathers decided to include the document on the Jews in the context of the Catholic Church's relations with non-Christians in general.

٩. Ibid., pp. 666-67.

١٠. Ibid., p. 665.

١١. Marcel Dubois, "The Catholic Church and the State of Israel-Thirty Years After", *Ecounter Today* 14/4 (Spring-Summer 1980) 170.

١٢. Rose, "Jews", p. 131.

١٣. F. E. Cartus, "Vatican II and the Jews". *Commentary,* 39/1 (Jan. 1965) 21-22.

١٤. Personal interview, Jerusalem, 26 April 1983. Dr. Wigoder is vice-chairman of the Council on Inter-Faith Relations in Israel and Israel's representative on the International Council for Inter Religious Consultation (IJCIC).

Rose, "Jews", p. 151. .١٥

Personal interview, Bierut, 29 March 1983. See also Rose, "Jews", pp. 150-52. .١٦

Anis al-Kassem, *Nahnu wal Vatican wa Israil* (Beirut: PLO Research Center, June 1966). .١٧

See Saul Friedlander, *Pius XII and the Third Reich: A Documentation* (New York: Alfred A. Knopf, 1966); John F. Morley, *Vatican Diplomacy and the Jews during the Holocaust*, 1939-1943 New York: KTAV publishing House, 1980); Sister Charlotte Klein "In the Mirror of *Civilta Cattolica*: Vatican View of Jewry, 1939-1962", *Christian Attitudes on Jews and Judaism*, 43 (August 1975) 12-16. See also a series of four articles, "Commentaries: The Papacy and the Holocaust", *Social Science and Modern Society*, 20/3 (March-April 1983) 4-31. In order to counter all the claims and allegations against Pope Pius XII's "silence" and the Catholic Church's stand towards Nazism, the Vatican decided to open and publish the documents available in its archives related to this subject. See Pierre Blet, Robert A. Graham, Angelo Martini, and Burkhart Schneider, eds. *Acts et Documents du Saint-Siège relatifs à la Seconde Guerre Mondiale* (Vatican City: Libreria Editrice Vatican, (1965-1980).Until now there are ten volumes available. For a thorough review of this collection, see Victor Conzemius, "Le Saint-Siège et la Deuxieme Guerre Mondiale, Deux éditions de sources", *Revue d'Histoire de la Deuxième Guerre Mondiale et des Conflits Contemporains*, 128 (Oct. 1982) 71-94. .١٨

Al-Kassem, *Nahnu*, p.26. .١٩

During the second and third sessions of Vatican II, the PLO was at its early formation stage. .٢٠

Al-Kassem, *Nahnu*, p. 162. .٢١

Ibid., pp. 103-4. .٢٢

DPersonal interview with Dr.. Yonathan Prato, Jerusalem, 4 May 1983. Dr. Prato was legal counsellor in the Israeli Embassy in .٢٣

Rome.

٢٤. Personal interview with Dr. Zwi Werblowski, Jerusalem, 2 May 1983. Dr. Werblowski is professor of comparative religion at the Hebrew University and former chairman of the Israel Interfaith Committee.

٢٥. The full text of the French bishop's statement can be found in Helga Croner, compiler, *Stepping Stones to Further Jewish-Christian Relations* (London, New York: Stimulus books, 1977), pp. 63-64.

٢٦. R. J. Zwi Werblowski, "Jewish -Christian Relations with Particular Reference to the Contribution of the State of Israel", Christian News From Isreal, 24/2-3 (14-15) Autumn -Winter 1973) 120.

٢٧. *Proche - Orient Chrétien*, 23 (1973) 200.

٢٨. Ibid., p. 213.

٢٩. See *Statement Issued* on May 2, 1973, *in Which More than the*

ثلاJesuits Reject the Declaration (Orientations Pastorales) of French Bishop's Committee for Relations with Judaism. Copy of the statement was given to me by Father Joseph L. Ryan, S.J. See also his "The Catholic Faith and the Problem of Israel and Jerusalem, "In *Jerusalem*: *The key to World Peace* (London: Islamic Council of Europe, 1980), pp. 49-50.

٣٠. Yehoshua Rash, "L'état d'Israël interroge l'Eglise", *Cahiers Universitaires Catholiques*, 5 (may-June 1980) 18. See also his "Le Vatican et le conflit Israélo-Arabe", *Politique Internationale*, 13 (Fall 1981) 250-74, and *Déminer un champ fertile: Les Catholiques Français et l'Etat d'Israël* (Paris: Les Editions du Cerf, 1982).

٣١. Walter Laqueur, "Zionism and its Liberal Critics, 1986-1984", *Journal of Contemporary History*, 6/4 (1971) 180.

٣٢. Journal of Ecumenical *Studies*, 6/2 (Spring 1969) 184.

٢٣. Joseph L. Ryan, S.J., "Anti-Zionism and Anti-Semitism", *Journal of* Ecumenical *Studies*, 7/2 (Spring 1970) 321.

٢٤. On the relationship between the Holy See and the Zionist movement since its inception, see Charlotte Klein, "Vatican and Zionism, 1897-1967", *Christian Attitude on Jews and Judaism*, 36-37 (June-August 1974) 11-16; Pinchas Lapide, *Three Popes and the Jews* (New York: Hawthorn Books, 1967); Raphaêl Patai, ed. *The Complete Diaries of Theeodor Herzl*, 5 vols. (New York/London: Herzl Press/ Thomas Yoseloff,1960); Florian Sokolow, *Nahum Sokolow: Life and Legend* (London: Jewish Chronical Publications, 1975); Esther Yolles Feldblum, *The American Catholic Press and the Jewish State*, 1917-1959 (New York: KTAV Publishing House, 1977); Maria Grazia Enardu, *Palestine in Vatican Relations*, 1936-1939 (Florence, Italy: Cooperativa Universitaria Firenze, 1980); Yehoshua Rash, "Herzl, Weizmann, leurs papes et leurs cardinaux, "*Sens*, 12 (Dec. 1983) 283-303.

٢٥. *L'Osservatore Romano*, 28 May 1948.

٢٦. *The Pilot*, 6 May 1983.

٢٧. Personal interview, Jerusalem, 10 May 1983.

٢٨. On this subject, see Edmund Francis Konczakowski "Vatican Policy Toward the German Order - Neisse Line: A study of Foreign Policy Evolution, 1945-1972", Diss., Univ. of Pennsylvania, 1976.

٢٩. Personal interview with Dr. Meir Mendes, former liaison officer between the Israeli Embassy in Rome and the Holy See, Tel Aviv, 1 May 1983. Dr. Mendes is the author of *The Vatican and Israel* published (in Hebrew) by the Leonard Davis Institute for International Relations, Hebrew Univ. of jerusalem, 1983.

٤٠. *Proche-Orient Chrétien*, the French Greek-Catholic journal published by the White Fathers in Jerusalem, gives regular account of tensions between some Israeli religious groups and local Christian communities.

٤١. Personal interview, Jerusalem, 2 May 1983.

٤٢. *The New York Times*, 26 Nov. 1984

٤٣. Liz S. Armstrong, "Catholic, Jewish House Members Urge Vatican to Recognize Israel", *NC News*, 26 Nov. 1984.

٤٤. *The New York Times*, 22 Oct. 1984.

٤٥. Personal communication, 12 Dec. 1984.

٤٦. On the Christian-Islamic Dialogue, see Pietro Rossano, "Les grands documents de l'Eglise au sujet des Musulmans", *Islamo Christiana* [Rome], 8 (1982) 13-23- Also Youakim Moubarac, *Recherches sur la pensée Chrétienne et l'Islam dans les temps modernes et à l'époque contemporaine* (Beirut: Publications de l'Université Libanaise, 1977); Gaston Zananiri, O.P., *L'Eglise et l'Islam* (Paris: Spes, 1969).

٤٧. Abbott, *Documents*, p. 663.

٤٨. See, e.g., Paul VI's speech in welcoming President Sadat, *Proche-Orient Chrétien*, 26 (1976) 132-34; the speech delivered by Paul VI in welcoming Moshe Dayan, *Proche-Orient Chrétien*, 27 (1977) 341; and the speech Paul VI delivered during the visit of King Hussein of Jordan, *L'Osservatore Romano*, 30 April 1978.

٤٩. *The Pilot*, 6 May 1983.

٥٠. For further details on the Palestinians and the PLO, see Hatem I. Huesseini, *The Palestine Problem: An Annotated Bibliography* (Washington, DC: Palestine Information Office, 1980); William B. Quandt, Faud Jabber, an Ann Mosley Lesch, *The Politics of Palestinian Nationalism* (Berkeley: Univ. of California Press, 1973).

٥١. Personal interview, Washington, DC, 7 July 1983.

٥٢. *L'Osservatore Romano*, 23 Dec. 1975.

٥٣. See Joseph L. Ryan, S.J., "Palestinian Rights: Resonances in the

Life and Themes of Pope John Paul II". prepared for the Fifth United Nations Seminar on the Inalienable Rights of the Palestinian People, (15-19 March 1982) (mimeographed).

٥٤. *The Washington Post*, 6 Oct. 1980.

٥٥. *Jewish Telegraphic Agency*, 8 Oct. 1980.

٥٦. "Israeli Settlements on the West Bank of the Jordan", *L'Osservatore Romano*, English ed., 10 Nov. 1977.

٥٧. From a pamphlet distributed by the CNEWA office in New York; also personal interview with Brother Joe Lowenstein, in charge of the Pontifical Mission for Palestine, Jerusalem, 25 April 1983; and Monsignor John G. Meaney, regional director of the Pontifical Mission for the Near East, Jall-Eddib, 27 May 1983. Monsignor Meaney told me that former secretary of state Alexander Haig's father was among the founding members of CNEWA. In November 1983, a Holy See representative, Monsignor Antonio Franco, stated at the United Nations that "the Pontifical Mission's contribution to the refugees and other Palestinians in need since 1948 has amounted... to more than 150.000.000 dollars" (*L'Osservatore Romano*, English ed., 19 Dec. 1983).

٥٨. J.T. Ryan, "Catholic Near East Welfare Association", *New Catholic Encyclopedia* (Washington, DC: Catholic Univ. of America, 1967), vol. 3, pp. 271-72.

٥٩. From *Insegnamenti di Paolo VI* (Vatican City: Tipografia Poliglotta Vaticana, 1974), vol. 12, pp. 682-83. Also Ed. Maxwell, "Palestine Refugees Key to Peace: Msgr. Nolan", *The Troy Record*, 30 March 1970.

٦٠. Personal interview with Brother Thomas Scanlan, Bethlehem, 27 April 1983.

٦١. Memorandum prepared by the apostolic delegate for Monsignor Nolan, 26 Dec. 1972. Given to me by Brother Gottwald at Bethlehem Univ.

١٢. Personal interview.

١٣. Personal interview.

١٤. See Chaim Weizmann, *Trial and Error* (New York: Harper and Brothers, 1949), p. 286.

١٥. *L'Osservatore Romano*, 30 Dec. 1968.

١٦. *The Jerusalem Post*, 3 Jan. 1969.

١٧. Regarding Pope Paul VI's visit to the Holy Land, see *Il Pellegrinaggio di Paolo VI in Terra Santa (4-6 gennaio, 1964)* (Vatican City: Libereria Editrice Vaticana, 1964). Jewish and Israeli admiration for John XXIII originated from the Pontiff's activism during his stay in Turkey and Eastern Europe where he undertook efforts to save Jews from Nazi extermination. When the Pope's encyclical *Pacem in Terris* (1963) was issued, it was translated into Hebrew. For further details on John XXIII, see Peter Hebblethwaite, *John XXIII: Pope of the Council* (Lebanon: Geoffrey Chapman, 1984).

١٨ Sefardim are Oriental Jews. Rabbi Nissim refused to meet with Paul VI during his visit to the HolyLand in 1964.

١٩. *Proche - Orient Chrétien*, 19 (1969) 89.

٧٠. On 1 Jan. 1969, the Vatican newspaper wrote that circumcision "had lost its justification, given that it was substituted by baptism". This article was interpreted as an attack on the Jewish faith, in which circumcision is still practiced, contradicting the ecumenical spirit advocated by Vatican II. *Proche-Orient Chrétien*, ibid., p.88.

٧١. *The Jerusalem Post*, 3 Jan. 1969.

٧٢. *Proche - Orient Chrétien*, 19 (1969) 92.

٧٣. Ibid.

٧٤. Libanius, "Paul VI et le Liban", *Le Réveil*, 13 Aug. 1978.

٧٥. Ibid.

٧٦. *Proche - Orient Chrétien* 19 (1969)89.

٧٧. *L'Osservatore Romano*, 15-16 Jan. 1973; *The Jerusalem Post*, 17Jan. 1973.

٧٨. *The Jerusalem Post*, 17 Jan. 1973.

٧٩. Golda Meir, *My Life* (New York: Dell Publishing, 1975), p. 393.

٨٠. *Proche - Orient Chrétien*, 23 (1973) 82.

٨١. *The Jerusalem Post*, 18Jan. 1973.

٨٢. *Proche - Orient Chrétien*, 23 (1973)83.

٨٣. *The Jerusalem Post*, 21Jan. 1973. See also Golda Meir, *My Life*, pp. 391-94.

٨٤. *The Jerusalem Post*, 21Jan. 1973.

٨٥. *Le Monde*, 17 Sept. 1982.

٨٦. Personal interview with Vatican official, 13 June 1983.

٨٧. Personal interview.

٨٨. Personal interview wit Dr. Geofrey Wigoder.

٨٩. Personal interview.

٩٠. *Origins*, 23 Sept. 1982, p.240.

٩١. *Philadelphia Enquirer*, 19 Sept. 1982.

٩٢. *Origins*, 23 Sept. 1982, p.240.

٩٣. *The Pilot*, 6May 1983.

٩٤. *Origins*, 30 Sept. 1982, p. 243; emphasis added.

٩٥. Quoted in Joseph L. Ryan,"Palestinians Rights" p. 13.

٩٦. I secured a copy of the dispatch from the Embassy of Lebanon to Holy See.

٩٧. In a personal interview with Father Ibrahim Iyad, a key contact person between the PLO and the Holy See, the clergyman stated that it was Giulio Andreotti, the Italian foreign minister, who actively convinced the Italian president, Sandro Pertini, to welcome Arafats, Los Angels, 22 Nov. 1982.

٩٨. Personal interview, Bir Zeit Univ., 3 May 1983.

٩٩. Personal interview, Tantur, 2 May 1983.

١٠٠. Personal interview, Jerusalem, 17 May 1983.

١٠١. *Proche - Orient Chrétien*, 24 (1974) 343.

١٠٢. This is the name given to members of the Greek Church in the Middle East.

١٠٣. *Proche - Orient Chrétien*, 24 (1974) 338.

١٠٤. Personal interview, Jerusalem, 17 May 1983.

١٠٥. Personal interview.

١٠٦. *Al-Fajr*, Jerusalem Palestinian weekly, 19 Aug. 1983.

١٠٧. Personal interview.

١٠٨. *Proche - Orient Chrétien*, 24 (1974) 242.

١٠٩. Ibid., p. 337.

١١٠. Ibid., p. 346.

١١١. Ibid.

١١٢. *Proche - Orient Chrétien*, 25 (1975) 308.

١١٣. *The Jerusalem Post*, 7 Nov. 1977.

١١٤. *The New York Times*, 7 Nov. 1977.

١١٥. *The Jerusalem Post*, 2 Nov. 1977.

١١٦. *The Jerusalem Post*, 29 March. 1981. The Cohen Law approved the total annexation of Jerusalem.

١١٧. *Proche - Orient Chrétien*, 30 (1980) 350 - 57.

الفصل الثاني

١. Major sources regarding the Jerusalem issue are the books of Bernardin Collin: *Les Lieux Saints*,Coll. Que-Sais-Je? (Paris: Presses Universitaires de France, Snd ed., 1968); *Le Problème juridique des Lieux-Saints* (Paris: Sirey, 1956); *pour une solution au problème des Lieux-Saints* (Paris: G.-P. Maisonneuve et Larose,1974); and *Recueil de documents concernant jérusalem et les Lieux-Saints* (Jerusalem: Franciscan Printing Press, 1982). See also *Jerusalem: A Collection of United Nations Documents* (Beirut: Institute for Palestine Studies,1970); Michel Lelong, *Guerre ou paix à Jérusalem?* (Paris: Albin Michel, 1982); Evan M. Wilson, *Jerusalem, Key to Peace* (Washington, DC: Middle Easr Institute, 1970); H. Eugene Bovis, *The Jerusalem Question*, 1917-1968 (Stanford, CA: Hoover Institution Press, Stanford Univ., 1971); Elihu Lauterpacht, *Jerusalem and the Holy Places* (London: Anglo-Israel Association, Dec. 1980), pamphlet no. 19; Henry Cattan, *Jerusalem* (London: Croom Helm, 1981); Father Joseph L. Ryan, S.J., "Jerusalem in Roman Catholic Perspectives," in *Jerusalem: Key to Peace in the Middle East*, ed. O. Kelly Ingram (Durham, NC: Triangle Friends of the Middle East, 1978), and his "The Catholic Faith and the Problem of Israel and Jerusalem," in *Jerusalem: The Key to World Peace* (London, 1980); see also the two unpublished manuscripts of Father Edward H. Flannery, "The Controversy over Jerusalem: Elements of a Solution." and "A Second Report on Jerusalem," both, issued by the Secretariat for Catholic-Jewish Relations in the United States, Oct. 1971 and April 1972; also the unpublished

paper of Archbishop Joseph T. Ryan, D.D., "Some Thoughts on Jerusalem."The most exhaustive assessment to date concerning Jerusalem can be found in Joelle Le Morzellec, *La question de Jérusalem devant l'Organisation des Nations-Unies* (Brussels: Etablissements Emile Bruylant, 1979).

٢. For futher details, see Dr. Norton Mezvinsky, "The Jewish Faith and the Problem of Israel and Jerusalem, "in *Jerusalem: The Key*, pp. 21037; and Rabbi Elmer Berger, Jerusalem in Jewish Perspectives", in *Jerusalem: Key to Peace in the Middle East* ed. Ingram, pp. 10-24.

٣. The Pilot, 7Aug. 1971.

٤. Joelle Le Morzellec, *Question*, p. 419. See alsoYouakim Moubarac, "La Question de Jérusalem, "*Revue d'Etudes Palestiniennes*, 4 (Summer 1982) 44-47.

٥. Personal interview with Noemi Teasdale, assistant to the Mayor of Jerusalem for Christian Affairs, Jerusalem, 12 May 1983.

٦. Moubarac, "Question", p. 48.

٧. Ibid.

٨. Ibid.

٩. See A.L. Tibawi,*Jerusalem: Its Place in Islam and Arab History*, Monograph Series no. 19 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1969); Dr. Isma'il R. al-Faruqi, "The Islamic Faith and the Problem of Israel and Jerusalem", in *Jerusalem: The Key*, pp. 77-105; also Moubarac, "Question", pp. 51-155.

١٠. Peter Mansfield, "From British Mandate to the Present Day, "in *Jerusalem: The Key*, p. 155.

١١. For further details on this period, see Collin,*Lieux-Saints*, pp. 45-65.

١٢. See Bovis,*Question* pp. 1-5.

١٣. For further details on the *Status Quo*, see Collin, *Recueil*, pp. 89-119. See also S. Sayegh, *Le Statu quo des Lieux-Saints, Nature juridique et Portée internationale* (Rome Libreria Editrice della Pontificia Università Lateranese, 1971).

١٤. Bovis, *Question*, pp. 6-20.

١٥. Fred J. Khoury, *The Arab-Israeli Dilemma* (Syracuse, NY: Syracuse Univ. Press, 1980) p. 102; Bovis, *Question,* chap. 2.

١٦. Bovis, *Question*, pp. 39-41.

١٧. See *Jerusalem*: A *Collection*, p.3.

١٨. Khoury, *Dilemma*, pp. 107-8; Bovis, *Question*, pp. 81-91; the full text of the Statute for the City of *Jerusalem* can be found in Jerusalem: A *Collection*, pp. 19-35.

١٩. Khoury, *Dilemma*, pp. 108-10.

٢٠. For further details, see Silvio Ferrari, "The Holy See and the Postwar Palestine Issue: The Internationalization of Jerusalem and the Protection of the Holy Places, "*International Affairs*, 60/2 (Spring 1984) 261-83.

٢١. *Bulletin of the Christian Information Center*, Jerusalem, 15 Feb. 1979.

٢٢. Latin Patriarchate of Jerusalem, "The Religious Situation in the Holy Land-The Specific Task of Catholics" (Jerusalem, 1977) (mimeographed), p.2.

٢٣. *Journal d'Israël*, 18 Dec. 1979.

٢٤. Daphne Tsimhoni, "Demographic Trends of the Christian Population in Jerusalem and the West Bank, 1948-1978", *The Middle East Journal*, 37/1 (Winter 1982) 61. See also her "The Greek Orthodox Community in Jerusalem and the West Bank, 1948-1978: A Profile of a Religious Minority in a National State", *Orient*, 23/2 (June 1982) 281-98.

٢٥. Saul P. Colbi, *The Christian Churches in the State of Israel* (Jerusalem: The Israel Economist, 3rd. ed., March 1982), p. 2; see also his "The Christian Establishment in Jerusalem", in *Jerusalem: Problems and, Prospects*, ed. Joel L. Kramer (New York: Praeger, 1980), pp. 153-77.

٢٦. Michael C. Hudson, *Arab Politics: The Search for Legitimacy* (New Haven, CT: Yale Univ. Press, 1977), p. 58.

٢٧. For further details on Arab Christians, see Youakim Moubarac, Les *Chrétiens et le Monde Arabe, Tome IV, Pentalogie Islamo-Chrétiens* (Beirut, Lebanon: Editions du Cénacle Libanais, 1972-73); Robert Brenton Betts, *Christians in the Arab East: A Political Study* (Atlanta, GA: John Knox Press, 1978). A very important source regarding the Christian communities from an ecumenical standpoint is *Christianity in the Holy Land: Papers Read at the 1979 Tantur Conference on Christianity in the Holy Land*, D.-M.A. Jaeger, ed. (Jerusalem: Fraciscan Printing Press, 1981).

٢٨. See Henri Fesquet in *Le Monde*, 7-8 April 1974.

٢٩. Rafiq Khoury, *La Catéchèse dans l'Eglise locale de Jérusalem: Histoire, situation actuelle et perspectives d'avenir* (Rome: Pontificia Università Lateranense, 1978), pp. 89-90.

٣٠. Khoury, *Catéchèse*, p. 99.

٣١. Personal interview with Father Frans Bouwen, Jerusalem, 23 April 1983.

٣٢. This statement is reported in an unpublished paper entitled "Qu'est-ce que l'Eglise de Jérusalem?" Monsignor Laham gave me a copy.

٣٣. Khoury, *Catéchèse*, pp. 101-2.

٣٤. *The Jerusalem Post* 1 Feb. 1980.

٣٥. Walter Zander, *Israel and the Holy Places of Chrétien* (New York: Praeger Publishers, 1971), pp. 136.

٣٦. *Proche-Orient Chrétien*, 18 (1968) 86-87.

٣٧. For furthur details on the Israeli position, see Collin, *Solution*, pp. 75-79.

٣٨. See Collin, *Recueil*, p. 268.

٣٩. Le Morzellec, *Qestion*, p. 324.

٤٠. Collin, *Recueil*, p.324..

٤١. Ibid., p.269.

٤٢. Flannery, "Controversy" p. 18.

٤٣. Regarding the issue of the "judaization" of Jerusalem, see Hazem Zaki Nuseibeh, *Palestine and the United Nations* (New York: Quartet Books, 1981), pp. 91-108; see also the articles of Father Giovanni Rulli, S.J., in, *La Civiltà Cattolica*, 1971, II, pp. 429-39; 538-49; III, pp. 281-83, all published in one monograph entitled *Il Problema di Gerusalemme* (Rome: La Civiltà Cattolica, nd.).

٤٤. Le Morzellec, *Question*, p. 421.

٤٥. Collin, *Solution*, p. 97.

٤٦. See Bovis, *Question*, p. 79.

٤٧. Lelong, *Guerre*, p. 93. See also Youakim Moubarac, "La Question de Jérusalem (2)", *Revue d'Etudes Palestiniennes*, 6 (Winter 1983) 64-67.

٤٨. For a full text of the Fahd Plan, see *A Compassionate, Peace: A Future for the Middle East*, a report prepared for the American Friends Service Committee (New York: Hill and Wang, 1982), p. 226.

٤٩. "The City of Peace", *The Tablet*, 28 July 1979, pp. 720-21.

٥٠. *Statement of Lawrence S. Eagleburger, Under Secretary for Political Affairs, Department of State, before the Senate Foreign*

Relations Committee, US Senate, 23 Feb. 1984, on S.2031,p. 3.

٥١. Khoury, *Catéchèse*, p. 107.

٥٢. Regarding the Holy See and the issue of Jerusalem, see the article publised by Pietro Pastorelli, "La Santa Sede e il problema di Gerusalemme", *Storia e Politica*, 1 (1982) 57-98. This document is considered to express the semi-official stand of the Holy See. J. D. Montoisy, *Le Vatican et le problème de Lieux Saints* (Jerusalem: Fraciscan Printing Press, 1984); see also Silvio Ferrari, "Il Vaticano e la questione di Gerusalemme nel carteggio Spellman-Truman, *Storia Contemporanea*, 13/2 (April 1982) 285-319. This article is part of ongoing joint Italian-Iaraeli research on the Vatican and the Middle East, 1920-1976. Also, Anna Beccali, "Gerusalemme e la posizione della Santa Sede", *Il Politico*, 30/10 (March 1974); Bernardin Collin, *Rome, Jérusalem, et les Lieux Saints* (Paris: Editions Franciscaines, 1981).

٥٣. Quoted in Bovis, *Question*, p. 7.

٥٤. Collin, *Rome, Jérusalem*, p.67.

٥٥. Claudia Carlen, I.H.M., *The Papal Encyclicals*, p. 67, 1939-1958 (Releigh, NC: McGrath Publishing, 1981), p.162.

٥٦. Ibid., p. 164.

٥٧. Bovis, *Question*, p. 71.

٥٨. Silvio Ferrari, "La Sante Sede e il problema della Palestina nel Secondo Dopoguerra", *Communità*, 185 (n.d.) 414-15. The Vatican strongly backed the 1947 partition resolution because it included provisions for *Corpus separatum* for the Holy City and the Vatican pressed Catholic members of the UN to vote for this resolution. The Holy See continued to back internationalization up to and several months after the 1967 war. By late 1967, it began to drop the demand for a *corpus separatum* and rather to press for a legal statute internationally guaranteed because (1) one resolution in the UN General Assembly providing for *corpus separatum* failed to get the required two-thirds vote; (2) some Catholic countries began to move their embassies from Tel Aviv to Jerusalem; (3) the UN and the Big Powers did nothing to alter

the situation; and (4) Israel was making it clear that she would not leave Jerusalem under any cirumstances.

٥٩. Quoted in Collin, *Recueil*, p. 36.

٦٠. Middle East Concil of Churches, *Jerusalem, Dossier* III (Beirut, 1979), p. 16.

٦١. *L'Osservatore Romano*, 25 March 1971.

٦٢. Ibid.

٦٣. *Proche-Orient Chrétien*, 24 (1974), 70-71.

٦٤. Ibid.

٦٥. Ibid p.72.

٦٦. Ibid. p. 71.

٦٧. "L' Esortazione Apostolica del Santo Padre sulle accresciute necessità della chiesa in Terra Santa", *L'Osservatore Romano*, 6 April 1976. See also Ryan, "Catholic Faith", p.62.

٦٨. *L'Osservatore Romano*, 6 April 1976.

٦٩. Father Tucci, the head of Vatican Radio, elaborated on the Pope's mention of "citizens" in his address and stated that "people living in the Holy Land should be fully endowed morally and juridically with the rights of liberty and full exercise of rights without hindrance". See *The Link*, May/June 1974) 181.

٧٠. *Proche-Orient Chrétine*, 24 (1974) 181.

٧١. Khoury, *Catéchèse*, pp. 111-12.

٧٢. For a detailed account of the Tripoli Seminar, see Maurice Borrmans, "Le séminare du dialogue Islamo- Chrétien de Tripoli (Libye), 1-6 fevrier, 1976", *Islamo Christianna*, 2 (1976) 135-70.

٧٣. Ibid., p. 158.

٧٤. Ibid.

٧٥. See Yehoshua Rash, *Déminer un champ fertile: Les Catholiques Français et l'Etat d'Israël* (Paris: Les Editions de Cerf, 1982), pp. 161-64.

٧٦. *L'Osservatore Romano*, 12 Fed. 1976.

٧٧. *L'Osservatore Romano*, English ed., 1 July 1980.

٧٨. Ibid.

٧٩. Ibid.

٨٠. *The Tablet*, 28 July 1979.

٨١. A copy of this letter was obtained from the office of the ambassador of the United States to the Holy See, June 1983.

٨٢. Ibid.

٨٣. Ibid.

٨٤. *L'Osservatore Romano*, 30 April 1984, weekly edition, p.6.

٨٥. See Eugene J. Fisher, "The Pope and Israel", *Commonweal* (11 Jan. 1985), pp. 10-17.

٨٦. *L'Osservatore Romano*, (n. 84, above), p.7.

٨٧. Ibid.

٨٨. Ibid.

٨٩. *The Times*, 21 April 1984.

٩٠. Personal interview with Monsignor Richard Mathes and Father Norman Metsy, Jerusalem, 7 May 1983. See also the supplement to the *Bulletin Diocésain* published by the Latin Patriarchate in Jerusalem, April 1971.

٩١. Jean-Dominique Montoisy, "Israël-Vatican: Le Nouveau

Dialogue", *Studia Diplomatica*, 34/6 (1981) 761-62.

٩٢. J. Gelin, "Notre Dame de France, "Le *Bulletin Diocésain* (n.90, above), p.4.

٩٣. Zander, *Israel* (n. 35, above), p. 159.

الفصل الثالث

١. This point is raised by David C. Gordon in his *The Republic of Lebanon: Nation in Jeopardy* (Boulder, Co: Westview Press, 1983). For a learned, detailed, and well-researched account on the formation of modern Lebanon and its Constitution, see Edmond Rabbath, *La formation historique du Liban politique et constitutionnel: Essai de synthèse* (Beirut: Publications de l'Université Libanaise, 1973); see also his, *La constitution libanaise: Origines, textes et commentaires* (Beirut: Publications de l'Université Libanaise, 1982). These two works, especially the first, have seldom been quoted in books on Lebanon published in the United States. See also Nagib Dahdah, *Evolution historique de Liban* (Beirut: Librairie du Liban, 1968).

٢. Antoine Jabre, *La guerre du Liban: Moscou et la crise du Proche-Orient* (Paris: Pierre Belfond, 1980), p.246.

٣. From all standpoints, the most comprehensive chronology of the conflict in Lebanon from 1975 onwards, with special attention to the Holy See's involvement and the role of local Christian hierarchies, is printed in *Proche- Orient Chrétien*, a quarterly journal published in French by the White Fathers in Jerusalem. Another important documented chronology of the war, published in Arabic, is the work by Antoine Khuwayri, *Mausu'at al-Harb fi Lubnan*, 1975-1981, 12 vols., published by the author's own Dar al-Abijadiyya lil Sahafa wal Tiba'a Nasher, Sarba, Lebanon. An objective French assessment of the first two years of the war (9175-1977) can be found in Albert Bourgi and Pierre Weiss, *Les complots libanais* (Paris: Berger-Levrault, 1978), and their more recent work, which covers the war from 1978 to the Israeli

invasion, summer 1982, *Liban: La cinquième guerre du Proche-Orient* (Paris: Editions Published, 1983). Primary sources written by two major protagonists of the Lebanese War include Kamal Joumblatt, *Pour le Liban* (Paris: Editions Stock, 1978) and Camille Chamoun, *Crise au Liban* (Beirut: n.p., 1977). There is already a huge ammount of books and pamphlets on the Lebanese War written by Lebanese. Among other titles, see Benassar, *Anatomie d'une guerre et d'une occupation: Evènements du Liban* de 1975 a 1978 (Paris: Editions Galilee, 1978) and his *Paix d'Israël au Liban* (Beirut: Les Edition L'Orient-Le Jour, May 1983). A Phalangist perspective of the first two years of the war can be found in Nicolas Nasr, *Harb Lubnan wa Madaha* (Beirut: Dar al-Amal 1977), and J.A. Nasr, *Mihnat Lubnan fi Thawrat al-Yasar* (Beirut: Dar al'Amal, 1977). A Lebanese Marxist perspective can be found in Mahdi Amel, *Al-Qadiyya al-Filistiniyya fi Idiolojiat al-Burjuaziyya al-Lubnaniyya* (Beirut: Research Center, Palestine Liberation Organization, 1980) and his *Bahs fi Asbab al-Harb al-Ahliyya fi Lubnan*, vol. 1 (Beirut: Dar a;-Fara'bi, 1979). In the United States, the most valid scholarly assessment of the war is found in Walid Khalidi, *Conflict and Violence in Lebanon, Confrontation in the Middle East* (Cambridge, MA: Harvard Center for International Affairs, 1979). An Italian Evangelical perspective is found in Sergio Ribet,*Il nodo del conflitto Libanese: Tra resistenza Palestinese e destra Maronita* (Turin: Claudiana, 1977). A German analysis of Christian groups in Lebanon and their involvement in the war be found in Michael Kuderna, *Christliche Gruppen in Lebanon* (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1983). Finally, a useful tool for research is Linda Sadaka and Nawaf Salam, copilers, The Civil War in Lebanon: 1975-1976: *A Bibliographical Guide* (Beirut: Center for Middle East Studies, America Univ. of Beirut, 1982).

٤. For an interesting and in-depth analysis of Arab politics after 1967, see Fouad Ajami, *The Arab Predicament*" Arab Political *Thought and Practice since* 1967 (Cambridge, MA: Cambridge Univ. Press, 1981).

٥. *Osservatore della Domenica*, 2 Oct. 1975.

٦. The use of the term "mosaic" to define Lebanon is used by Michael W. Suleiman, *Political Parties in Lebanon : A Challenge of a Fragmented Political Culture* (Ithaca, NY: Cornell Univ. Press, 1967); see also Edmond Rabbath , "Du regime communautaire au confessionalisme", *Esprit*, 5 - 6 (May - June 1983) 74-82.

٧. On the National Covenant and its implications, see Edmond Rabbath, *Formation historique*, pp. 515-70. See also Bassim al-Jisr, *Mitha'k* 1943 (Beirut: An-Nahar, 1978).

٨. George Naccache, as quoted in "Liban: Mort et Résurrection", *Le Monde: Dossiers et Documents*, Oct. 1982, p.7.

٩. For further details on the communities in Lebanon, see Rabbath, *Formation historique*, pp. 1-144; see also A.J. Arberry, ed., *Religion in the Middle East: Three Religions in Concord and Conflict. Vol.1, Judaism and Christianity*; vol. 2, Islam (London: Cambridge Univ. Press, 1969). A reliable and important statistical source regarding Christian communities in the Near East is *Oriente Cattolico: Cenni storici e statistiche*, (Vatican City: Sacra Congregazione per le Chiese Orientali, 4th ed., 1974); see also Luc-Henri de Bar, *Les communautés confessionnelles du Liban* (Paris: Editions Recherches sur les Civilisations, 1983).

١٠. For an exhaustive history of the role of the Maronite patriarch in Lebanese history, see David A. Kerr, "The Temporal Authority of the Maronite Patriarchate, 1920-1058: A Study in the Relationship of Religious and Secular Power", Diss., Oxford Univ., 1973; see also Rev. Seely Joseph Beggiani, "The Relations of the Holy See and the Maronites from the Papacy of Pope Gregory XIII (1572-1585) to the Synod of Mount Lebanon in 1736", Diss., Catholic Univ. of America, 1963; see also Philippe Rondot, "Antoine Pierre Khoraiche, Patriarche Maronite d'Antioche et de tout l'Orient", *Maghreb-Machrek*, 78 (Oct.-Dec. 1977) 21-25.

١١. See interviews with the former and current superiors of the Permanent Congress of the Lebanese Orders of Monks, Father Sharbel Kassis and Father Bulos Naaman, in *Al-Fusul al-Lubnaniyya*, 2 (Spring 1980) 58-62, and *Al-Fusul al-Lubnaniyya*, 3(Summer 1980) 82-86.

١٢. See *Lumières franches sur la crise libanaise*, in the collection "Question Libanaise" (Kaslik: Publications de l'Universitè Saint-Esprit, 1975). pp. 49-51. (pamphlet no. 3).

١٣. Regarding the legal status of non-Muslim minorities, see Antoine

Fattal, *le Statut Légal des non-Musulmans en pays d'Islam* (Beirut: Imprimerie Catholique, 1958); Benjamin Braude and Bernard Lewis, eds., *Christians and Jews in the Ottoman Empire. Vol. I, The Central Lands; vol. 2, The Arab-Speaking Lands* (New York: Holmes & Meier, 1982).

١٤. *Lumières franches*, pp. 50-51.

١٥. Father Kassis has played a crucial role in the Lebanese conflict. He advocated a militant line in opposing the Palestinian-Leftist alliance in Lebanon. Justifying the active role played by the Maronite monks in the War, Father Kassis said: "Monks are existentially and organically linked to the people... In order to defend himself, every Christian has the right to be trained to handle weapons". *(Proche-Orient Chrétien*, 26 [1976] 145).

١٦. Personal interview with Father Kassis, 11 April 1983. See also his interview with *Le Réveil*, 5 April 1977. In this interview the Maronite monk stated that Muslims have demonstrated, in their psychological and military attitude during the war, their "being capable of tolerance, not coexistence".

١٧. Camille Chamoun had proposed the creation of a Swiss-like system of cantons, political decentralization, or a federal system for Lebanon. Pierre Gemayel, the leader of the Phalangist Party, did not share Chamoun's proposed solutions. For furthur details, see *Proche-Orient Chrérien*, 28 (1978) 357.

١٨. For an official history of the Phalangist (Kata'ib) Party, see *Tarikh Hizb al-Kata'ib al Lubnaniyya*, 1936-1946, 2 vols., put out by the party's publishing house (Beirut: Dar al-'Amal lil Nashr, 1979, 1981), See also Suleiman, Political Parties, pp. 232-49.

١٩. See Al-Montada Reports, *The Lebanese Conflict*, 1975-1979 *Dossier* 2 (Beirut: Middle East Council of Churches Documentation and Information, 1979), p. 34; and Elizabeth Picard, "Rôle et evolution du Front Libanais dans la guerre civile", *Maghreb-Machrek*, 90 (Oct.-Dec. 1980) 16-39.

٢٠. Regarding the events and the issues surrounding the Palestinian

camp of Tall-Zaatar, see Antoine Khuwayri, *Al-Harb fi Lubnan*, 1976, vol. 2 (Jounieh: Al-Bulusiya Press, 1977), pp. 784-86, 801, 809-10. For the Tall-Zaatar events as seen from a PLO perspective, see *Tall-Zaatar: The Fight against Fascism* (Beirut: PLO, Unified Information, Foreign Information Department, 1976) (pamphlet).

٢١. See David Kerr'sthesis, "Temporal Authority" pp. 248-59.

٢٢. See Yaacov Sharett, "L'état juif et l'intégrité di Liban, *Le Monde Diplomatique*, Dec. 1983, pp. 16-17. Also Livia Rokach, *Israel's Sacred Terrorism. A Study Based on Moshe Sharett's Personal Diary and Other Documents* (Belmont, MA: Association of Arab-American Univ. Graduates, 2nd ed., 1982). An Israeli assessment of Maronite-Israeli relationships can be found in Yossef Olmert, *Lebanon's Christians and Israel*, Research Report no. 15 (London: Institute for Jewish Affairs, Oct. 1982).

٢٣. See *Proche-Orient Chrétien*, 28 (1978) 171-72; and Antoine Khuwayri, *Wa Akhiran Harakuh* (Jounieh: Manshurat Dar al-Abjadiyya, 1978), pp. 296-302.

٢٤. Testimony of Daniel Le Gac, as quoted in *Proche-Orient Chrétien*, 27 (1977) 362.

٢٥. Regarding both the Greek Orthodox and the Greek Catholic communities' role in Lebanese politics, see de Bar, pp. 39-73; and Robert Brenton Betts, *Christians in the Arab East: A Political Study* (Atlanta, GA: John Knox Press, 1978), pp. 188-210.

٢٦. *Proche-Orient Chrétien*, 26 (1976) 163-65.

٢٧. Ibid., 28 (1978) 320.

٢٨. Regarding the Shiite community in Lebanon, see de Bar, *Communautés*, pp. 17-24.

٢٩. For further details on "Harakat Amal", see Augustus Richard Norton, "Harakat Amal (The Movement of Hope)", in *Religion and Politics, Political Anthropology*, vol. 3, Myron, Aronoff, ed. (New Brunswick, NJ : Transaction Books, 1984), p p. 105 -

31.

Regarding the Druze community, see de Bar, *Communautés*, pp. 199-37. .٢٠

These Muslim objectives were presented to Cardinal Bertoli in 1978 by the mufti. For further details, see Khuwayri, *Hawadith Lubnan*, 1977-1978, vol. 6, pp. 664-66. .٢١

On the debate in Lebanon regarding laicism and secularism, see P. T., "Débat autour de la laicitéau Liban", *Proche-Orient Chrétien*, 27 (1977(145-56). .٢٢

For a detailed account of the Lebanese National Movement and its program of reforms, see Sami Zhibian, *Al-Haraka al-Wataniyya al-Lubnaniyya* (Beirut: Dar al-Masirat, 1977). .٢٣

For further details, see Khalidi, *Conflict*, (n. 3, above), pp. 75-79 .٢٤

Regarding Syrian policy in Lebanon, see Adeed Dawisha, *Syria and the Lebanese Crisis* (New York: St. Martin's Press, 1980); Daniel Tschirgi with George Irani, *The United States, Syria, and the Lebanese Crisis*, Research Note no. 8 (Los Angeles: UCLA, Center for International and Strategic Affairs, Jan. 1982); also Itamar Rabinovich, "The Limits of Military Power: Syria's Role",in *Lebanon in Crisis: Participants and Issues*, P. Edward Haley and Lewis W. Snider, eds. C. Syracuse Univ. Press, 1979), pp. 55-73. .٢٥

Khalidi, *Conflict*, pp. 84-86. .٢٦

Regarding Israel's policy in the Lebanese War, see Lewis W. Snider, p. Edward Haley, Abraham R. Wagner, and Nicki J. Cohen. "Israel", in Haley and Snider, *Lebanon in Crisis*, pp. 91-112. .٢٧

Quoted in Bourgi and Weiss, *Complots*, p. 117. .٢٨

Khalidi, *Conflict*, p. 91. .٢٩

٤٠. Takieddine Solh, a former Lebanese prime minister said, when assessing the causes of the Lebanese conflict: "The Palestinians proposed that Israel become like Lebanon, a pluricommunitarian, democratic society; Israel's response was the it did all it could to render Lebanon to its image. This was at the origin of the drama that Lebanon has known in the last eight years". *(An Nahar Arab and International*, 329 [22-28 Aug. 1983] 6).

٤١. Regarding Sharon's policy in Lebanon, see Amos Perlmutter, "Begin's Rhetoric and Sharon's Tactics", *Foreign Affairs* (Fall 1982), pp. 67-83. For further details on Israeli invasion, see Giovanni Rulli, "L'invasione Israeliana nel Libano", *La Civiltà Cattolica*, 3169 (3 July 1982), 84-91. Also, "The War in Lebanon", special issue of the *Journal of Palestine Studies*, vol. 11, no. 4; vol. 12, no. 1, 44/45 (Summer/ Fall1982). On the massacres of Sabra and Shatila, see Amnon Kapeliouk, *Sabra et Chatila: Enquête sur un massacre* (Paris: Editions du Seuil, 1982).

٤٢. U.S. Congress, Senate, 94th Cong., 2nd sess., "Prospects for Peace in the Middle East", *Hearings before the Subcommittee on Near Eastern and South Asian Affairs of the Committee on Foreign Relations* (Washington, DC: U.S. Government Printing Office, 1976), p. 247.

٤٣. Regarding US policy towards the Lebanese War, see Robert W. Stookey, "The United States", in Haley and Snider, *Lebanon in Crisis*, pp. 225-48. In the spring of 1976, Ambassador L. Dean Brown was dispatched to Lebanon by Secretary of State Henry Kissinger. The underlaying motive behind the US initiative had an internal American political aspect. According to Jonathan Randall, "Kissinger had dispatched Brown largely to deprive Ronald Reagan, Ford's serious challenger for the Republican presidential nomination that summer (1976), of the argument that the adminstration had been derelict in attending to the festering Lebanese mess". See his controversial book, *Going all the Way: Christian Warlords, Israeli Adventurers, and the War in Lebanon* (New York: Viking Press, 1983), p. 178.

٤٤. For further detais on the French initiatives, see "Les mediations étrangères", *Problems Politiques et Sociaux* (20 Aug. 1976), pp. 51-55.

٤٥. For the historical background on the relations between the Holy See and Lebanon, see Lahd Khater, *Al-Vatikan wa Lubnan* (Sidon, Lebanon: Manshurat Majallat al-Risala al-Mukhlisiyya, 1966).

٤٦. *La Documentation Catholique*, 80/6/ (20March 1983) n. 1848, p. 300.

٤٧. Personal interview with Vatican official, Rome, 8June 1983.

٤٨. Personal interview with Father Jean Aucagne, S.J., Beirut 4 April 1983.

٤٩. Personal interview with Vatican official, Rome, 8June 1983.

٥٠. Personal interview with Monsignor John G. Meaney, Jal-Eddib, 27 May 1983.

٥١. Personal interview with Vatican official, Beirut, 27 May 1983.

٥٢. Personal interview, Beirut, 29 March 1983.

٥٣. René Chamussy, *Chronique d'une guerre: Le Liban*, 1975-1977 (Paris: Desclée, 1978), 123-24.

٥٤. *Proche-Orient Chrétien*, 26 (1976) 275. The frequent mention by Paul VI that the conflict in Lebanon was a "civil war" did not please the Maronites. Even the partriarch disagreed with this qualification in a message he sent on 2 May 1976 to the heads and members of the conferences of bishops around the world. See *Proch-Orient Chrétien*, 26 (1976) 250-58.

٥٥. Ibid.

٥٦. *Proch-Orient Chrétien*, 26 (1976) 276.

٥٧. Ibid.

٥٨. Salim al-Laouzi, ["Is all hope lost to see Maronites back in the Arab fold?"] *Al-Hawadess*, 15 Dec. 1978, pp. 17-24.

Ibid. .٥٩

Jean Aucagne, S.J., "Qui donc informe le Pape?" *Le Réveil*, 15 April 1978. .٦٠

Le Réveil, 18 April 1978. .٦١

Aucagne, "Informe le Pape". .٦٢

Ibid. .٦٣

In addition to the so-called Arab lobby, some observers alleged that there also exists a Lebanese lobby inside the Holy See. The presence of this lobby was also raised by Father René Chamussy (personal interview, Beirut, 19 MArch 1983). This issue is further emphasized in a Lebanese diplomatic cable. Writing about Lebanese clergymen and prelates working in the Roman Curia, the author of the cable mentions that among them "we find sympathizers of former president Franjieh; of Raymond Edde, leader of the National Bloc; and sympathizers of the Maronite patriarch". .٦٤

Aucagne, "Informe le Pape". .٦٥

Joseph Vandrisse, "Réponse à Jean Aucagne, S.J.", *Le Réveil*, 18 April 1978. .٦٦

Al-Hawadess, editorial, 25 Aug. 1978, *An Nahar Arab and International*, 13-19 Aug. 1984, pp. 11-12. .٦٧

Karim Pakradouni, *La Paix manquée: Le mandat d'Elias Sarkis*, 1976-1982 (Beirut: Editions Fiches du Monde Arabe, 1983), p. 186. .٦٨

Ibid., p. 224. .٦٩

See the statement by Cardinal Joseph Bernardin on 23 Jan. 1976, as quoted in *Proch-Orient Chrétien*, 26 (1976(157; see also the statement by Archbishop John R. Quinn *L'Osservatore Romano*, 20 Sept. 1978, p. 2; also National Conference of Catholic Bishops, "Statement on the Middle East: The Pursuit of Peace with Justice: (Washington, DC: US Catholic Conference, 16 .٧٠

Nov. 1978).

٧١. For a biography on the late Cardinal Cooke, see *L'Osservatore Romano*, English weekly ed., 10 Oct. 1983, pp. 2, 16.

٧٢. *Proche-Orient Chrétien*, 31 (1981) 287-88.

٧٣. Cardinal Terence Cooke, "Report on Visit to Lebanon", 29 Dec. 1979 to 3 Jan. 1980 (mimeographed), p.9.

٧٤. Ibid.

٧٥. Personal interview, Jall-Eddib, May 1983.

٧٦. For further details on the debate inside the Reagan administration regarding Lebanon policy, see Michael G. Fry, "United States Policy in the Middle East: Lebanon and the Palestinian Question", *Arab Studies Quarterly*, 7/1 (Winter 1985) 27-35.

٧٧. Joseph Kossaifi, "The Role of the Vatican in the Arab World", *At-Tadamon*, 12 (2 July 1983) 10.

٧٨. Personal communication, 24 Oct. 1983.

٧٩. See the special issue on "The Papacy, Lebanon, and the Arabs", *Al-Hawadess*, Beirut, 25 Aug. 1978, pp. 73-77.

٨٠. *Proche-Orient Chrétien*, 25 (9175) 365.

٨١. Ibid.

٨٢. Chamussy, *Chronique* (n. 53, above), pp. 117-18.

٨٣. Personal interview, Rome, 14 June 1983.

٨٤. Fuad Matar, *Suqut al-Imbraturiyya el-Lubnaniyya, vol. 1, As-Saharara* (Beirut: Dar al-Qadaya, 1976), p. 199.

٨٥. Ibid., pp. 201-2.

٨٦. Ibid., p. 201.

.٨٧ Ibid.

.٨٨ Ibid., p. 210.

.٨٩ It seemed that Cardinal Bertoli had asked the PLO chairman to work actively to help promote reconciliation in Lebanon (Personal interview with Father Ibrahim Iyad, Los Angeles, 22 Nov. 1982).

.٩٠ Matar, *Suqut*, p. 210.

.٩١ Bourgi and Weiss, *Complots*, p. 111.

.٩٢ Quoted in *Le livre blanc libanais: Documents diplomatiques*, 1975-1976 (Beirut: République Libanaise, Ministére des Affaires Etrangères et des Libanais d'Outre-Mer, 1976), pp. 23-24.

.٩٣ Ibid.

.٩٤ Ibid.

.٩٥ .*L'Orient -Le Jour*, 8 Nov. 1975

.٩٦ Jabre, *Guerre* (n. 2, above), p. 246.

.٩٧ Personal interview with Butros Dib, Beirut, 5 April 1983. Dib told the researcher that Bertoli's visit was interpreted as a reconciliation between the cardinal and Pope Paul VI. In 1973 Cardinal Bertoli resigned as head of the Sacred Congregation for the Causes of Saints. For further details on this episode, see Paul Hofmann, O *Vatican*! (New York: Congdon and Weed, 1984), pp. 117-18.

.٩٨ *L'Orient -Le Jour*, 18 April 1976.

.٩٩ Ibid., 17 April 1976.

.١٠٠ *Proche-Orient Chrétien*, 26 (1976) 159.

.١٠١ *L'Orient -Le Jour*, 28 April 1976.

.١٠٢ *Proche-Orient Chrétien*, 26 (1976) 164.

١٠٣. "Address of His Holiness Pope John Paul II to XXXIV General Assembly of the United Nations Oraganization", *Pilgrim of Peace: The Homilies and Addresses of His Holiness Pope John Paul II on the Occasion of His Visit to the United States of America, October* 1979 (Washington, DC: Publications Office, United States Catholic Conference, 1979), p. 21.

١٠٤. Ibid.

١٠٥. *Proche-Orient Chrétien*, 28 (1978) 360.

١٠٦. *L'Orient -Le Jour*, 8 Dec. 1978.

١٠٧. *An Nahar Arab and International*, 18 Dec. 1978, p. 3.

١٠٨. *L'Orient -Le Jour*, 20 Dec. 1978.

١٠٩. *Proche-Orient Chrétien*, 28 (1978) 362.

١١٠. Ibid., p. 363.

١١١. *L'Orient -Le Jour*, 20 Dec. 1978r.

١١٢. *Proche-Orient Chrétien*, 28 (1978) 360.

١١٣. A former US ambassador to Lebanon, Richard Parker, is reported to have told Camille Chamoun that the solution was "for the Palestinians to stay in Lebanon and repatriate 100,000 to the West Bank and Gaza". There are more than 400.000 Palestinian refuges in Lebanon. See Khuwayri, *Hawadith*, p. 654.

١١٤. *Proche-Orient Chrétien*, 30 (1980) 303.

١١٥. Personal interview, Beirut, 4 April 1983.

١١٦. Antoine Khuwayri, *Hawadith Lubanan*, 1980, vol. 9, *Lubnan Bayna al-Shariat wal Ihtilal* (jounieh: Dar al-Abjadiyya lil Sahafa wal Tibaa wal Nasher, 1982), p. 289.

١١٧. Ibid.

١١٨. *Proche-Orient Chrétien*, 30 (1980) 301.

119. Khuwayri, *Hawadith Lubnan*, p. 287, and *Proche-Orient Chrétien*, 30 (1980) 299-303.

120. Ibid.

121. *Proche-Orient Chrétien*, 30 (1980) 302.

122. *L'Osservatore Romano*, 7-8 June 1982.

123. Quoted in Al-Masira, issued by the Lebanese Forces, 1 Nov. 1982, p. 121-Masira.

124. La *Documentation Catholique*, 1848 (20 March 1983) 305-7.

125. A copy of this report was obtained from the Embassy of Lebanon to the Holy See.

126. Following the tragic assassination of Bashir Gemayel and the election of his brother Amin (21 Sept. 1982), John Paul II's telegram of congratulations was published in *L'Osservatore Romano* (23 Sept. 1982).

127. Sheikh Najib Dahdah was former Lebanese ambassador to the Holy See. Personal interview, Rome, June 1983.

128. Personal interview, Rome, June 1983.

129. *Proche-Orient Chrétien*, 32/3-4 (1982) 386.

130. Personal interview, Harissa, 17 Dec. 1984. For futher details on the aftermath of the Israeli invasion and US intervention, see William B. Quandt, "Reagan's Lebanon Policy: Trial and Error", *The Middle East Journal*, 38/2 (Spring 1984) 237-54.

131. For further details see, *An Nahar Arab and International*, 367 (14020 May 1984) 28-29.

132. Ibid.

133. *Magazine*, 12 May 1984, p. 30.

١٣٤-
Ibid. The clash between the two Lebanese Catholic prelates was also reported to me by other sources. No official denial has been issued by either the Maronite or Greek Catholic patriarchates.

١٣٥. *Magazine*, 12 May 1984, p. 30.

١٣٦. *L'Osservatore Romano*, weekly edition, 14 May 1984, pp. 10-11. John Paul II's concern and solicitude towards Lebanon were once again reiterated in the clearest terms in a message he sent to the Maronite Patriarch Khoreish on 25 Jan. 1985.

١٣٧. *L'Osservatore Romano*, 14 May 1984, p. 11.

١٣٨. Ibid., p. 10.

١٣٩. Ibid., p. 11.

١٤٠. Ibid., p. 10.

١٤١. *L'osservatore Romano*, 2 October 1989.

١٤٢. Terence Cardinal Cooke, "Report on visit to Lebanon" 29 Dec. 1979.

الفصل الرابع

١. الاتفاق الأساسي بين الكرسي الرسولي ودولة اسرائيل، ١٣ كانون الاول ١٩٩٣ كما اوردته *Catholic News Service* في ٣٠ كانون الاول ١٩٩٣.

٢. راجع مقابلتين اجريتها مع جريدة السفير، ١ تشرين الاول ١٩٩٣ و٢٧ كانون الثاني ١٩٩٤.

٣. السفير، ١ كانون الثاني ١٩٩٤.

٤. الاتحاد، ٦ شباط ١٩٩٤.

المؤلف:

جورج اميل عيراني، الحائز على شهادة الدكتوراه في العلوم الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا (١٩٨٤)، هو استاذ في العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية الاميركية (LAU). تُرجِمَ هذا الكتاب من الانكليزية الى اللغات الفرنسية، الايطالية، والبرتغالية.

من توطئة الكتاب:

إنّ دراسة دقيقة لدور الفاتيكان في الشرق الأدنى لأمرٌ ذو أهمية أساسية بالنسبة الى الخبير في شؤون الشرق الاوسط، ومحلّل أنشطة الكنيسة وتصرّفها، وكل الذين يسعون لإيجاد حلٍّ عادلٍ ودائم للمعضلة العربية ـ الاسرائيلية.

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه الوحيد في هذا المجال، اذ انّ الكاتب جورج عيراني نجح في جمع عناصر كثيرة متباعدة وقدّمها بشكل شمولي. لقد أشرع المجمع الفاتيكاني الثاني منذ ثلاثين سنة الأبواب واسعة أمام المسكونية والعلاقات بين الأديان. فاذا مسائلُ، كالتفاعل بين اليهود والمسيحيين والمسلمين حول مسألة القدس، والحرب اللبنانية، والنزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، تنهض دليلاً على حسنات الحركة وسقطاتها وهي ثمرة مبادرة البابا يوحنا الثالث والعشرين.

أما الوجه الآخر لأهميّته ففي الموضوعية التي اعتمدها المؤلف في تحليله. فبالرغم من صعوبة التزام الحياد في التعامل مع مواضيع لها أبعادها العاطفية والحزبية فقد نجح عيراني في جمع وجهات النظر اليهودية والمسيحية والاسلامية. وليس من الغرابة بمكان أن يحاول باحث لبناني اظهار القواسم المشتركة التي تجمع الديانات الموحّدة الثلاث؛ ان الامل المرجوّ من هذا العمل أن يقترب اليوم الذي يعود فيه لبنان والشرق الاوسط الى ما كان عليه، مثالاً حيّاً للتعايش والحوار.

الاب تيودور م. هسبرغ

Theodore M. Hesburgh, C.S.C..

رئيس جامعة نوتردام، انديانا

الولايات المتحدة